أزواج وزوجات

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ-١٩٩٣م
الطبعة الثانية
١٤١٥هـ-١٩٩٤م
الطبعة الثالثة
١٤١٦هـ-١٩٩٦م
الطبعة الرابعة
١٤٢١هـ-٢٠٠١م
الطبعة الخامسة
١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م

أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى
رابعة العدوية - مدينة نصر - ص . ب : ٣٣ البانوراما
تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكترونى: email: dar@shorouk.com

عبدالوهاب مطاوع

أزواج وزوجات

دار الشروق

من لم تعلمه الحياة . . علَّمه الزواج !

« الـزواج . . هو أقـوى دافـع يدفـع الإنسـان لأن
يتعلـم مالـم يكن يعلمـه . . فى مدرسـة الحيـاة »

(هافلوك أليس)

فى كتاب مقالات صغيرة عن الحب والفضيلة

الكتاب المفتوح

أنا ياسيدى أستاذ جامعى فى الثانية والأربعين من عمرى نشأت فى أسرة يعولها أب يعمل بالتجارة . . وبين أشقاء كثيرين . . ثم فقد الأب ثروته تدريجيا وأسفرت الحياة عن وجهها القاسى . . فعرفنا مبكرا إنه لاسند لنا فى الحياة سوى سواعدنا وتفوقنا . . وكافحت أمى معنا كفاح الأبطال لتربيتنا وتعليمنا حتى تخرجنا جميعا فى الجامعات .

وتركت التجربة المريرة آثارها على شخصيتى فعلمتنى الاعتماد على النفس . . فتخرجت فى كليتى متفوقا . . وواصلت طريق الدراسة فحصلت على الماجستير . . ثم اوفدت فى بعثة للحصول على الدكتوراه . . من إحدى دول أوروبا . . وسافرت إلى هناك محملا بكل الآمال الطيبة . . وتحملت عناء الغربة حتى حققت لنفسى ماتمنيته لها وعدت لبلادى متفتحا للحياة ومارست عملى . . وكان أول ماسعيت إليه هوالحصول على شقة تمليك ملائمةبعد جهاد مرير وجلست يوما التقط انفاسى فاكتشفت انى أعيش فى كفاح متواصل منذ بدأت عامى الجامعى الأول . . وانى بلغت الخامسة والثلاثين من عمرى فهفا قلبى إلى ان أقيم بيتى الخاص . . وان انعم فيه بالآمان والاستقرار مع شريكة الحياة . . وآثرت الزواج من فتاة

جامعية من مستواى الاجتماعى وخطبتها . . وعشت لحظات السعادة الصغيرة فى أيام الخطبة . . وقررت ان نتزوج وان نذهب لقضاء الأيام الأولى من الزواج فى نفس المدينة الأوروبية التى تلقيت العلم فيها وشهدت صراعى مع الحياة . . . وتم الزواج وسافرت فى اجازة إلى هناك .

وفى اليوم الأول لوصولنا للمدينة . . توقف التاكسى أمام الفندق الصغير الذى سنقيم فيه وكانت معنا ثلاث حقائب . . وضعها سائق التاكسى على رصيف الفندق وحصل على أجره وانصرف . . فانحنيت على الأرض وحملت حقيبتين واشرت لزوجتى بتلقائية لكى تحمل الحقيبة الثالثة الأصغر لنخطو داخل الفندق فحملتها لوهلة . . ثم فجأة القت بها على الأرض صائحة انها ليست خادمة ! وتداركت الأمر سريعا فحملت الحقيبتين إلى الفندق وعدت سريعا إلى موقفها فحملت الحقيبة الثالثة واصطحبتها للداخل . . وتمسكت بأحلام السعادة فتجاوزت عن هذا الحادث الصغير واصررت على ألا ادع شيئا يفسد على هنائى .

ومضت الاجازة وعدنا لمصر . . وبدأت اكتشف ان هذا الحادث الصغير ليس مجرد تصرف عابر لكنه يعكس شخصيتها وأسلوبها فى الحياة . . فهى ترفض ان تقوم بأى عمل تتصور ان فيه انتقاصا من كرامتها . . وتعلننى فى كل مناسبة أنها لم تكن تفعل شيئا ، أى شىء فى بيتها وان أباها وأمها كانا يخدمانها وفى أحد الأيام الأخيرة من شهر العسل سمعتها تحادث صديقة لها فى التليفون وتقول لها أنها ستعرف كيف تملى ارادتها على زوجها فى كل شىء ! فتعجبت لذلك ونشبت بيننا أول مشادة قبل ان يجف الحبر الذى كتب به عقد قراننا ورغم ذلك فقد تمسكت بالا تفشل حياتى بعد ان

عانيت كل ماعانيته من أجل احلام السعادة ، وانجبنا طفلا حسم الأمر من جانبى . . ولم يعد أمامى خيار إلا إنجاح الحياة والحفاظ عليها من أجله . . ثم انجبنا طفلا آخر لكن المتاعب لم تتوقف . . وإنما تزايدت . . وتحولت الحياة بيننا إلى صراع مستمر لفرض ارادتها علىّ فى كل شىء متصورة ان المرأة ينبغى ان تكون الأقوى ! . . وفى كل أزمة تكون كلمتها الأولى هى : أريد الطلاق فأتساءل متعجبا وهذان الطفلان اللذان يحبوان فى الأرض . . ماذا يكون مصيرهما . . ثم تهدأ العاصفة . . وتستمر الحياة إلى حين ثم جاءتنى فرصة للإعارة إلى احدى الدول العربية . . فأملت ان تكون حلا لبعض مشاكلنا خاصة بعد ان خسرت معظم مدخراتى فى شركات الأموال ففوجئت بها ترفض ان تصحبنى إليها بحجة ان الحياة فيها لاتناسبها ، واضطررت للسفر وحيدا وعانيت الغربة مرة ثانية . . وبدأت اتصل بها تليفونيا بانتظام لأطمئن على أسرتى الصغيرة وفى كل اتصال تروى لى عن « جهادها » فى تربية الطفلين ومتاعبهما كأنه ليس فى الحياة أم أنجبت طفلين سواها واشركتنى معها على البعد فى كل المتاعب الكبيرة والصغيرة حتى بلغ بها الحال ان هددتنى بان ترسلهما إلىّ فى غربتى لأنها لاتستطيع تحمل العبء وحدها بالرغم من قيامى بتوفير كل مستلزماتها هى والطفلين قبل سفرى وخلاله ، ووجدت نفسى أعايش القلق عليهما وأنا هناك يوما بعد يوم وبدأت أعانى الاكتئاب والضيق والأرق ولا أطيق الغربة التى تحملتها من قبل ٤ سنوات وضاقت نفسى بالحياة فلم استطع استكمال العام بعيدا وعدت بعد ٩ شهور فقط من سفرى فى أجازة ولأحل مشاكلها ومتاعبها ثم أعود لاستكمال الاعارة . .

ففوجئت بها بعد أيام من وصولى تغادر بيت الزوجية إلى بيت أهلها تاركة لى الطفلين . . وتضعنى أمام اختيار صعب لاستكمال الإعارة . . هو تسليمى لها بكل ماتريد وتلبية كل مطالبها ثمنا لعودتها لبيت الزوجية وتربية طفليها والا فلن تعود . . ولن استطيع أنا السفر تاركا الطفلين للمجهول ،أما شروطها ياسيدى فهى تأمين مستقبلها بتسجيل الشقة التمليك التى عانيت الكثير للحصول عليها باسمها ، ومبلغ شهرى كبير، هذا أو الطلاق وكان الطفلان اللذان تركتهما وراءها لم يبلغ أكبرهما الخامسة ولم يبلغ أصغرهما الثالثة من عمره وجلست أراجع شريط حياتى . . وأتساءل ماذا جنيت ياربى لكى القى هذا العناء . . وماذا جنى هذان الصغيران وفى لحظة اختيار صعبة قررت ألا أعود للدولة العربية التى أُعرت إليها متنازلا بذلك عن مستحقات مالية كبيرة وعن كتبى وملابسى التى تركتها هناك وقررت البقاء مع الولدين لأقوم لهما بدور الأم التى تخلت عنهما . . وقررت الا اخضع لمطالبها أكثر من ذلك ويكفيها انها قد تسببت فى حرمان ولديها وحرمانى وحرمانها أيضا من رزق الإعارة الذى أرسله الله لنا ليخفف من متاعبنا . .

وبدأت فتسلمت عملى فى جامعتى الإقليمية التى أعمل بها . . وتفرغت لرعاية الطفلين وطلبت زوجتى كل متعلقاتها واثاثها . . وحملته من شقة الزوجية . . وعوضت انا ذلك ببعض الاثاث العملى . . وبالأجهزة العديدة التى اشتريتها من الخارج . . وبدأت حياتى كأب وأم لطفلين صغيرين لأول مرة . . فأصبحت اصحو كل يوم فى الخامسة صباحا . . فأصنع الأفطار للطفلين واقودهما للحمام ثم اساعدهما على

ارتداء ملابس الخروج . . واصطحبهما إلى مدرسة الحضانة فاتركهما فيها إلى وسط المدينة لالحق باتوبيس الجامعة الذى يحملنى خلال ثلاث ساعات إلى كليتى وفى الكلية القى محاضرتين أو ثلاثة على الأكثر . . وقد اعفانى زملائى الذين يقدرون ظروفى الإنسانية ويتعاطفون معى من باقى جدولى ونهضوا به هم جزاهم الله خيرا عنى ثم أسرع إلى الأتوبيس واسافر إلى القاهرة لأصل إلى مدرسة الحضانة فى الثالثة بعد الظهر فأجد الطفلين يلهوان فى الفناء بعد ان انصرف كل التلاميذ الصغار مع أسرهم . . واصحبهما إلى البيت وامضى المساء فى خدمتهما فاطهو لهما الطعام واغسل لهما ملابسهما واذاكر معهما دروسهما . . ثم أضعهما فى فراشهما وارقبهما إلى ان يستسلما للنوم . . أما امهما سامحها الله فهى لاتراهما إلا مرة كل أسبوعين وأحيانًا كل ثلاثة أسابيع . . ولمدة ٢٤ ساعة فقط لاتزيد ولاتقبل بقاءهما عندها أكثر منها . . وتعيدهما إلىّ سريعا لكى اتكبد متاعب خدمتهما لأضعف وأرضخ لمطالبها وكلما ارسلت إليها من يبلغها ان طفلها الصغير يحلم بها كثيرا ويبكى من أجلها ويسألنى عنها .. جاءنى جوابها القاسى، أن اترك البيت أولا كشرط لكى تعود وترعى طفليها . . واسأل نفسى هل يطمئن قلبى إلى رعاية مثل هذه الأم وحدها لطفلىّ الصغيرين . . وأجد الجواب بالنفى ثم اين اذهب أنا ولماذا . . فلا اجد جوابا وأواصل الطريق متحملا اقدارى . . ومضت ثمانية شهور طويلة فشلت خلالها كل محاولات التوفيق بيننا وأبدت هى رغبتها فى الحصول على الطلاق مرة أخرى وأعلنت استعدادها للتنازل رسميا عن حضانة الطفلين وقبلت ذلك وتحدد يوم تجىء فيه لمقابلتى فى الشهر العقارى لتوثق لى تنازلاً

عن حضانتهما . . والتقينا . . ووجدتني أقول لها ربما بغير وعى منى . . ألا تفكرين قليلا لعلك بذلك تسعدين ثلاثة قلوب تحتاج إليك . . ويجيئنى جوابها كاللطمة . . لنتكلم فيما هو مفيد . . وهو التنازل والطلاق . . واتمالك نفسى وندخل إلى الموظف المختص ونروى له القصة وكان موظفا شهما . . فما ان يسمعها حتى يثور ثورة عارمة . . ويقول ان هذا مخالف للقانون وليس من حق الأم ان تتنازل عن حضانة أولادها قبل بلوغهم السن القانونية واسأله ما العمل وهى تطلب الطلاق وترفض رعاية طفليها إلا إذا طلقتها ولو طلقتها الآن لحصلت هى على الشقة التى وضعت فيها كل ما املكه ويغلى الدم فى عروقه . . ينتحى بى جانبا ثم ينصحنى بألا اطلقها إلا إذا وفرت لها مسكنا آخر تضم إليها فيه الطفلين . . واحتفظ أنا بشقتى التمليك . . أو بالا اطلقها إلا بعد ان يصل الولدان إلى السن القانونية فلا يصبح لها حق فى شقتى أو فى أى شقة أخرى . . واشكره وانصرف . . ورحت ابحث عن شقة أخرى وعرض اخوتى ان يتنازلوا عن شقة الأسرة لاجعلها شقة الحضانة فعرضتها عليها فرفضتها بحجة انها ليست من مستواها !

. . واخيرا استطعت ان ادبر مبلغا من المال بدأت به فى بناء شقة لها على قطعة أرض للبناء كنت ادخرها للأسرة وللطفلين لكى اقدمها لها كمأوى شرعى عند طلاقها .

ومضت الشهور . . وبدأت أضيق بظروفى ووحدتى . . ونصحنى الأهل بان اتزوج أخرى . . وانسى هذه التجربة المؤلمة . . لكن من ياسيدى تقبل رجلا مطلقا فى رقبته طفلان أكبرهما فى السادسة . لقد مضى

على هجرها للبيت الآن ثلاثة عشر شهرا . . ويبدو أنها لم تكن تتصور انى سأصمد كل هذا الوقت فى رعاية الطفلين والقيام بواجبات الأم والأب معا . . لذلك فقد بدأت تتنازل عن مطلب نقل ملكية الشقة لها وقالت لوسيط انها تطلب فقط الآن ان اذهب إليها وان ارضها وان اقدم لها شبكة ذهبية من جديد تأمينا لمستقبلها لكى تعود . . لكنى حائر هل اثق فيها مرة أخرى . . وهل ستستقيم الحياة معها من جديد . . وأنا اعرف وأنت تعرف ان الطبع غلاَّب .

إن قلبى مع طفلىّ فى حاجتهما لأمهما . . لكن عقلى يقول لى أنه لافائدة وان مسلسل العذاب سيستمر معها إلى مالا نهاية . . وان الأفضل ان أتزوج أخرى . . فبماذا تنصحنى ان أفعل ؟

□**ولكاتب هذه الرسالة أقول** : إن الأباء والأمهات مسئولون مسئولية كاملة ليس فقط عن تربية الأبناء ولكن عن سعادتهم ايضا . لسبب منطقى بسيط هو ان هؤلاء الأبناء لم يستشاروا اصلا فيما إذا كانوا يرغبون فى المجىء إلى الحياة أم لا . وما دام الآباء هم الذين يتخذون هذا القرار منفردين فمن واجبهم التضحية من أجل إسعاد ابنائهم . . ولو بالتضحية بسعادتهم الشخصية فى بعض الأحيان .

وأنت ياصديقى قد تحملت من أجل طفليك ماقد ينوء به غيرك . . فأين تضحية الأم وعطاؤها لهما وهى من كانت الأجدر بذلك ؟ ان طفليها ليسا مسئولين عن حسن أو عن سوء اختيارها لشريك حياتها لكنها لاتعى هذه الحقيقة ولا تفهمها .

وفى تقديرى ان كليكما قد اخطأ بالاستمرار فى هذا الزواج إلى ان انجبتما

أول اطفالكما بعد ان قُرئَ كتاب زواجكما من عنوانه فى الأيام الأولى منه . . وانبأكما بان كليكما لم يحسن اختيار رفيق دربه . . وانكما تتراسلان على موجتين مختلفتين . . وإن لهيب الشقاق كامن تحت الرماد «ويوشك ان يكون له ضرام »، كما يقول الشاعر .

ومع ذلك فان كثيرات من الزوجات يراودن أنفسهن على الرضا باقدارهن . . والتوافق معها إذا انجبن وجئن إلى الحياة بمن لاذنب لهم فى اعتباراتهن الشخصية .

والمشكلة ياسيدى هى ان زوجتك لم تروِّض نفسها من قبل على ان تضحى بشىء مهما صغر شأنه من أجل أطفالها . . وكتابها المفتوح معك يؤكد كل ذلك فلقد ارهقتك نفسيا ومعنويا بأمر رعايتها للطفلين خلال اغترابك كأنها قد ادَّت عملا خرافيا يدرجها فى مدارج الشهداء والقديسين لمجرد أنها رعت طفليها تسعة شعور لاتزيد فى غيابك .

يا إلهى . . ماذا تقول إذن الزوجات اللاتى يرعين أطفالهن ويواجهن اعباء الحياة وحيدات بعد رحيل الآباء عن عالمنا ؟ . وماذا تقول الأمهات اللاتى يرعين عصبة من الأطفال فى غياب الأزواج المغتربين لسنوات طويلة من أجل حياة أفضل لأسرهم ؟

ثم أى مستقبل هذا المشغولة بتأمينه ولامكان لطفليها فيه ! وهل كان من الاهتمام بأمر مستقبلها ان تضعك فى الاختيار الصعب وتضطرك للتضحية باعارتك مع ماتمثله من تأمين لمستقبل الأسرة كلها . . بل أى مستقبل هذا الذى تضمنه وتؤمنه شقة تمليك أو شكبة ذهبية . . والمستقبل غيب فى علم الله وخير زاد نتسلح به له هو ان نرعى حدود من

بيده ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا وقد تحصَّن له من قبل غيرنا بخزائن من ذهب فلم تحمهم خزائنهم من عوادى الدهر وغوائل الزمن ؟ ان اسوأ مايفعله إنسان بنفسه هو أن يفسد حاضره لحساب مستقبل لايعلم سوى الله ماسوف يكون من أمره كما تفعل الآن زوجتك ولحسابات انانية لامكان فيها لعاطفة الأمومة . . ولا لأى عاطفة أخرى.

ومستقبل الأسرة ياسيدى . . همٌّ مشترك للجميع لاينبغى ان يفكر فيه عضو من أعضائها لحسابه وحده . . وإنما ينبغى ان يذيب همَّه به وبقدر محسوب لايفسد عليه حاضره فى همِّه بمستقبل أسرته كلها . . وأولهم ابناؤه . وزوجتك لاترى فى حساباتها سوى نفسها . . وليست مشغولة إلا بها . . لكل ذلك . . فانى لا أرى لك ان تستجيب لأى مطلب فى هذا الشأن كشرط لعودتها إلى بيتها وطفليها وأمومتها الغائبة فان كان ضميرها قد استيقظ حقا وصدقا . . فلتعد إلى طفليها بلا شروط ولتكفر عن جريمتها فى حقهما بصدق الندم وحسن الرعاية فرعاية كل أم لأطفالها هو واجبها الإنسانى والدينى وليس تنازلا منها تستحق عليه مكافأة تشيجيعية أو حوافز اضافية وجائزتها الكبرى عند ربها أولا وقبل كل شىء ومكافأتها الحقيقية هى ان يشب ابناؤها اسوياء سعداء صالحين . . فيردوا إليها عطاءها اضعافا مضاعفة . .

فلتعد بلا شروط إذا ارادت . . وإذا قبلتَ أنت أو فلتضُم إليها طفليها اللذيْن أعجب كيف تحملت مشاعرها الصخرية ان يغيبا عنها عاما وبعض عام ، وليكن ذلك فى بيت أسرتها كما تفعل كثيرات غيرها إلى ان تعد لها مسكن الحضانة .

فإن لم تكن هذه ولا تلك فليفصل الله بينكما بالحق بعد ان بذلت كل جهدك لانقاذ طفليك من هذا المصير ولتسرع باعداد المسكن البديل لها ولترضَ بألم الجراحة الذى تعقبه راحة الشفاء بإذن الله بدلا من معاناة الآلام المزمنة التى لابرُء لها ولاشفاء وليرع الله طفليك إلى ان يبلغا السن التى تستحقُ فيها حضانتهما . . ولتبدأ حياة جديدة مع أخرى تعوضك عما لاقيت من سوء الحظ وافتقاد الأمان والحق اننا جميعا نحتاج كما يقول الأديب الفرنسى العظيم فيكتور هوجو إلى الشجاعة لكى نتحمل احزان الحياة الكبرى . . وإلى الصبر لكى نتحمل الامها الصغيرة . وأنت فى حاجة إلى هذه الشجاعة الآن لتحمل اقدارك ومغالبة احزانك . . اعانك الله عليها وعوضك عنها بأوفى الجزاء .

الخطــر!

أنا رجل فى الأربعين من عمرى أعمل محاسبا بإحدى الدول العربية . منذ ٩ سنوات صمم أهلى علىّ أن أزوج فعدت فى اجازة صيف وخطبت إحدى قريباتى خطبة تقليدية بدون عاطفة سابقة بيننا ، ثم عدت فى الإجازة التالية وعقدت قرانى عليها واصطحبتها إلى مقر عملى وأثثنا بيتنا بكل ما تتمناه زوجة شابة ووضعت راتبى تحت أمرها فكانت تنفقه كله رغم ضخامته على البيت ، وعللت ذلك بأنها حديثة التخرج والزواج ولم تتحمل مسئولية من قبل فى حياتها وأمِلت فى أنها مع مسئوليات الحياة الزوجية سوف تتعلم الكثير ، لكن الأيام مضت بلا أى تغيير واظهرت العشرة عصبيتها الشديدة وعدم اكتراثها بالحياة وعدم اهتمامها بعلاقاتى بالآخرين . . فصوتها عالٍ بشكل مستمر ومزعج ومشاكلها كثيرة ودائمة مع الجيران ولا أعرف لماذا ، مع انى جاورتهم سنين طويلة قبل زواجى فلم تحدث بينى وبينهم مشكلة واحدة وكانوا يحترموننى واحترمهم ، أما الآن فانى اعود من العمل فأسمع صوتها العالى وهى تتشاجر مع زوجة الجيران . ثم تفاقمت عصبيتها حين مضى عامان بغير ان نرزق بأطفال فبدأنا رحلة العلاج ولم اقصرٍّ فى علاجها ولم ابخل بمال أو جهد فى طلب العلاج ،

وتابعنا رحلة العلاج الطويلة وتكلفت الكثير ثم توقفتُ بعد ان صارحها الطبيب انه لم يعد هناك أى أمل فى انجابها لأن هرموناتها ضعيفة ، ولا أمل فى زيادتها ، والكارثة ان الطبيب قد أبلغها بذلك صراحة . . وليته لم يفعل فقد تضاعفت عصبيتها بعدها بطريقة لايمكن تخيلها وازداد التوتر والإهمال وتركت نفسها تتضخم حتى أصبحت جسمانيا فوق التصور وازدادت لامبالاتها فأصبحت تضعنى مع اصدقائى وزملائى فى مواقف شديدة الاحراج ، فكل الاتصالات التليفونية التى اتلقاها فى البيت مثلا ترد على أصحابها بأنى غير موجود ، ثم لاتبلغنى بها بعد عودتى للبيت ، حتى لم يعد لنا أصدقاء بالمرة وأصبح الجميع يخشون دخول بيتنا لاحساسهم بأنها لاترحب بهم ، وأصبحت مهمتى فى الحياة الآن هى استرضاء هذا والاعتذار لذاك ، كل ذلك ياسيدى والانفاق بغير وعى مستمر ، والاسراف بغير الاحتياط لغدر الزمن وعثرات الطريق على اشده، وأنا أقول لنفسى اننى اخذتها من أهلها معززة مكرمة . . لذا فيجب الا اجرحها بكلمة وإذا حاولتُ ان انصحها أو اتفاهم معها يزداد النقاش حرارة ثم تعود إلى ماكانت عليه بلا تغيير .

إن الكارثة هى ان أهلها يتصورون أننا فى أسعد حال ونعيش أسعد أيامنا لاننى لم اتعود الشكوى منها وطوال سنوات زواجى لم انطق بكلمة واحدة لأهلها أوأهلى أو اصدقائى عن معاناتى معها ، وهكذا فان الجميع يتخيلون اننا سعداء مع انى أعيش فى الجحيم . . وقد فكرت فى الانفصال عنها ليس طلبا للانجاب ، واقسم لك على ذلك ، وإنما طلبا للراحة والحياة العادية بلا توتر ولا عصبية ولا مشاكل مستمرة مع الناس أجمعين،

وأنا اعلم ان الانفصال يعنى الموت بالنسبة لها . . لكن ماذا أفعل وأنا اموت ايضا معها كل يوم وقد بلغتُ الأربعين ولم يعد فى العمر مثلما مضى منه . . فهل تنصحنى بالانفصال عنها . . ام تنصحنى وتنصحها بشىء آخر لعلها تهتدى ويصبح لحياتنا معا معنى ؟

□ **ولكاتب هذه الرسالة أقول** : بعض الزوجات لديهن اطمئنان عجيب إلى الغد وإلى انهن مهما فعلن مع أزواجهن فانهن لن يتعرضن لمحنة الطلاق والانفصال . . وهذا وهم خاطئ لأن الاناء إذا امتلأ بما فيه فاض عن جوانبه مالا تعرفه بعض هؤلاء الزوجات هوأن الرجل قادر على اتخاذ قرار الانفصال فى أى مرحلة من العمر إذا سلَّم باليأس والفشل فى إمكان تغير زوجته وانصلاح أحوالها معه . . بل لعله اقدر على اتخاذ هذا القرار الصعب حين يتقدم به العمر عنه وهو شاب فى مقتبل حياته الزوجية وموارده محدودة وأطفاله الصغار يشدُّونه إلى بيته ويصعب عاطفيا عليه فراقهم ويحس بحاجتهم إليه لرعايتهم والاشراف على تنشئتهم . وبسبب هذه الحقيقة التى لايعرفها كثيرون نفاجأ أحيانا برجال فى مراحل متقدمة نسبيا من العمر تصل فى بعض الأحيان إلى مابعد سن المعاش يتخذون فجأة هذا القرار . . ويتعجب البعض له . . أما هم فلا يعجبون له لأنه طلاق مؤجل منذ زمن طويل حالت الظروف دون الاقدام عليه إلا فى حينه . تماما كالقنبلة الزمنية التى تبدو مجرد قطعة من الحديد الصامت ثم تدوّى بالانفجار فجأة . . والسبب دائما هو غياب الحب والتفاهم والتراحم بين الزوجين منذ البداية ، لهذا فإن استمرار بعض الزيجات ليس دليلا على نجاحها وإنما قد يكون مؤشرا فقط إلى ان موعد الانفجار لم يحن

أو ربما إلى ان القنبلة قد أصابها العطل من أثر ضيق ذات اليد !

وفى رأيى دائما ان الحب والتراحم وحسن المعاشرة والرعاية هى الضمان الوحيد لاستمرار سفينة الزواج طافية فوق الأمواج وان غياب العاطفة قد يعوضه حسن المعاشرة أو الرغبة المشتركة فى تجنيب الأبناء مشاكل التمزق بين الأبوين وهو دافع نبيل يكفى وحده ليبرر للإنسان تحمله لظروف حياته الخاصة أما ان يغيب الحب والتفاهم وحسن المعاشرة والرعاية وفى حياة زوجية لا أبناء فيها يخشى الزوجان عليهم من مغبة الانفصال . . فأى شىء يمكن ان يبرر استمرار مثل هذه الحياة وتحمل جحيمها كل يوم ؟

إن زوجتك يا صديقى فيما اتصور من هؤلاء الزوجات « المطمئنات إلى غدهن » بغير أى مبرر لهذا الاطمئنان الغافل العجيب ، وهى فى تقديرى تتعمد إبعاد اصدقائك وزملائك عنك متوهمة بذلك أنها تستحوذ عليك وتبعدك عن أسر اصدقائك واطفالهم مخافة ان تحس بنقصهم فى حياتك . وهو سلاح ضار تلجأ إليه بعض الزوجات ممن يواجهن هذه المشكلة فيزدن حياة ازواجهن تعقيدا بدلا من الرضاء باقدارهن ومحاولة التعايش معها وتوفير الحياة الطبيعية العادية لهم حتى لايزدادوا احساسا بجفاف حياتهم مع العزلة وافتقاد الأصدقاء والحياة الاجتماعية المشتركة . ولست انصحك ياصديقى باتخاذ قرار الطلاق كبداية لحل المشكلة . . لكنى انصحك فقط بأن تنقل إلى زوجتك الاحساس بأنك تستطيع إذا يئست من اصلاح أحوالها أن تتخذ هذا القرار بسهولة خاصة انه لايقيدك فى اتخاذه قيدُ الأبناء ، واتصور ان مجرد اقتناعها بذلك قد يكفى لتغيير الكثير مما تشكو منه ،

فزوجتك - فيما يبدو - من هؤلاء الزوجات اللاتى يحتجن إلى الإيمان بكلمة الفيلسوف الألمانى نيتشه : « عش فى خطر» بحجة ان الاحساس بالخطر يستنفر طاقات الإنسان للدفاع والتمسك بالحياة مما يسهم فى ترقيتها. وفى حالة زوجتك فإن فلسفة « عش فى خطر » سوف تفيدها فى اثارة حماسها لبذل بعض الجهد والمهارة للحفاظ على ما بين يديها بدلا من ان تفاجأ وهى غافلة بدوِّى الانفجار! .

الدعــاء

هل قرأت قصة الزوجة الصالحة التى ماتت فدفنها زوجها فى حديقة منزله حتى لايبعد جثمانها عنه بعد ان فارقته روحها ؟ . وهل عرفت كيف أخفى نبأ موتها حتى لاينتزعها أحد منه ثم علم أخوتها بالأمر وتدخلت الشرطة وتم إستخراج جثتها وتبين ان ميتتها طبيعية وانه لا شبهة جريمة فيها حدث وإنما هو وفاء نادر من زوج لزوجة أحسنت عشرته وأحبته بالرغم من انها كانت أكبر سناً منه فعزَّ عليه فراقها بعد موتها . هل قرأت هذه القصة الجميلة ؟

لقد دفعتنى لأن أروى لك قصتى وأهديها للأزواج السعداء الذين انعم الله عليهم بالزوجة الصالحة حتى يحافظوا عليها ويعرفوا لها فضلها وقدْرها، فقد ماتت زوجتى منذ فترة غير مأسوف عليها بعد حياة زوجية شقية تعيسة ، فلم اصلِّ على جثمانها لنذرٍ نذرته على نفسى ألا أفعل بل رحت أردد هذا الدعاء منذ خروج روحها حتى تم دفنها وهو: اللهم ضيِّق عليها قبرها . . اللهم احشرها فى زمرة إمرأة أبى لهب حمَّالة الحطـب . . وكثيراً ماأزور قبرها وأناجيها بهذا الدعاء. فلقد حرمتنى ـ لاغفر الله لها ـ من ثلاث وأهدتنى ثلاثاً : حرمتنى من المودة والرحمة والسكن وأهدتنى

الكراهية والنفور والبرود . وقد ترتب على ذلك التالى :

●● حرمانى من حقوقى الشرعية كزوج منذ ليلة الزفاف حتى يوم وفاتها !

●● كانت عوناً للدهر علىَّ ولم تكن عوناً لى على الدهر !

●● لم أجد عندها الصدر الحنون بل كان صدرها شوكاً وقنفذاً !

●● انكرت خيرى ولم تعترف لى بجميل قط !

●● كانت تمطرنى دائماً بوابل من قذائف لسانها وكان لسانها أحدَّ من السيف وأشد مرارة من الحنظل وكانت تستخدم أحياناً قبضة يدها كعامل مساعد للِّسان !

فكنت معها الزوج العَزْب رغم انى كنت أعيش معها تحت سقف واحد ونتقاسم فراشاً واحداً لكن جسدها كان محرماً علىَّ وجسدى محرماً عليها فلا ملاطفة ولا كلمة طيبة ولم أر وجهها أبداً بل رأيت دائماً فى الفراش قفاها وحتى يوم الرحيل . فما رأى الدين فى ذلك ؟

□ **ولكاتب هذه الرسالة المفزعة أقول :** أعوذ بالله . . ولماذا قبلت استمرار الحياة معها كل تلك السنين ؟ ولماذا لم تسرحها بإحسان وتتزوج بمن تجد لديها السكن والمودة والرحمة وتمنحك حقوقك المشروعة بدلا من اختزان كل هذه الكراهية والحقد عليها سنوات طويلة ثم إفرازها أو «تقيؤها» بعد رحيلها فى شكل هذا الدعاء المُنكر وهذا الحديث البغيض عمن أصبحت بين يدى خالقها ولايجوز لأحد إلا أن يطلب لها الرحمة ؟

بل ولماذا تقبلت يا سيدى هذا الهوان وتحملت قذائف اللسان الأحدّ من السيف وقبضة اليد الثقيلة وأنت كما توحى رسالتك لم تنجب منها ولم

تسعد معها منذ البداية !

لقد كان الحل الكريم متاحا لك فى كل وقت حتى لو كنت فى أشد الحاجة مادياً إليها ، إذ ليست هى « الحرّة وحدها التى لا تأكل بثدييها » وإنما الحرّ أيضاً هو الذى يأبى لنفسه المهانة ولو كان فى رفضها هلاكه . فأين كنت من هذا الحرّ كل هذه السنين ؟

أنك تسأل عن حكم الدين فيمن تهجر فراش زوجها وتسىء عشرته وحكم الدين فيها معروف إذ أن هجر فراش الزوج بلا مبرر مشروع معصية للخالق توجب غضبه على من ترتكبها . . وهو من أهم أسباب الطلاق المشروعة كما أن سوء العشرة أيضاً من أسبابه المقبولة . . لكنك لم تسأل عن حكم الدين أيضاً فيمن يستمطر اللعنات على الراحلين وفيمن يدعو على شريكة حياته مهما كانت أسباب هذا الدعاء المنكر ؟ وليس بخاف عليك أننا قد أُمِرنا بأن نذكر محاسن موتانا فإن لم تكن لهم محاسن كفيناهم اذى اللسان والدعاء وتركنا حسابهم لخالقهم ! فإن كنت قد نشرت رسالتك رغم بشاعتها فإنما لأقول للبعض أنه كما أن الطيب من الأعمال لاُينسى لصاحبه فإن سيئ الأفعال أيضا لا يُنسى له عند البعض الآخر وإن طال الزمن أو فرّق الموت بين الشركاء . . فليصنع كل إنسان لنفسه إذن «ذِكرها» بعد ان تبين ان الموت لاُينهى أحقاد البعض حتَى على الراحلين والسلام !

ابتسـامة الغـروب !

قرأت رسالة « الدعاء » المفزعة التى يتحدث فيها كاتبها عن زوجته الراحلة حديثا بشعا ويدعو ربه ـ غفر الله له ـ أن يضيّق عليها قبرها الخ وأريد ان أروى له ولك قصتى .

ففى مثل هذا الشهر منذ سبع سنوات تعرفت على فتاة شابة فى مناسبة هامة فى حياتها هى يوم حصولها على دبلوم المعلمات . . . وبعد أسبوع بالضبط كنت قد خطبتها وعقدت قرانى عليها وعدت إلى الدولة العربية التى أعمل بها لاستكمال سنوات الاعارة . . ومضى عام على القران تراسلنا خلاله وتبادلنا أجمل مشاعر الحب والوفاء ثم عدت فى الاجازة فى الشهر الذى تعرفت عليها فيه منذ عام وتم الزفاف ، وتحول الحلم السعيد الخاطف إلى حقيقة جميلة . . وفى اليوم التالى مباشرة جاء الأهل ليهنئونا . . وراحت حبيبتى تتحرك سعيدة ومزهوة بحبنا وسعادتنا فإذا بها تسقط فجأة مغميا عليها بينهم فاضطرب البيت بمن فيه وأسرع أهلها فنقلوها إلى غرفتها . . وأفاقت من غيبوبتها بعد فترة قصيرة لكنها ظلت نائمة بعدها فى فراشها ولا تستطيع ان تستقبل أحدا . . وعرفت منها أنها تعانى من مرض يسبب لها هذه الغيبوبة على فترات متباعدة وأنها تشكو منه منذ

عامين . . فعاهدتها ألا يكون لهذا المرض أى تأثير على حياتنا الزوجية وقلت لها عبارة ظلت ترددها فيها بعد عنّى . . وهى أن السليم قد يمرض والمريض قد يشفى بإذن الله . . كما كررت عليها أيضا نصيحة الأم العربية لابنتها المقبلة على الزواج وهى : كونى له أرضا يكن لك سماء . . وكونى له أمة يكن لك عبدا وكونى له شمسا يكن لك قمرا . .

فكانت هى شمس حياتى منذ أول لحظة جمعتنا فيها الحياة معا وبدأنا رحلة العلاج الشاقة . . وعرفت أن زوجتى الشابة الملائكية تعانى من بؤرة صرَعية فى الجهة اليمنى من المخ تفقدها وعيها من حين إلى آخر لمدة دقائق لكنها تبقى بعد كل نوبة نائمة لفترة طويلة . وحملت زوجتى الجميلة بثمرة حبنا وأراد الله سبحانه وتعالى أن يحفظ عليها جنينها فلم تأتها النوبات خلال فترة حملها إلا متباعدة ولم تصادفها لحكمة أرادها إلا وهى جالسة أو نائمة فلم تسقط على الأرض مرة واحدة طوال فترة الحمل ثم وضعت مولودها وبدأت النوبات تتوالى عليها بكثرة كأنما أذن الله لها ان تنطلق من عقالها بعد أن حبسها عنها معظم فترات الحمل فجاءت شقيقتها لتقيم معنا وترعى الطفل الوليد الذى حُرم من الرضاع من أمه حرصا عليه كما أمرنا الأطباء . وظلت اختها مقيمة معنا حتى تم فطام الوليد ثم أصبحت شقيقاتها تتناوبن زيارتنا مرة كل أسبوع فتقوم احداهن بغسل الملابس وطهى الطعام الذى يكفينا خلاله وسعدتُ بذلك لأنى أخشى عليها من الوقوف فى المطبخ حتى لاتفاجئها النوبة فتسقط على البوتاجاز المشتعل أو خلال قيامها بعمل من أعماله . وكنت أقوم أنا بشئون البيت والمطبخ بقدر ماتسمح به معرفتى ووقتى فأصنع طعام الافطار لنا فى الصباح وأترك

طعاما للطفل حتى لاتضطر زوجتى للذهاب للمطبخ فى غيابى وانهض فى الليل للقيام بما يحتاج له الطفل وتعجز امه عن القيام به . . ولا أدع لها عملا تؤديه الا تسخين الطعام للغداء والعشاء وأنا واقف بجوارها ثم نقوم معا بإعداد المائدة ونجلس لتناول الطعام سعيدين ضاحكين متعاطفين ، وفى أحيان كثيرة كنت أسهر على غسل الأوانى عقب نومها وبعد أن أغلق النوافذ حتى لايرانى أحد من الجيران كما كنت أقوم أحيانا بغسل الملابس فى الليل بيدى إذا تأخرت اختها حتى لا يسمع أحد صوت الغسالة ويعرف ما أفعل وكنت أقوم بكل ذلك راضيا وصابرا وقد تناسيتُ حقوقى الزوجية إلى أن يأذن الله بالشفاء ثم مضت بنا الأيام ونحن على هذا الحال راضيَيْن بما ارادته لنا الأقدار . . وفى كل يوم جمعة نقرأ بريدك لنتخفف به ونتعزى بما فيه من هموم الآخرين ونقول فى كل أسبوع وربما فى صوت واحد أن الحمد لله أن حياتنا لاتعرف هذه المشاكل . إلى أن جاء العام الماضى وزادت النوبات الصَـرَعية وحار الأطباء فى أمرها واجروا أشعة بالكمبيوتر فإذا بها تكشف عن ورم فى المخ ولابد من اجراء جراحة سريعة وخطيرة ومكلفة ماديا . وبفضل الله ومساعدة الأهل والأصدقاء تم ادخالها معهد ناصر واجراء الجراحة لها على يد استاذ عظيم ورافقتُها فى المستشفى قبل وبعد الجراحة أرعاها وأخدمها وأسهر على راحتها وأحلم معها باليوم الذى نعود فيه إلى عشنا الصغير ونستأنف حياتنا الوادعة الهادئة معا وبعد شهر عدت بها إلى بيتى كأنها هى عروس تُزف إلى زوجها لأول مرة . . لكن رحلة العلاج استمرت واضيفت لها جلسات كهربائية يومية على المخ . . وجاءت شقيقتها مرة أخرى لتقيم معنا وتذهب معها إلى المعهد حين أعود

أنا من العمل لأجلس مع الطفل . . وانتهت الجلسات وتنفسنا الصعداء . . لكنه لم تمر سوى ستة شهور فقط الا وعاد الورم اللعين مرة ثانية إلى المخ وفى نفس المكان . . وعدنا إلى نفس الجراح الكبير وقام باجراء الجراحة للمرة الثانية ونجحت مرة أخرى والحمد لله وعادت الفرحة إلى قلبى وكانت أمها هى التى ترافقها هذه المرة فى المستشفى واذهب لزيارتها كل يوم . . فلا تأكل حتى آتيها وأطعمها بنفسى ولا تتناول شرابا إلا من يدى وقد ازدادت رقة وملائكية وجمالا . . وبعد أيام فاجأتها غيبوبة تامة طويلة فتم نقلها إلى العناية المركزة ولم تعد تشعر بشىء أو يوقظها شىء إلا حين اقتربُ منها وتحس بلفح أنفاسى على وجهها فتفتح عينيها وتنظر إلى نظرة طويلة تحمل ظل ابتسامة خجولة كأنها تقول لى بها أحبك واشفق عليك مما عانيته معى لكن لا ذنب لى فيما حدث . . ثم تغمض عينيها مرة أخرى وتغرق فى الصمت الذى يحيط بها . . وكنت اناجيها . . وأهمس لها وأؤكد لها أنى أحبها ولست نادما على يوم واحد عشته معها وأدعو لها ربها ولا أغادر موقفى بجانبها إلا بالحاح من الأطباء وفى اليوم الرابع من غيبوبتها الطويلة جئت إليها وانحنيت عليها واحسَّت هى بلفح انفاسى ففتحت عينيها ولكن لنظرة قصيرة تحمل ظل ابتسامة متعجلة ثم أغمضتهما على الفور وكان الوقت عند الغروب فتشاءمت وأحسست بقرب الفراق . . ولم تمض فترة قصيرة إلا وكانت نفسها الوادعة المطمئنة قد عادت إلى بارئها فى صمت . وهدوء وبدأت المراسم الحزينة ووقفت على اعدادها للرحيل كما أوصتنى بذلك وتأملتها وهى تنام هادئة مطمئنة فإذا بوجهها أكثر جمالا مما رأيته يوم القران وليلة الزفاف وكل أيامى معها . . وقد اكتسى بجلال ملائكى أعجز عن وصفه وأحاطت به هالة من نور شفيف فجلست إلى جوارها اقرأ لها سورتى يس وتبارك . ثم تجمع الأهل والأصحاب لوداعها فشاركت فى حملها إلى رحلتها الأخيرة على كتفى وأنا

اردد لا إله إلا الله . . لاباقى إلا وجهك اللهم فارحمها واعف عنها واغفر لها وافسح لها فى قبرها واجعله روضة من رياض الجنة . . وجاف الأرض عن جنبيها اللهم أجمع بينى وبينها وصِلْ ما انقطع بيننا فى رحابك يوم يكون اللقاء . . اللهم تقبل منها وعوضها عن كل مالم يمهلها العمر للاستمتاع به فى جنتك يا أرحم الراحمين .

وظللت اردد لها هذا الدعاء حتى وواريت الثرى . . وعدت إلى بيتى الخالى . . ومازلت أردده لها كل يوم . . وقد مضت أيام على رحيلها وانطوت صفحتها القصيرة قبل أن تبلغ الثلاثين من عمرها وقد لاحظت فى غمرة اشجانى أنها قد رحلت عن الحياة وعنى فى نفس اليوم الذى عقد فيه قراننا منذ سبع سنوات وفى نفس اليوم الذى تم فيه زفافنا منذ ست سنوات . . فادع لى ربك بالصبر والاحتمال . . وادعه لابنى الذى يبلغ من العمر الآن ٥ سنوات ويحسب ببراءة الأطفال أن امه فى سفر قصير ينتظر عودتها منه بلهفة . أما أنا فدعائى لك وللجميع هو : اللهم لا تفرق بين حبيبين من بعدى اللهم فاجعل لمن ليس له حبيب حبيبا يحب الحياة من أجله ويحس معه بجمالها . . ربنا وتقبل دعاء . . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

□**ولكاتب هذه الرسالة أقول** : مما يعزِّى المرء عن بعض أحزانه استشعاره الرضا عن نفسه لأنه لم يخذل أحدا . . ولم يتسخط على قدر اختاره له الله . . ولم يخن نفسه ولاواجبه الإنسانى تجاه من تطلع إلى وفائه فكان له من الأوفياء وكان للآخرين فى محنتهم حيث يجب ان يكونوا له هم فى شدائد الحياة .

ولاشك أنك يا سيدى تحس ببعض هذا الرضا عن النفس الآن إذْ كنت خير شريك لمن أحببت ولمن جمعت بينك وبينها الحياة خلال هذه الرحلة القصيرة التى لم تطل أكثر مما يطول شفق الغروب . . ولابد أن زوجتك

الراحلة كانت ملائكية الروح والطبع وتستحق وفاءك واخلاصك لأن « المرء مع من أحب » كما جاء فى الحديث الشريف أى تجمعهما غالباً شمائل وخصال متشابهة ونظرة متقاربة للحياة .

لقد قال أحد الشعراء يوما « ولا يبعث الأحزان مثل التذكر ». وهذا صحيح . . ولكن أى نوع من الأحزان؟ أهى الأحزان التى تُقْسى القلب وتصبغه بالسواد وتضع بينه وبين البشر السدود فلايتمنى لأحد خيرا ولايرق لآلام أحد ؟ إن كانت كذلك لحق لنا أن نستجيب لنصيحة عمر بن الخطاب حين قال لاتستفزوا الدموع بالتذكر ، أما إذا كانت من الأحزان التى ترقق المشاعر والقلوب وتكسبها رهافة وشفافية تئن معها لآلام الغير . . وتتمنى لو استطاعت أن تخفف عن الآخرين بعض ماقاسته هى وعانت منه ؟ فلا بأس بالتذكر من حين لآخر . . بلا مغالاة وبلا استغراق فيها يحجب عنا رؤية ضوء الشمس حين تشرق من جديد بعد ظلام الأحزان . . ولا شك أن أحزانك من هذا النوع الذى يضيف إلى الحياة ولايخصم منها وليس ادل على ذلك من أمنيتك الصادقة للجميع بالا يُحرموا ممن يحبون بعد أن قاسيتَ لوعة الحرمان ممن تحب وهى أحزان لايملك المرء إلا أن يقف أمامها حانىَ الرأس داعيا لك ولكل المحزونين بان يجفف الله دموعهم ويعينهم على أمرهم بقلب صبور ونفس متطلعة إلى رحمته والى موعدها مع السعادة بعد الشقاء .

فليتقبل الله دعاءك للآخرين ودعاء الآخرين لك ولطفلك البرىء . . وليعوضك الله عن آلامك خيرا كثيرا وشكرا لك على رسالتك النبيلة .

الندم !

قرأت رسالة الزوج التى نشرت بعنوان « الدعاء » والتى يتحدث فيها زوج عن زوجته الراحلة ويصف عذابه معها ويستمطر عليها اللعنات حتى ليدعو وهى لم تُوارَ التراب بعد : اللهم ضيّق عليها قبرها إلخ والحق إنى أعيش ظروفا مماثلة لظروف كاتب الرسالة لكنها تختلف عنها فى ثلاث نقاط :

- ان زوجتى مازالت على قيد الحياة وانى ادعو لها الله دائما بأن يغفر لها ما كان منها فى حقى طوال ٢٥ سنة
- ان لى ابنا منها قد يكون هوما دعانى إلى الصبر عليها طوال هذه السنين حتى استطيع تنشئته بين أبوين قد لايكونان سويين لكنهما على الأقل على قيد الحياة ولم ينتحر احدهما أو يقتل الآخر .
- ان كاتب رسالة الدعاء رغم ان زوجته حرمته من نفسها منذ ليلة الزفاف وحتى ماتت فلقد كان على الأقل يستمتع بالنوم إلى جوارها فى فراش واحد سواء أعطته وجهها أو قفاها كما قال أما أنا فانى أنام وحيدا فى غرفة مستقلة منذ ٢٥ عاما .

ولست ازعم أنها السبب الوحيد فيما وصلنا إليه وإنما اعترف بأن جزءا من المسئولية يقع علىَّ بصبرى عليها وبعدم تمسكى بحقوقى الزوجية

المشروعة معها . . وقد كان وجود ابن بيننا مما شجعها على التمادى فى الخطأ ودعانى إلى التجاوز عنه .

والآن اسألك يا سيدى وقد تخرج ابنى وتوظف واديتُ رسالتى أليس من حقى ان اتزوج إذا كان فى العمر بقية ؟

أرجو ألا تلومنى على أنى اخطأت بهذا الانتظار فالظروف تجبر الإنسان أحيانا على قبول حياة لايرضاها تضحيةً منه لهدف كبير . . ولقد كان ابنى الوحيد هو هدفى ولست نادما على انى تكبدت المعاناة والحرمان طوال هذه السنين من أجله وحتى لو ندمت . . فهل ينفع الندم؟

☐ **ولكاتب هذه الرسالة أقول** : لا ياسيدى لا ينفع الندم . لهذا فلا تندم على ماكان من أمرك طوال السنين الماضية ، فلقد اخترت التضحية بسعادتك الشخصية من أجل هدف سام هو رعاية ابنك وتنشئته تنشئة سوية فانقذتَه بذلك من التمزق النفسى بين أبوين منفصلين . ولا شك انك تحس الآن بالرضا عن نفسك لأن تضحيتك كانت لها ثمرة تستحق العناء لإنضاجها أما من يحقُّ له الندم والحسرة فعلا فهو من تكون تضحيته بلا ثمن ولا عزاء وأنت لم تكن لحسن الحظ كذلك ولا شك ان إنسانا عادلا مثلك لايعفى نفسه من بعض المسئولية عما تردت إليه الأمور ولا يعتقد أن الخطأ دائما هو حكر على الطرف الآخر يستحق ان تدخر له الدنيا سعادة مؤجلة تعوضه حين يشاء الله عما عانى وصبر . . وتكون جائزته العادلة عما قدم للحياة . وفى العمر بقية دائما ياسيدى لمن شاء له ربه حسن الجزاء .

الشـــهود!

منذ قرأت رسالة « الدعاء » فى أواخر الصيف الماضى للزوج الذى راح يستمطر اللعنات على زوجته الراحلة لأنه لم ير منها سوى « قفاها » معظم حياته معها ، وأنا أريد أن أكتب إليك أيضا قصتى التى لا أعرف لها عنوانا ملائما ، فقد حرمتنى زوجتى هى الأخرى المودة والرحمة وأهدتنى الكراهية بطول لسانها وعدم خشيتها لله والناس أنها يا سيدى لاتقبل نصحاً ولا توجيها ولاتنصاع لشىء ولو كان الضرب وقد استنفدت معها كل وسائل الاصلاح فوجدت نفسى بعد ١٠ سنوات من حياتى معها اعاشر زوجة ناكرة للجميل أنانية قاسية مع أولادها تجلس إلى المائدة مع أولادها وهم صغار وتنصرف إلى طعامها وهى مقطبة وتترك أطفالها لما أمامهم من طعام بغير أى محاولة لترغيبهم فيه فإذا رجوتها ان تفعل قالت بكبرياء أنها لا تدعو أحدا إلى الطعام ! تتشاجر معى ٢٥ يوماً كل شهر ونعيش ٥ أيام فقط فى هدوء نسبى ، تدَّعى أنها تربوية ولاتعرف كيف تربى ابناءها وتهاجمنى أمامهم وتولول وتشكو بصوت عال منهم ومن سوء تربيتهم وأخلاقهم كأنهم ابناء سيدة أخرى لم تسمع باسمها من قبل !

حياتها تنحصر فى شيئين سيرة الآخرين والشكوى الدائمة من كل شىء والويل كل الويل لى ان لم استمع باهتمام ولم أجاملها بتأييدها فى أى

شكوى ، ورغم ذلك فهى فى حالة شجار دائم معى ومع الناس ومع الأولاد والجيران ، وتحرص على ان تشرك أولادى الصغار الذين لايزيد عمر أكبرهم على ٩ سنوات فى كل شجار أو نقار بينى وبينها وتتعمد ذلك بحجة ان يكونوا شهودا علىّ ! أى على أبيهم وهم فى هذه السن الصغيرة ! لقد يئست من كل شىء ومن محاولات الاصلاح بعد ان شكوتها لأهلها مرّة فكانت الطامة الكبرى إذ كيف اشكوها وكيف اذيع اسرار بيتى خارج جدرانه مع ان كل جيراننا يسمعون نشرة اخبارنا اليومية من صوتها الجهورى ومشاجراتها التى لاتنتهى .

إننى أعمل عملا اتعامل فيه مع الجمهور واعود إلى بيتى مكدودا لا أطلب إلا السلام والراحة والهدوء فلا أنال شيئا مما أبغى وقد لاحظت للأسف أن ثمار النكد المستمر قد اينعت ، فالولد الكبير قد ترهل وأصبح بدينا لأنه لا أحد يراقب طعامه ولأنه لايخرج كثيرا ، والأوسط يعانى من السرحان والتوهان وعدم الأكل إلا بالترهيب أو الترغيب الشديدين والولد الأصغر لديه نزعة عصبية زائدة ورغبة فى التدمير ، وهم الثلاثة طوال فترة صحوهم يتلاحمون ويتناوشون ويتناهشون باستمرار كأشبال الحيوانات الشرسة !

فهل تستمر معاناتى مع هذه الزوجة إلى الأبد أم اطلقها وأنا لا أعرف كيف أسدد ماسوف تطالبنى به من مؤخر وقائمة اثاث ونفقة وحضانة أطفال ، لقد استشرت محاميا صديقا فنصحنى بأن اصلح من أمورى معها وأمرى إلى الله لأنى موظف ولست قادراً على مجابهة متطلبات طلاقها، واستشرت مأذونا فنصحنى بهجرها بضعة شهور ثم الزواج عليها وللأسف

فإن ظروف العمل والسكن لاتسمح لى بالهجر داخله ولا بالزواج حاليا . . فماذا أفعل وهل لو طلقتها أجد من يمكن أن تكون أمًّا صالحة لأطفالى الثلاثة هؤلاء بدلا من أمهم المزيفة هذه ؟

□ **ولكاتب هذه الرسالة أقول :** أنا من مؤيدى صديقك المحامى لأنه يعرف ظروفك بأفضل مما أعرفها أنا ولابد أنه يرى ان هناك بصيصا من الأمل فى اصلاح الحال بينك وبين زوجتك أوأنه لا أمل اطلاقا فى مواجهة تحديات مشروع الانفصال المادية ، ومن نكد الدنيا ان يصبح حتى الانفصال البغيض فى بعض الأحيان ترفاً لايقدر عليه إلا القادرون !

وسواء كان هذا السبب أو ذاك فان ثلاثة من الأطفال الصغار لم يبلغ أكبرهم العاشرة ، مسئولية إنسانية كبيرة تفرض عليك ان تحاول مرة أخرى وألا تستسلم كثيرا لأحلام اليقظة التى تهيئ للمكدودين أحيانا إمكانية تغيير حياتهم وتحقيق أحلامهم الوردية بغير عناء . فالواقع يختلف كثيرا عن الخيال ، والابناء الصغار الذين يحتاجون لرعاية الأبوين مهما كان اعتراضنا على أسلوب أحدهما أو أخطائه ، يفرضون على أهل الاحساس بالمسئولية ان يعملوا أحيانا بما أورده أبو حيان التوحيدى « فى الامتاع والمؤانسة » نقلا عن حكيم اسمه محمد بن واسع من أنه « ينبغى على الرجل ان يكون مع المرأة كما يكون أهل المجنون مع المجنون . . يحتملون منه ويصبرون عليه» ، وان كنت أؤمن شخصيا بأن نفس هذه المسئولية تفرض أيضا على المرأة ان تكون مع الرجل كأهل المجنون مع المجنون بنفس القدر ولنفس هذا الهدف النبيل .

فتخفف من تشاؤمك ولا تفقد الأمل فلا شك ان حياتك لابد أنها

تشهد بعض فترات الصفاء والهدوء وأنك تستطيع ان تزيد من مساحتها تدريجيا بالصبر والحكمة . . إن زوجتك مخطئة بلا شك فى ميلها للنزاع والشجار وفى اهمالها لأطفالها وفى منطقها الخاطئ تماما فى اشهادها لهم عليك . بل وفى مجرد أشعارهم بأى شجار أو خلاف معك وينبغى ان تتوقف عن ذلك تماما وأن تحجبا معا كل مشاحناتكما العادية عن مرأى ومسمع الأطفال بقدر الامكان ، وعليك أنت أن تحاول تعويض أطفالك ما ينقصهم من جوانب الرعاية ، وان تعتصم بالصبر معها وتسمع لشكاواها بأناة واهتمام وتشجع مبادراتها ومحاولاتها ، وان تتعامل معها بنظرية محمد بن واسع حتى النهاية حرصا على الأطفال فإما ان تثمر النظرية ثمارها وتسعدا معا بحياتكما ، وأما ان تكسبا سنوات أخرى قبل أن يتحطم المعبد فوق الرؤوس .

ولاشك أن هذا هو الأفضل فى مثل ظروفك فابتسم فما تشكو منه شكا منه قبلك كثيرون بعضهم من العظماء والفلاسفة ! لقد ماتت زوجة الناقد الإنجليزى العظيم صمويل جونسون وكانت تكبره بعشرين سنة فوضع على قبرها شاهدا رخاميا نقش فوقة باللاتينية هذه العبارة :

« جميلة . . مهذبة . . ماهرة . . تقية » . .

وبعد وفاتها بقليل سُئل هل كانت كما وصفتها حقا فأجاب فى هدوء ، أن المرء لايقسم على أن يقول الحق حين يكتب مايريد على شواهد القبور! .
وغير جونسون كثيرون فلا تبتئس !

الدوائـر المتقاطعـة

داومت على القراءة لك والاعجاب بما تكتب فترة طويلة لكن ذلك لم يشبع فضولى فى الإجابة على سؤال يلح عليّ وأريد أن أوجهه لك هو: « هل أنت متزوج »؟ طبعا أنت متزوج ! إذن فمن اين تأتى بهذا «الرَوقان » والصبر والخبرة التى تتجلى فى ردودك ؟ لقد كان لابد من هذا السؤال حتى اقص عليك قصتى العادية جدا المأساوية جدا . فأنا ياسيدى متزوج ـ للأسف ـ وعندى والحمد لله طفلان جميلان ! ولست أدعى خبرة الحياة لكنى مع ذلك تزوجت حبيبتى بعد قصة حب قوية وعارمة قهرنا خلالها صعابا كثيرة وتعاونا معا لاتمامها وساعدنا أهلها وهم من ذوى الثقافة والحياة الميسورة ، وساعدنى أبى الموظف الكبير فى ذلك الوقت قدر طاقته . وتم الزواج الذى كان حلما جميلا لكنه مع مرور السنوات ومجىء الأطفال ظهرت أوجه الاختلاف بيننا فى كل شىء . فى التفكير والتنفيذ والنظام حتى فى طريقة الأكل وأصبحنا غرباء فى العش السعيد الذى حلمنا به . فهى حادة وصارمة مع طفلينا إلى أقصى حد تتخيله وتتبع نظاما قراقوشيا عجيبا معهما فيما يتصل بمواعيد الأكل والنوم . وأنا بحكم عملى وهو عمل خاص يقتضى أن أعمل صباحا ومساء أفهم ضرورة النظام فى أى حياة لكنى حاولت مرارا افهامها أن مازاد عن حدِّه انقلب إلى ضده ولكن

هيهات أن تقتنع . وعند أى خلاف عابر حول الأطفال مثلا أو أى شىء تستطيع ان تسمع صوت سليلة الحسب والنسب وخريجة الجامعة الأمريكية . . وأنت عند باب العمارة ! . وحتى اتجنب الفضيحة بين الناس ولكيلا نتضارب ونتماسك وهذا آخر ما أتوقعه فقد تنازلت عن حقى فى الدفاع والزعيق بطريقة غوغائية كما تفعل هى . . وأنا كبشر لى اخطائى ككل إنسان لكنى استطيع ان اتقبل النقد بروح رياضية . . بل وأحب النقد البناء الذى تعتبره هى إذا مارسته معها بمنتهى الرقة قذفا وسبا علنيا يستدعى الاساءة إلى شخصى والتأكيد على إنى جلنف وفلاح وان «الملافظ سعد ياعبد العال» إلى آخره ثم يعلو صوتها بحدة وانفعال شديدين ولا مانع من الاساءة إلى الوالدين الكريمين فى الطريق فأجدنى فى النهاية مشتركا معها فى وصلة ردح بصوت خفيض من جانبى وصوت حيَّانى من جانبها . لقد أَثرتُ السلامة وابتعدت عن تربية الأولاد أو النصح وتركت للمربية العظيمة الدقيقة جدا فى كل شىء التى ضحت بعملها ومرتبها الكبير لتتفرغ لأسرتها هذا العبء وأصبحت الحاكم بأمره لكنى أعانى الوحدة ياسيدى فلقد قامت زوجتى بقطع كل صلاتنا بالأصدقاء الكثيرين الذين كانوا حولنا ولولا تمسكى بأن أزور أهلى من حين لآخر لكان من نعرفهم من أهل الأرض جميعا هم أبواها واخوتها . أرجو الا تتصور أنى طيب أكثر من اللازم معها . . فانى فى الحقيقة أراعى فقط طفلىْ ومصمم على أن ينشآ فى أسرة طبيعية بغير ان يحسا بأى مشاكل بيننا ولو اضطرنى ذلك للانسحاب من المناقشات أمامها حتى لايرتفع صوتنا ويتسلل الخوف إلى قلوبهما . . فأنا حريص على توفير جو الأمان النفسى

الذى تطالب أنت بتوفيره دائما للأطفال . . فلماذا لاتتوجه بالنصح لمثل هؤلاء الزوجات لتعمَّ الفائدة . . وإذا كنت ترانى مقصرا فى حق نفسى أو طفلى أو مركزى الاجتماعى المرموق فأرجو ان توجهنى . . فإنى لم اختلف معك فى رأى من قبل ولن اختلف معك إذا رأيتنى مقصرا فى هذه المشكلة التى حولت بيتى إلى جحيم أتمنى الخلاص منه بأى شكل .

□ **ولكاتب هذه الرسالة أقول** : من أسس الحب والسعادة فى الزواج سلوك الزوجين سلوكا نفسيا حسنا أحدهما بالنسبة للآخر . . وتجاه الحياة بشكل عام . والتسلط والعناد والتشبث بالرأى والعصبية الشديدة فى التعامل مع الآخرين وانفلات الأعصاب إلى حد التراشق بالكلمات الجارحة والصوت العالى ليس من قبيل السلوك النفسى الحسن الذى يحقق السعادة والاستقرار للحياة الزوجية .

وظهور الاختلاف بين مشاربكما بعد الحب والزواج ليس فى حد ذاته أمرا مستغربا فالشاعر الألمانى العظيم جوته يقول : إنه يندر ان تجد بين أوراق الشجر ورقتين متشابهتين تمام التشابه وأنه لاعجب إذن فى أنه يندر أن ترى أيضا بين البشر اثنين تتفق آراؤهما وأساليب تفكيرهما تمام الاتفاق .

والوعى بهذه الحقيقة ييسر علينا التسليم بحق الآخرين فى الاختلاف عنا فى تفكيرهم وأسلوب حياتهم ويقنعنا بأنه يستحيل علينا ان نجعل منهم نسخاً مكررة منا ومن طريقة تفكيرنا لكن المهم دائما ان تتقاطع دوائر الاتفاق مع من نشاركهم رحلة الحياة على مساحة كافية لاستقرار الحياة واطرادها فى أمان ومودة وسلام . وان تكون دوائر الاختلاف هامشية بعيدة بقدر الامكان عن أمور الحياة المصيرية والرئيسية . والزواج ياصديقى فى

رأى الكاتب والعالم «هافلوك أليس» أقوى دافع تعليمى فى مدرسة الحياة كلها!

ومن أهم مانتعلمه منه هو الصبر والمرونة والاستعداد للتنازل عن بعض مطالبنا اليسيرة لكيلا تتحطم سفينة الزواج على صخرة العناد الغبى. ومن أهم مايجعل ملاحة هذه السفينة هادئة وناعمة هو استقرار الاحترام فى نفسى الزوجين كل منهما تجاه الآخر حتى وان اختلف معه فى بعض آرائه. والحرص على توفير الأمان النفسى للأطفال وتجنيبهم التفرج على حلقات المصارعة الزوجية الحرة أمر مطلوب دائما ويعكس استعداد كل طرف للتضحية ببعض اعتباراته الشخصية من أجل اسعاد ابنائه. لكنه لابد دائما أن يكون حرصا متبادلا بين الطرفين وليس من جانب واحد فقط وإلا تحول إلى نقطة ضعف لايقدرها الآخر حق قدرها فيتمادى فى تسلطه وغبائه. ورأيى دائما ان الصوت البشع المدوى الذى يسمع به الآخرون هو ضد التفكير السليم والرأى الراجح لأنه صوت الانفعال الأحمق وليس صوت العقل. والعقل والانفعال لايجتمعان أبدا فى نفس اللحظة. والمرأة التى يعلو صوتها على زوجها تفقد نصف اسلحتها للاقناع وتسحب بغير وعى من رصيدها فى قلب زوجها مهما كان مفتونا بها. وكذلك الرجل حين يعلو صوته مدويا على زوجته فالاحترام بين الزوجين وتجنب كل منهما الاساءة لشخص الآخر والقذف فى حق أبويه وأسرته من بديهيات دوام حسن العشرة وتعميق الروابط بينهما. فإذا تجاوز أحدهما هذا الخط الأحمر فى علاقته بالآخر فلقد جرحه جرحا غائرا يرسب المرارة فى نفسه ويمهد لتحول مشاعره عنه تدريجيا إلى أن يأتى يوم يكتشف فيه ان أشياء كثيرة قد

تربط بينه وبين من يعاشره كالأبناء وغيرهم لكنه ليس من بينها بكل تأكيد الحب والاعتزاز بشريك حياته فيسهُل عليه فى الوقت المناسب التخلى عنه بلا معاناه .

وبعض الزوجات وكذلك بعض الأزواج لايتعلمون الحكمة إلا بعد ان تصدمهم الحقائق القاسية . . وبعد ان يفاجأوا بانهيار المعبد فوق رءوسهم. وأسرع الطرق المؤدية إلى ذلك هى الانفعال الأحمق والصوت العالى وتراكم الإساءات . فلتحذر زوجتك هذا المصير . . ولتخفف من غلوائها وإدلالها عليك بأسرتها التى تريد ان تقصر علاقاتكم عليها . . ولتعلم ان لكل صبر نهاية وانه ليس من حق من تعامى عن المقدمات الخطيرة ان يشكو سوء النهايات . أما أنت ياصديقى فوازن بين حرصك على تجنب الفضائح وبين حقك فى ممارسة مسئولياتك كأب وزوج ينبغى على زوجته ان تحرص على احترامه وعدم المساس بكرامته الشخصية مهما اختلف معهافى الرأى . ولابأس من الاستعانة بأبويها عليها ، عند الضرورة لاقناعها بعدم تجاوز الحدودفى خلافاتها معك . ولتذكيرها دائما بأن المرأة الجميلة تفقد جمالها فى اللحظة التى يرتفع فيها صوتها بشعا مدويا . كما حاول أيضًا ان تجنب استثارتها بالكلمات القاسية حتى ولو قيلت بصوت خفيض. . فالصوت الخفيض قد يُدمى أيضا بأكثر مما يفعل أحيانا الصوت العالى . والحياة ياسيدى ملاحة صعبة تتطلب من الربان كل فنون الصبر والخوف والمهارة والخبرة بالنفوس البشرية لكى تمضى إلى غايتها سالمة. . وربما كان هذا ماتقصده بكلمة « الروقان » « الغريبة» فى بداية رسالتك. . وماهـو كذلك فى الحقيقة. . لكن شـكرا لك علـى أيـة حال .

أماكن .. فى القلب

أكتب إليك رسالتى هذه بعد أن جفت الدموع فى عينى وفقدت كل شىء حلو فى حياتى . . ولم أعد اعرف سوى طعم المرارة ولم أعد انظر حولى إلا لأرى السواد يحيط بى من كل جانب فأنا زوجة وأم لثلاثة أبناء أكبرهم فى التاسعة عشرة وأصغرهم فى العاشرة من عمره وعمرى ٤٥ سنة وأعمل موظفة باحدى الإدارات الحكومية .

وكان زوجى مديرا ماليا فى إحدى الشركات وعمره كعمرى تماما . . ومنذ ثلاث سنوات بدأ يشكو من ورم فى ساقيه ورحنا نتردد على الأطباء . . فبدأ أحدهم بعلاجه علاجا خاطئا أثّر على وظائف بعض أعضاء جسمه ودخلنا فى متاهات طويلة انتهت فجأة بأن أسلم حبيبى وعمرى وشريك حياتى روحه بين يدى ورحل فى هدوء الملائكة وأنا أتشبث به . . وأريد أن أفديه بعمرى وأعطيه كبدى . . لقد مضت الآن على رحيله خمسة شهور لم أعرف خلالها طعما لشىء ولا أفرق بين النوم والصحو أسير فى الطريق والدموع فى عينى انظر للشوارع التى سرنا فيها معا . . والأماكن التى جلسنا فيها . . ولا أشعر بالزحام حولى ولا اسمع إلا صوته ولا أرى إلا وجهه فى كل مكان . . فى بيتى وفى عملى وفى وجوه الناس الذين يملأون الشوارع . لقد كان جميلا فى كل شىء فى روحه وطيبته وحنانه

وتدينه وبرِّه بوالديه لكنه ذهب ليسعد عند ربه بما فعل من خير فى حياته . . وتركنى وحدى أبحث عنه وأحسد التراب الذى ينام عليه ولقد فكرت أن أكتب لك هذه الرسالة بعد أن تنبهت إلى انى سأفقد اشياء أخرى ثمينة بعد أن فقدت أهم ما كان فى حياتى برحيل زوجى فلقد استسلمت منذ أيام لنوبة البكاء الطويل التى تغلبنى كلما عدت إلى البيت فجاءنى ابنى الصغير وسألنى لماذا تبكين يا أمى انك ستموتين أنت ايضا بهذه الطريقة ؟ فلم أشعر بنفسى إلا وانا أقول له فى زفرة من القلب المكلوم : يا ريت .

فإذا بالصغير يقول لى فى براءة : ونحن يا أمى . . ماذا نفعل بغيرك . . وبغير أبى . .

فاهتززت وارتجفت . . ونظرت إليه طويلا وأنا صامتة وفكرت فى عبارته البريئة وتأثرت بها كثيرا فوجدت نفسى انهض فأتوضأ وصليت ركعتين لله واستغفرت ربى كثيرا . . ودعوت لزوجى بأن يسعد فى الجنة بما لم يمهله العمر ليسعد به فى الحياة ودعوت لأولادى بأن يحميهم الله من غوائل الحياة بعد ان غاب عنهم مرشدهم ودليلهم والمظلة التى كانوا يحتمون بها . . ودعوت لنفسى بالصبر والقوة . .

أرجو الا تقول لى ان إيمانى ضعيف . . فأنا مؤمنة بالله وقضائه وقدره . . لكنها لوعة الفراق ياسيدى . . ماذا افعل فيها !

وماذا تقول لى لتعيننى على أمرى من كلماتك التى تداوى الجراح .

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول** : أحزان الحياة الكبيرة يا سيدتى تتطلب شجاعة أكبر لاحتمالها والصمود لها وتفادى آثارها المريرة فى الفترة الأولى التى يكون لهيبها فيها متأججا .

والحزن احساس إنسانى نبيل عرفه الأنبياء والرسل والمصلحون ولم يعبه

أحد على غيره الا للخوف من أن يكون مدخلا لليأس والاستسلام والانسحاب من الحياة مما يفتح الباب لتمنِّى الرحيل . . وتمنِّى الموت حرام شرعا ياسيدتى . .

ولا شيء كالإيمان بالله والتسليم بإرادته والصبر والصلاة يعينان الإنسان على مهادنة أحزانه والتعايش معها إلى أن يخفت لهيب الأوار تدريجيا مع الزمن . . ويتحول الحزن اللاذع إلى حزن رفيق يصاحب المحزون فى حياته ولايعوقه عن اداء واجبه الإنسانى العام تجاهها وتجاه من يتحمل أمانة المسئولية عنهم .

وأفضل ما ينُصح به المرء للتخفف من احزانه هوالانشغال عنها بكل مايستحق الاهتمام به من شئون الحياة العديدة كالاستغراق فى العمل ورعاية الأبناء والمشاركة فى النشاطات الاجتماعية وخلق اهتمامات وصداقات وعلاقات اجتماعية جديدة . . وتجنب الانفراد بالنفس لفترات طويلة . . وتجنب كل ما يذكِّر الإنسان بأحزانه خلال فترة تأججها الأولى فافعلى كل ذلك يا سيدتى . . واستمعى إلى صوت البراءة الحكيم الذى أنطقه الله بما قال لينتشلك من أحزانك . . والتمسى العزاء والسلوى عمن غاب عنك فى رعاية ابنائك ومراقبة تجدد الحياة وتواصلها فيهم مكررة نفس الرحلة الأبدية ففى ذلك كثير من العزاء لك . . وفى ذلك كل الأمل فى التغلب على الأحزان . . وفى عدم مضاعفة الآلام باضافة ماقد يصيبنا من خسائر صحية جديدة إلى ماقد خسرنا من قبل بفقد الأعزاء .

الموعـد الأخيـر !

منذ أربع سنوات كتبت إليك أننى سيدة عمرى ٢٩ سنة تزوجت منذ ١١ عاما . وصاحبت زوجى المعار إلى إحدى الدول العربية ووجدت سعادتى معه وعشت معه فى بيت من الطين ولم أطمع فى ماله ولم أغير اثاث شقتى فى القاهرة ، وان زوجى طيب وحنون ويحلم بانجاب ولد لكنى حملت ٥ مرات وفى كل مرة اتعرض للاجهاض بعد ٤ أو ٥ شهور ولمتاعب صحية جمة بعده رغم حرصى على اتباع تعليمات الطبيب واستلقائى على ظهرى طوال فترة الحمل وقد حذرنى بعض الأطباء من الحمل مرة أخرى بعد الاجهاض المتكرر فكتبت إليك استشيرك ماذا افعل وهل اجازف بالحمل مرة أخرى ارضاء لزوجى فنشرت رسالتى بعنوان «الموعد» ونصحتنى باستشارة طبيب كبير فى القاهرة أولا فان اشار بعدم خطورة الحمل مرة أخرى حملت تحقيقا لأمل زوجى فيه وإذا حذرنى منه كان على ألا أعرِّض حياتى للخطر وان ادع لزوجى ان يختار لنفسه ما يراه ، وقد نفذت نصيحتك وذهبت لأستاذ كبير فى القاهرة فأجرى لى فحوصا عديدة ووصف لى علاجا أمرنى بالمواظبة عليه لفترة طويلة ثم نصحنى بضرورة ربط عنق الرحم فى حالة الحمل من جديد وعدت لزوجى ومضت ٣ سنوات لم أحمل خلالها ثم حملت منذ ٨ شهور وتصادف حملى مع نشوب

حرب الكويت وإعلان الطوارئ فى البلد الذى نقيم فيه فلم استطع العودة للقاهرة مع العائدين خوفا على حملى من السقوط وأصبحت حياتى كلها نوما متواصلا لمدة ٢٤ ساعة على السرير ولا أغادره رغم إعلان حالة الطوارئ وسقوط الصواريخ ونداء التليفزيون للسكان بالنزول إلى الطابق الأرضى من العمارة عند اطلاق صفارة الانذار . . فكان السكان ينزلون عند اطلاق الصفارة واظل أنا فى سريرى اقرأ القرآن وادعو الله بالنجاة لجنينى قبلى وكان زوجى خلال ذلك يعمل فى وزارة تتطلب حالة الطوارئ مبيته فيها فكنت لا اراه إلا كل ثلاثة أيام فيجئ ليطمئن على ويقدم لى الطعام ويغسل لى ملابسى ثم ينصرف وأنا أودعه بالشكر والدعاء بأن يحفظه الله من كل سوء .

ثم بدأت حالة الطوارئ تنتهى فطلبت من الطبيب ادخالى المستشفى لأريح زوجى من خدمتى المتواصلة إلى جانب عمله ودخلت المستشفى وامضيت فيه ثلاثة شهور كاملة والطبيب والممرضات سعداء بحملى السادس الذى لاحت بشائر نجاحه هذه المرة وفى الرابعة من بعد ظهر كل يوم يكون زوجى أول من يدخل المستشفى عند السماح بالزيارة فيقدم لى الطعام فى السرير ويمسح فمى ويدى بفوطة مبللة بعد الأكل ويقدم لى العصير . . وأنا احرص على عدم تحريك أى عضلة فى جسمى خوفا على الجنين حتى لقد كنت أصلى فى شهر رمضان بجفونى فقط . . وزوجى لا يكف عن الدعاء لى وعن قراءة القرآن الذى أتمه فى رمضان ٣ مرات . وقرب نهاية الشهر السادس من الحمل فاجأنى النزيف وامر الطبيب بنقلى إلى غرفة الولادة فورا . ولم أشعر بشىء إلا فيها . . والاطباء يقررون اجراء ولادة

قيصرية لى ويستكتبون زوجى اقرارا بعدم مسئوليتهم عن حياتى لأن وضع الجنين غير سليم . . واستغرقت العملية وقتا طويلا ثم عدت إلى رشدى فإذا بالجميع يضحكون ويهنئوننى بانجابى ولدا !

وانفجرت دموعى . . ثم غبت عن الوعى مرة أخرى وفتحت عينى بعد فترة فوجدت زوجى أمامى يبكى فرحا فقلت له انى قد أنجبت ولدا وغبت عن الوعى مرة أخرى وبعد اسبوع غادرت المستشفى وعدت إلى بيتى الذى ابتعدت عنه ثلاثة شهور . . وبدأ زوجى يمر على ابنى فى المستشفى كل يوم ليراه من وراء الزجاج فى غرفة الحضَّانة التى قرر الأطباء بقاءه فيها حتى يستكمل نموه الطبيعى ويعود زوجى من المستشفى سعيدا . . وبدأت استرد قواى ببطء فإذا بجرس التليفون يدق بعد أيام وبالطبيب يعزينا وكلهُّ أسف فى وليدنا الذى تحملت عذاب الدنيا كله لانجابه وإذا بممرضة طيبة تبكى فى التليفون وتطالبنا بالصبر !

لقد مر شهران الآن يا سيدى على هذا اليوم الحزين فقدت خلالهما كل معنى للحياة . . وفقدت كل شىء حتى زوجى الذى أصبح لايتكلم معى من يومها ولا اراه إلا غارقا فى أحزانه وصامتا . . فهل قصرت فى شىء ياسيدى ؟ لقد عرَّضت حياتى للخطر ٦ مرات خلال ١٥ سنة وأصبح عمرى الآن ٣٣ سنة ولم يعد مقدورى ان اجازف مرة أخرى . . فماذا افعل؟ هل اطلب الطلاق من زوجى . لقد استشرت احد الشيوخ هنا فنصحنى بأن أعود إلى بلدى وحدى أولا لكى اتعود الحياة وحيدة بدون زوج ثم أطلب الطلاق بعد ذلك وأنا افكر فى ذلك لأن رحمى لن يتحمل الحمل مرة أخرى . . فهل ترى ذلك أنت أيضاً ؟

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول :** ياسيدتى لايكلف الله نفسا إلا وسعها . وأنت قد قدمت كل مافى وسعك وتحملت مالا طاقة لك به لتحققى لنفسك ولزوجك أمل الإنجاب وشاءت ارادة الله غير ما اردتما ـ فماذا فى مقدورك ان تفعلى أكثر من ذلك ؟ ان الرحمة والعدل يطالبان زوجك بأن يقدر لك جهادك وتعريضك حياتك للخطر ٦ مرات متتاليات لارضائه وتحقيق أمنيته فيعفيك من أى لوم حيث لا وجه للومك . ومن صمته وابتعاده عنك ويقدر لك حسن معاشرتك له خلال ١٥ سنة وفَّرتِ له خلالها مالا يقل قيمة عن الانجاب . . وهو اطمئنان القلب إلى شريك يحسن مصاحبته ويرفُق به ويتعاطف معه ويحرص على اسعاده ويتحمل العذاب والآلام من أجله . . ويقنع بكل ما يقدمه له ولو كان قليلا ، وهل سعادة الحياة الزوجية إلا كل ذلك أو بعضه حتى ولو شابها نقص الانجاب؟

لقد قيل لحكيم فى اسطورة صينية قديمة : حظ سعيد . . انجبت زوجتك ولدا فقال : شكرا للسماء ولكن من أدراكم انه حظ سعيد ؟ ومن أدراكم انى سوف اسعِد ولن اشقى به إذا كبر . . أو يحترق كبدى عليه إذا ألمَّ به مكروه . . انى اقول شكرا لكنى لا أعرف ان كان حظا سعيدا أم غير سعيد !

ونفس المنطق يمكن أن ينسحب على أشياء كثيرة فى الحياة لاينبغى أن نغالى فى تهللنا لها . . أو فى تخوفنا منها ، ذلك أننا لا نستطيع ان نجزم بأنها سوف تحمل لنا السعادة كما نأمل . . أو الشقاء كما نتخوف ، وإنما ينبغى دائما أن نتقبل شاكرين ما تسمح لنا به الحياة من أسباب ونلتمس العزاء

عما ينقصنا منها فى باقى جوانب حياتنا التى قد تعوضنا عنه وتخفف من أحساسنا بنقصه .

ومأساة الإنسان كما يرى المفكر الفرنسى مونتسكيو هى إنه يريد ان يكون « كالآلهة » قادرا على تحقيق كل شىء لنفسه ! وهذا هو أكبر حائل بينه وبين السعادة الحقيقية لأننا بشر ولسنا آلهة ويجب ان نقنع بذلك ونقتنع به ونكف عن نطح الصخر طلبا لأسباب لم تشأ ارادة الله لحكمة تخفى عن الافهام ان تنعم علينا بها .

لهذا كله فإنى لا انصحك بالتسرع فى العودة ومفارقة زوجك وإنما انصحك بالصبر عليه إلى أن يستعيد نفسه ويتخفف من احزانه ويسترجع توازنه بعد صدمته فى أمله أو موعده الأخير للانجاب . . ثم قد أرى لك بعد ذلك ان تناقشيه بهدوء . . وتطالبيه بأن يفصح عن رغائبه بصراحة فإذا أراد ان يكون أحد من عناهم الإمام الحسن بن على بقوله « من اعتمد على حسن اختيار الله له لم يرض بغيره » كان خيرا له ولك وتواصلت الحياة بينكما بلا منغصات بعد التسليم بارادة الله . . وان أبى الا مواصلة السعى وراء الانجاب وأراد ان يستخدم رخصته فى الزواج من أخرى لهذا الهدف مع الإبقاء عليك فالرأى لك ان اردت الاستمرار معه فلكل إنسان ان يختار سعادته كما يراها ويقبل بها ولا لوم عليك فى ذلك . . وان اخترت الانفصال . . فمن يدرى فلعل الله يهيئ لك حياة جديدة تعوضك عن آلامك السابقة وتمسح عنك أحزانك .

أما إذا اراد هو نصيحتى فانى انصحه بأن يكون ممن يعتمدون على حسن اختيار الله لهم . . وان يرضى بما اتاحته له الحياة من أسباب السعادة والا يفرط فيك لهذا السبب وحده كما ينبغى لأهل العدل والرحمة والوفاء من أمثاله وشكرا .

الفـــائز !

تأثرت بقراءة رسالة الجائزة الثانية التى كتبها قارئ عن معاناته مع زوجته فدفعنى ذلك لأن اكتب رسالتى هذه. فأنا رجل فى الخمسين من عمرى تزوجت منذ ٢٥ عاما ولى ٦ أولاد منهم ٣ فى التعليم العالى ـ اثنان على وشك التخرج ان شاء الله ـ واثنان فى الثانوى وواحدة فى الابتدائى . وكانت زوجتى طالبة عندى فى المرحلة الاعدادية اعجبتنى اخلاقها وتعقلها وتصرفاتها فتقدمت لخطبتها وكنت وقتئذ فى إعارة للتدريس باحدى الدول العربية ثم تزوجنا وسافرنا معا . وانجبنا أولادنا الواحد بعد الآخر فمرت حياتنا كشهر عسل مستمر من ٢٥ عاما . ولك ان تتخيل هذا ـ والحمد لله ـ إذ لم اسمع يوما من زوجتى كلمة نابية أو تأففاً بل لم أسمع منها مطلقا مايزعجنى أو يؤلمنى أو يجعلنى أندم على اختيارى لها . بل كانت لى الأم الرءوم والزوجة الحنون والحبيبة المخلصة وكنت لها الأب العطوف والزوج المخلص والأخ الحنون والحبيب والأليف والصديق . ولا اذكر طوال هذه الفترة ـ التى اعتبرها قصيرة من عمرينا ـ اننى أسأت معاملتها يوما أو أهدرت لها كرامة أو خدشت لها حياء وإنما كان الحب والود والوفاء والتضحية والاخلاص هى المظلة التى تظل بيتنا . وأنا غالبا ما أناديها فى البيت بـ « حبيبتى » أو « روحى » أو «حياتى » بتلقائية طبيعية

وعفوية عادية دون نفاق أو رياء وهى كذلك حتى أن أولادنا بعد ان كبروا بدأوا يتندرون علينا ـ باحترام طبعا ـ فتأتى ابنتى الشابة إلى احيانا وتقولى لى : كلِّم روحك تقصد ان أمها تطلبنى بل ان أولادنا يقولون لنا احيانا نريد ان نراكما مرة تتشاجران كما نسمع من أصحابنا أو نرى فى التليفزيون فنقول لهم ضاحكين هيهات ان يحدث هذا ! ولن يحدث باذن الله . وهذه المودة والرحمة انتقلت تلقائيا إلى أولادنا فهم يحبون بعضهم بعضا ويضحى كل منهم من أجل الآخر ويؤثره على نفسه بل انى إذا أردت ان اعاقب أحدهم على ذنب يستحق الحساب والعقاب انبرى لى الآخرون كلٌّ يدافع عن أخيه ولا أجد ازاء هذا الحب إلا الصفح عنه بعد أن أعرِّفه بخطئه وأنا ممتن شاكر لله على نعمته التى انعم بها على . والحمد لله رغم اننى لاأنال من المال إلا ما يسد حاجاتنا الضرورية إلا اننى اعتبر زوجتى وأولادى والستر من الله هم ذخيرتى ومالى وثروتى فى الحياة . وارجو الا يعجب أحد إذا قلت ان شريكة عمرى ورفيقة دربى وكفاحى ـ لم تبت ليلة واحدة خارج بيتها طوال هذه المدة لابسبب ولابدون سبب . ولم تغادر بيتنا يوما غاضبة وان حدث بيننا خلاف على أى أمر من الأمور فيلتزم كل منا جانبا ولا تمر ساعة وربما أقل إلا وقد عاد الصفاء والوئام مرة ثانية ويأخذ كل واحد منا فى اقناع الآخر بوجهة نظره بوعى وهدوء وروية حتى نزيل أسباب سوء الفهم .

وإن حدث ـ وهو نادر ان خاصم أخ اخاه ـ وهذا كثيرا ما يحدث بين الأشقاء فى هذه السن فلا يهنأ لها بال إلا بعد أن تعيد حبال المودة بينهم وتعيد الصفاء بين قلوبهم ورغم كل ذلك فكم عانت وقاست من أجلى وأجل أولادها وكم ضحت وكم سهرت الليالى على آلة الخياطة لكى توفر

لأولادها مايحتاجون إليه ولايستطيع ان يوفره راتبى المحدود ورغم انها تتألم من ظهرها إلا أنها تتحامل على نفسها وتضحى من أجل ذلك . وان طلب أحد الأبناء شيئا ولا استطيع أن البى طلبه فلا يهنأ لها بال حتى توفره له بمزيد من التضحية ومزيد أكثر من العناء والمشقة ، ورغم كل ذلك فلم اسمعها يوما تشكو ولم تطلب منّى يوما ما لا أستطيع أن اوفره لها حتى لاتشعرنى بالعجز رغم احساسى بما تحتاجه . وقد مرت بنا بعض الليالى لم نجد فيها ما يكفى عشاءنا ومع ذلك فكنت تجدنا ضاحكين مستبشرين وننام شاكرين الله على فضله ولانسمع لها شكوى ولا تبرما ولا سخطا ولا نسمع منها سوى الحمد لله على كل شىء. فالى كل رجل أقول تستطيع أن تهنأ بحياتك أكثر منى إذا كان الحب والتفاهم والاخلاص والإيثار والتضحية هى الأسس التى تبنى عليها حياتك على ان يكون اختيارك لشريكة حياتك على أساس سليم ودون تسرع وارتجال ولاننسى قبل ذلك وبعده ان التوفيق من الله أما أخى صاحب الرسالة « الجائزة الثانية » فإنى أطلب له من الله أن يجعل له من أمره فرجاً وأن يصبر حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا . ولقد كان فى ردك عليه ما يشفى صدره وصدر أمثاله وإلى زوجته ومثيلاتها أرجو ان يتقين الله فى أزواجهن وأولادهن وأطلب لهن من الله الهداية والتعقل وان يتراجعن عن غيهن لأنه من الشيطان حتى ينلن رضاء الله فى الدنيا والآخرة ولتعلم كل زوجة أنها إذا نامت وزوجها غاضب عليها لعنتها الملائكة حتى الصباح والسلام .

□ **ولكاتب هذه الرسالة أقول** : ذلك هو الفوز العظيم !

فلقد فزت بجائزة الزواج الأولى يا سيدى . وهى السعادة وحقّ لك ان

تنعم بها أوتيت من فضل . . فمن أوتيها فقد أوتى خيرا كثيرا . ان هناك أشياء كثيرة فى الحياة يستطيع المال أو النفوذ ان يحققاها ، لكن هناك شيئين على وجه التحديد لايستطيع نفوذ الأباطرة ولا أموال الدنيا شراءهما هما : والصحة . . والحب « وهذان فى الدنيا هما الرحماء » بالإنسان على حد تعبير امير الشعراء . . وهذان هما غاية ما يحلم به كل إنسان عاقل فى حياته . . لكنه لاينالهما أبدا إلا من رحم ربُّك وربها نال غيرهما الكثير فلا يكون له قيمة فى غيابهما . . ولا يعرف السعادة الحقة بغيرهما . . فالحمد لله كثيرا على ذلك ولعلك سمعت صوت طرقات أصابعى على خشب المكتب . . إتقاء للحسد . أتم الله عليك نعمته . وشكرا .

السـلة !

أرجو ان يفتينا أحد فى هذا الأمر لأنه قد التبس علىّ وعلى زوجى وكلانا والحمد لله لايستحلُّ شيئا إلا بالحق . . الموضوع باختصار اننا زوجان نعمل فى إحدى الدول العربية ويتقاضى كل منا راتبا لكن راتبى ـ مع الأسف ـ يكاد يساوى ضعف راتب زوجى وأنا كزوجة أرى اننى يجب ان اشارك فى نفقات الأسرة . . ومايتبقى راتبى بعد ذلك فهو لى ومن حقى ان اضعه فى حسابى الخاص بالبنك وزوجى يرى أننا يجب ان نضع مرتبينا معا فى أول الشهر فى « سلة » واحدة ونصرف منها ثم نقتسم ماتبقى بعد الانفاق بالتساوى ، وفى هذه الحالة فان نصيب زوجى الذى سيتبقى بعد الانفاق سيساوى راتبه الأصلى تقريبا فى حين ينخفض نصيبى كثيرا . . فما هو حكم العدل فى ذلك ؟

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول** : مايعرضه زوجك ليس له سند من الشرع فالرجل ملزم شرعا بالانفاق على زوجته وأولاده ، وليس له ان يجبر زوجته حتى ولو كانت قادرة على الاسهام فى الانفاق على البيت ومن حق الزوجة ان تحتفظ براتبها لنفسها فى ذمة منفصلة عن ذمة زوجها المالية هذا من ناحية المبدأ . . لكن ذلك لايمنع من استرضاء النفوس بشىء من الاسهام فى نفقات الأسرة إذا رغبت الزوجة فى ذلك طواعية واختيارا حرصا

على حسن العلاقات وتعميقا لها . . وبشرط ان يكون ذلك تطوعا من الزوجة وليس اجبارا . وفى ظروفك الخاصة فالعدل هو ان تسهمى بقدر معقول فى نفقات الأسرة وان تحتفظى لنفسك بما يتبقى من راتبك ، لكى تتوافر لزوجك بعض المدخرات التى تشعره بالأمان للمستقبل ولكيلا يصبح الفارق بين مدخراتك ومدخـراته هائلا . أما حـكاية السـلة هذه فلا داعى لها !

الخــبر !

بعد عشرين عاما من الزواج الذى اثمر حفنة من الأبناء احس انى لم أشعر يوما بالراحة فى بيتى ولم اعرف مذاقها فإذا سألتنى ولماذا صبرت كل هذه السنين ؟ أجبتك انى كنت اتعلق بخيط واه من الأمل فى ان ينصلح حال زوجتى أو ان تنزل من السماء صاعقة فتريحنى منها أو تريحها منى ، ثم لأنى فى فترة المسكنة من جانبها فى بداية الزواج قد سلَّمت لها كل ما املك ، وأصبحت لا املك إلا مرتبى ، واتنقل بين عملى الأساسى وعملى الإضافى لأواجه اعباء الحياة المرعبة ، ثم أعود إلى بيتى محطما فاجد زوجة متسلطة مستنزفة ازدادت مع السنين حماقة ورغبة فى الاستحواذ على كل شىء واندفاعا فى ايذائى بالكلام الجارح الذى اصمت ازاءه لأنى مكتوف اليدين خاوى الوفاض ، وقد ازدادت الأمور سوءا منذ فترة قصيرة حين ورثتُ إرثا متواضعا يحق لرجل فى الخمسينيات مثلى ان يأمل فى ان يحتمى به من الزمن ، فاعلنت علىّ الحرب الضارية للاستيلاء عليه واستأثرت بأبنائى وحرضتهم علىّ واشعلت فيهم الرغبات المادية ، وراحت تنهال علىّ كل يوم بشتائمها فلا أرد عليها حتى لايعرف الجيران لمن توجهها. وتستنزفنى بشراء مالا أو افق على شرائه من مطالب البيت اليومية بالدينْ ثم مواجهتى بالأمر لكى اسدد ثمنه وتشمت فى خسائرى وتقلل من شأنى

بالرغم من ثقافتى بالمقارنة بشهادتها المتواضعة ، ثم بلغت الذروة منذ أيام حين أرسلت إلى أحد ابنائى ليزفَّ إلى خبرا سعيدا فهل تعرف ماهو هذا الخبر ؟ لقد قال على لسانها وبكل تبجح ان امى تبلغك ان هناك من يرغب فى الزواج منها إذا أنت طلقتها ، وان ذلك الراغب يملك نقودا كثيرة تلبى مطالب الأبناء وتجعل من بيتنا « جنة» فانظر ماذا ترى ! هذا والله ياسيدى مابعثت به ابنى ليقوله لى ولا داعى لذكر موقفى بعد ان سمعت هذا الكلام الذى لا أعرف هل هو صحيح أم أنه حلقة جديدة من الحرب النفسية ، ولست اكتب لك لأطلب منك ان تنصحها فهى مريضة ولن تستجيب لأى نصيحة . . واقاربها متبلدون وأقاربى متباعدون وليس لى مهرب أفر إليه كلما ازدادت البذاءة ، ولا أصدقاء اشكو لهم وكل ما أريده هو انيس وجليس اشكو إليه ولديه غرفة أو سكن صغير انجو فيه واقيم به إقامة مؤقتة أو متقطعة كلما عجزت عن مواصلة الاحتمال أو سيدة متقاربة لى فى السن تقبلنى زوجا لها على ان أقيم معها فى أى مكان فانى أريد ان اتنفس هواء سليما . . واتحدث فى أمور جادة واعطى بعض خبرتى وقراءاتى وأحس أنى مع آدميين ولست مع مَرَدَة أو شياطين . . وارجو ان تنجدنى سريعا فأنا مهزأ فى بيتى . . ومحترم جدا خارجه . . وهذه هى الكارثة . . وشكرا .

□ **ولكاتب هذه الرسالة أقول** : يا إلهى لماذا تنهال علىّ « العجائب » هذه الأيام بكثرة ؟ أتبعث إليك زوجتك بابنها ليقول لك ان هناك عن هو على استعداد لأن يتزوج أمه إذا طلقتها أنت ؟ وأنه ـ بشرى للصابرين ـ أغنى منك وسوف يلبى كل مطالبهم ويحيل حياتهم المتقشفة معك إلى جنة

بعد خروجك منها باذن الله ؟

أهى من علامات الساعة ياسيدى أم ماذا جرى للدنيا ؟ ان من حق زوجتك ان تطلب منك الطلاق إذا شاءت . . لكنه ليس من حقها ان تنزل بعلاقة الابناء بأبيهم إلى هذا الحضيض ولا أن تفسد عليهم قِيمهم فتقنعهم جدًّا أم هزلا بأن هناك من هو أفضل من أبيهم لأنه يملك نقودا ولن يبخل عليهم بشىء حتى ولو كنت مقترا عليهم أو غير مصيب فى حجب ميراثك المتواضع عن الاسهام فى تخفيف صعوبات حياتهم. لأنه لايجوز لأم تعرف معنى الأمومة ان تقنع الأبناء بأن هناك من هو أفضل من أبيهم بالنسبة لهم مهما كانت المبررات والدوافع ولايجوز لها ان تطلق لسانها فيه امام ابنائه. ولست افهم كيف تتحمل كل هذه البذاءات والاهانات صامتا لكيلا يعرف الجيران انك المقصود بها فاللعنة على كل الأشياء إذا أُمتُهنت كرامة الأب عمدا أمام ابنائه أو كرامة الأم أمام أبنائها ، وهناك دائما دوائر للإتفاق والاختلاف فى الحياة الزوجية لكن كل خلافاتها لايجوز ان تمس دائرة كرامة الأبوين أو تهز صورتها فى مخيلة الأبناء ، وهذه مسئولية مشتركة بين الطرفين فراجع نفسك أولا ياسيدى لترى هل أنت محق فى ادخار هذا الارث كله للمستقبل أم ان حياتكم تحتاج فعلا إلى جزء منه لمواجهة مطالب الحياة المتزايدة . . وحاول ان تجتذب ابناءك إليك بعطفك وتفهمك لاحتياجاتهم وان تقنعهم بمنطقك بغير الاساءة لأمهم وحكِّم بينك وبينها العقلاء من أهلها وأهلك فإذا حكموا لك كان بها وان حكموا لها فلا معنى للسماح لارث متواضع بهدم أسرة لها حفنة ابناء وقبل التحكيم وبعده لابد ان تُلزمها بالكف عن بذاءاتها واساءاتها لك وبمواجهة ذلك

الأمر بحزم فان استمرت فى غيِّها جاز لك ان تفعل ماتريد . . وعندها يبدأ التفكير فى الحل الأخير . أما «الخبر» الذى زفته إليك زوجتك فهو بالطبع هُراء رخيص . . إذ اين هو ذلك المعتوه الذى يرحِّب بزوجة سليطة اللسان من خلفها عصبة من الأبناء بعضهم فى سن الشباب وكلهم ينتظرون دخول جنة الدنيا بأمواله ؟

صـــراع الدِيَكـــة !

ترددت أكثر من عام فى أن أكتب لك ، وقبل أن أسرد لك مشكلتى أرجو ألا تهملها لأنك أصبحت الملاذ الأخير لى لحلها . وأبدأبأن أقول لك أنى طبيب شاب تخرجت منذ حوالى عشر سنوات وبدأت حياتى العملية فى الريف ثم فى القاهرة وكنت والحمد لله ناجحاً فى عملى ومنذ ٥ سنوات تعرفت على فتاة جامعية من أسرة متوسطة مثل أسرتى وأعجبت بها وصارحتها بأعجابى وبحالتى المادية بكل صراحة ووجدتها تبادلنى نفس الاعجاب وتقدر ظروفى مما شجعنى على التقدم لخطبتها ، وقوبلتُ بالترحاب وبدأ الأعجاب المتبادل بيننا يتحول إلى حب بين الطرفين . وتَساندنا فى الكفاح لكى نحقق احلامنا وحصلتُ على الماجستير وبدأت بوادر انفراج الأزمة حين حصلتُ على فرصة للسفر إلى إحدى الدول فتزوجنا وسافرنا بعد الزواج مباشرة وبدأنا حياتنا الزوجية فى هذا البلد الغريب . وسارت الأمور فى العمل على مايرام . . أما فى البيت فلم تكن كذلك ، فلقد بدأت الخلافات بينى وبين زوجتى منذ الأيام الأولى ومعظمها بسبب تدخلها فى كل صغيرة وكبيرة فى حياتى حتى علاقاتى فى العمل وحتى أسلوب تعاملى مع الناس ، فإذا قابلتُ أحد الأشخاص وهى معى ودار بينى وبينه حديث تضمن عفواً إشارة إلى حديث سابق جرى

بينى وبينه غضبتْ لأنى لم اقصّ عليها ذلك الحديث السابق فى حينه ! ولم أرو لها تفاصيل المقابلة السابقة بحذافيرها . . فإذا قلت لها أنه مجرد نسيان، أجابت بأن النسيان نفسه «جريمة» لأنى لو كنت افكر فيها لما نسيت أن أحكى لها ماحدث.

وإذا رأتنى اتكلم فى التليفون مع صديق سألتنى مع من كنت اتحدث ولماذا طالت المكالمة وماذا قال لى وقلت له . . أو تكون قد التقطت كلمة من حوارى معه فى التليفون فتسألنى عنها وعن دلالتها . . إلخ . .

أما إذا زرت صديقا بمفردى فإنى أتعرض لمحضر تحقيق طويل عريض لاتفلت منه شاردة ولا واردة وأسمع فيه مراراً أنى لو كنت راشداً لاعطيت هذا الوقت الذى أضعته مع صديقى لزوجتى وابنتى. وحين عدنا فى الاجازة واقمنا مع أمى بدأت الخلافات تتزايد بينى وبينها منذ أول يوم ومعظمها بسبب أمى : والدتك تحاول ان تنفرد بك لماذا ؟ ماهى الأسرار التى تحاولان إخفاءها عنى ؟ لماذا جاملتَ والدتك واثنيت على طبخها للطعام الفلانى . . ولم تجاملنى حين صنعته لك من ستة شهور ؟

وعدا ذلك فلم تسمح لى بالانفراد بأمى لحظة واحدة طوال فترة اقامتنا معها وحرصت دائما على أن تكون معنا . . وحين أرادت أمى أن تقوم بواجب عزاء لبعض الأقارب البعيدين واصطحبتها إليهم أصرت على ملازمتنا بالرغم من أنها لاتعرف أحداً منهم وبالرغم من اضطرارها لترك طفلتنا الرضيعة لدى أمها خلال الزيارة . . وبعد مناقشة بينى وبينها حاولت خلالها اقناعها بأنه لاداعى لحضورها . . لكن هيهات ان تقتنع .

والمشكلة هى ان هذه المناقشات تحدث بصفة يومية ، بل عدة مرات فى

اليوم وتتم بنفس هذا الترتيب . أبدأ أولاً بالرد الهادئ على أسئلتها ثم تزداد الأسئلة العجيبة فأرد بضيق قليلاً وأنا أحاول غلق باب الاستجواب . . ثم تستمر الأسئلة الاستفزازية فأبدأ فى العصبية ،وأنا فعلاً سريع الغضب وتسلمنى مناقشاتها البيزنطية لمرحلة الانفجار . . فأوجه لها كلمة . . فترد علىّ بكلمة أشد ويعلو صوتها . . وهكذا .

وفى إحد هذه الانفجارات طلبت منى الطلاق وأصرت عليه وفى قمة غضبى نطقت به فانهارت وظلت تبكى بحرقة شديدة حتى جاء أهلها . . وأعدتها لعصمتى وانتهت اجازتنا وسافرنا وفى طريق عودتنا لعملنا زرنا الأراضى الحجازية وأدينا العمرة وطلبت منها فى الكعبة ان تساعدنى على الوصول بحياتنا إلى بر الأمان وأن نقلل من خلافاتنا بقدر الامكان حتى نتفرغ لبناء مستقبلنا وتربية طفلتنا الحبيبة ، ولاحظتُ بعدها أنها حزينة وغير متجاوبة بالقدر الكافى مع دعوتى لها ومرت أسابيع وتخلصتْ من آثار أزمة الطلاق فعادت المشاكل وبنفس الأسلوب ولنفس الأسباب ، صحيح أن عددها أقل نسبيا لكن الأسباب واحدة .

لقد عدنا الآن إلى بلادنا وانتقلنا إلى شقتنا الجديدة تجنباً للمشاكل وأصبح لدينا طفلان . . وكنت آمل بعد انتقالنا إليها وإنشغالها بوليدها الثانى ومع ادراكها لظروفى الحالية حيث إننى الآن تقريباً بلا عمل منتظم أنها سوف تتجنب الخلافات المستمرة معى ، ولكن هيهات فالخلافات كما هى ولنفس الأسباب العجيبة التى رويتها لك وكلها بسبب ملاحقتها لى بالانتقاد والشكوك والاستجوابات وزادت عليها المناطحة بالتصرفات فإذا أصررت على الذهاب لمشوار معين قالت لى : وأنا « عِنْداً » فيك سأذهب

للمشوار الفلانى! ثم بدأ الخلاف يدخل منطقة أخرى حين خرجتُ ـ
أعصابى ذات مرة ولكمتها لكمة واحدة ففوجئت بها ترد إلىّ اللكمة بلكـ
مثلها تماماً كما ترد على الكلمة بكلمة أشد منها فتخيَّل طبيباً وجامـ
محترمينْ وهما يتبادلان اللكمات !

لقد أصبحت أيامى خصاماً ومشاجرات دائمة مع زوجتى وليالى ـ
وأرقاً أفكر ماذا أفعل معها ؟ لقد فكرتُ فى طلاقها لكن ماذنب هـذ
البريئين اللذين انجبناهما فى أن يتشردا بيننا . . وفكرتُ وأنا الطبـ
الحاصل على الماجستير ان ألجأ إلى العرافين والدجالين لعمل أى تعو
تبعد عنا الخلافات وتهدئ من نفوسنا بعض الشىء .

قد تنصحنى بالاستعانة عليها بالعقلاء من أهلها . . وأقول لك ا
فعلتُ ذلك عـدة مـرات ولم يستطيعـوا جميعـاً أن يعيدوها إلى صوابها
يؤثروا عليها ، ولست أطلب إلا الحد الأدنى من الطاعة للزوج وعدم الـ
المستمر معى وألا تعاملنى كمتهم دائما وألا ترد على الكلمة بكلمة لكـ
تزداد المشاكل بيننا وألا يعلو صوتها دائماً فى الخلافات . . وقد طلبتُ ـ
ذلك فى جلسة من جلسات الأهل للاصلاح بيننا فقالت أن نقطة عدم
هذه غير قابلة للنقاش لأنها سترد علىَّ كلمة بكلمة مهما كانت النتيجة !

لقد سلمت بأن تغييرها شبه مستحيل إذ لم يقدر على تغييرها وقـ
بالكعبة المشرفة ولا وجود الأطفال ولا الأهل ـ وأنا لم أصلْ بعد لمرحلة الـ
لها لكنى وصلت لمرحلة اليأس من اصلاحها . ومن الانصاف أن أقول
ربة بيت ممتازة وترعى بيتها وطفليها حق الرعاية ، كما أنى ايضاً لا اهتما
سوى ببيتى وأبنائى . لكنى ياسيدى لست فى حاجة إلى مربية أطفالـ

مديرة منزل وإنما احتاج إلى زوجة مطيعة حليمة تحترم زوجها وتكفُّ عن العناد وعلى استعداد للتراجع والاعتراف بالخطأ . . فماذا أفعل ؟

□ **ولكاتب هذه الرسالة أقول** : أفضل طريقة لكى تتجنب ردها عليك «كلمة بكلمة » هو ألا تبدأها أنت بالكلمة الأولى وأن تطيل حبال الصبر معها حرصاً على استمرار الحياة وصالح الأطفال . إن الطبع سجن وتغييره من الأُمور الصعبة فعلا لكنه ليس مستحيلاً ومن الممكن دائما بالإرادة وبالرغبة المخلصة فى تيسير الحياة وتفادى المشاكل أن يتخلص الإنسان من بعض التصرفات والعادات التى لها عليه سلطان الطبع وبالتالى فإنك تستطيع بكل تأكيد بالإرادة والمجاهدة ألا تستسلم سريعا للغضب الذى يقودك للانفجار كما ان زوجتك تستطيع أيضاً بالحكمة ومغالبة الطبع ان تتخلص من بعض وساوسها وهواجسها التى يصورها لها « فكر المؤامرة » الذى يستولى عليها وهوفكر ضلالى يصور لمن يُبتلى به ان كل اثنين من البشر يتهامسان إنما يتآمران عليه ويدفعه ذلك للتوتر والتحفز باستمرار للدفاع عن نفسه ، فتتعقد علاقاته بمن حوله .

كما أنها تستطيع أيضا بالضرورة ان تتذكر واجبها كزوجة فى أن تكون أكثر صبرا على زوجها وأكثر تحملاً لانفلاتات أعصابه الطارئة والا تعمد إلى تصعيدها بسياسة « الكلمة بكلمة » هذه وان تحاول التحكم فى غيرتها الشديدة ورغبتها الفضولية فى معرفة كل شىء عنك مما يجرها إلى خطأ انتقادك واستفزازك دائماً . . أن الحياة الزوجية ليست صراعاً بين الدِيَكة ولا هى مباراة فى حلبة ملاكمة . وانفلات الأعصاب مرة أمر مفهوم ويمكن التجاوز عنه من الطرفين أما أن يصبح هو طابع الحياة المستمر فأمر

لايمكن قبوله. فليحاول كل منكما اذن أن يهوّن الحياة على نفسه وعلى شريكه بالعشرة الجميلة الهادئة . . وبالاستعداد للتسامح مع الآخر . . وبصمت احدكما إذا انفجر الآخر حتى تهدأ ثائرته ثم يبدأ العتاب الهادئ . . عتاب المحب لا عتاب الخصم فى الصراع . ولتتذكر زوجتك ان «طاعة الزوج » فى غير معصية تعدل كل ماذهب به الرجال من أجر الجهاد فى سبيل الله كما قال رسول الله الكريم ﷺ صادقاً لمن سألته عن ذلك. ولتتذكر أنت أن معظم أسباب شقاء البشر من انفلاتات اللسان وتجاوزاته فكن صبوراً وتذكر ان زوجتك إنما تنطلق فى استجواباتها ومناقشاتها البيزنطية رغم عنائها فعلاً من حب لك لكنه حب يسىء التعبير عن نفسه ويريد أن يتحول إلى امتلاك كامل ويستشعر الغيرة من كل شىء حولك. فحاول ان تطمئن مخاوفها باستمرار ، وان تقنعها بأنه لابد لكل إنسان من أوقات يختلى فيها بنفسه وبأصدقائه وبأهله بغير ان يتعارض ذلك مع حبه لشريك حياته . . كما حاول ان تقنعها أيضاً أن الفضول الزائد يجُر إلى المتاعب . . ولايليق بزوجة رشيدة مثلها ، ولاتقصرٍ فى مجاملتها . . والثناء على أنواع طعامها طلباً للسلام العام . . وللإجادة أيضاً لأن الثناء يرضى النفوس ، ويطلق القدرات وشكراً . .

الموقعة !

أنا زوجة رجل ميسور الحال يشغل مركزا مرموقا مضى على زواجنا ٢٥ عاما أى حكم بالمؤبد مستوفٍ للمدة بغير عفو ولا افراج صحى . وأنا اكتب لك هذه الرسالة فى الأسبوع الأخير من الشهر وزوجى الميسور لم يدفع بعد مصروف الشهر الذى قارب الانتهاء ولا يريد ان يدفع ، وهذا الخطاب الذى أكتبه لك كتبت لك مثله مائة مرة من قبل ومزقته عقب موقعة كل شهر أو معركته لكى يدفع المصروف ، وفى كل مرة تبدأ المشاجرة بمطالبتى له بمصروف البيت فيؤذينى نفسيا وجسميا ويبدأ الشتائم ويستاء الأولاد من ذلك ويسألوننى فى كل مرة: أليس هناك حل لهذه المشكلة ؟ فلا أعرف بماذا أجيبهم فأنا لا أعرف حلا لها وهويضطره عمله للعمل دائما خارج مدينتنا وحين يكون فى مقر عمله يتعمد عدم الاتصال بنا تليفونيا طول غيابه حتى لا أطالبه بارسال المصروف ، وحين يعود يتعمد الخروج من البيت معظم الوقت حتى لا أطالبه به ويتخيل أحيانا أنى أسرقه وأنه أعطانى المصروف مرتين مع أنه لا يدخل البيت ومعه نقود أبدا ودائما يسوِّف ويراوغ ويعدنى بأن يرسل لى المبلغ مع سكرتيره ثم يفتعل أى سبب للشجار لكيلا يدفع مليما واحدا فى البيت. تسألنى طبعا كيف إذن نعيش وأجيبك بأنى موظفة محترمة أيضا لكنى غير محترمة فى هذا البيت

لدرجة أنى فكرت فى هجرة والإقامة باحدى دور المسنين مادمت اصرف على نفسى داخل البيت وخارجه ، ولم يمنعنى من تنفيذ الفكرة سوى خوفى على أولادى وهم فى سن الزواج . أما زوجى فهو يستمرئ هذا الوضع ولم يشعر فى يوم من الأيام بأى مسئولية عنا ولم يعرف يوما فى أى سنة من سنوات الدراسة أولاده الآن ولا تواريخ ميلادهم ولم يشتر لهم فى يوم من الأيام أى نوع من الملابس أو المستلزمات بل ولم يدخل علينا مرة واحدة وفى يده شىء حلو أو « حادق » ! ولقد فعلت كل ما تتخيله لارضائه عند حضوره فإذا صنعت له الأكلات التى يحبها أكل وشبع ثم قال لى : أتريدين قتلى بهذه الأكلات الدسمة؟ وإذا صنعت له أكلات خفيفة غضب وقال لى مستنكرا : أليس لى احترام فى هذا البيت ؟!

والعجيب أنه محبوب فى عمله وشعلة نشاط وفيه كل الصفات الممتازة ولكن فى محيط عمله فقط أما فى البيت فهو شىء آخر تماما . انه من قرائك وأنا لا أطلب منه سوى أن يعطينى مصروف البيت فقط أول الشهر بدون شجار وبدون إيذاء للنفس أو للبدن فلم أعد فى سن تتحمل هذا أو ذاك ولا مركزى أيضا يسمح بهذه البهدلة ، وقد عشت حياتى قبل زواجى منه معززة وسط عائلة محترمة . لقد فكرت مرارا فى الانتحار لولا خوفى من الله ، فأرجو أن توجه له كلمة بأن يرعى الله فينا لأننا مسئوليته أمام الله وسوف يحاسبه على هذه المسئولية وشكرا لك .

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول** : نعم يا سيدتى سوف يحاسبه الله عن مسئوليته عنكم لأنه راع وكل راع مسئول عن رعيته ، وأنتم رعيته وأمانته التى أؤتمن عليها وطائره والذى فى عنقه وسيلقى الله به ، حتى لقد قيل

صِدقاً وعدلاً أن مقاساة الأهل والولد أى الكفاح لإعالتهم واسعادهم بمنزلة الجهاد فى سبيل الله ، وحتى كان من حكمة الدين الحنيف بل ومن لطائفه ان ما ينفقه الرجل على زوجته وأولاده وأهله يُؤجَر عليه كأنما قد تصدَّق بما انفق مع أنه مسئول شرعا وقانونا عن اعالتهم، وانفاقه عليهم واجب من واجباته وإنما اريد بذلك ان يحبب الأزواج فى الانفاق على أهلهم وأن يتوسعوا فيه وألا يقبضوا أيديهم عنه أو يؤثروا أنفسهم بمعظم ما يكسبون ، أرأيت يا سيدى هذه الحكمة الإلهية الكريمة ؟ وهل قرأت قول الرسول الكريم « ما أنفقه الرجل على أهله فهو صدقة ، وإن الرجل ليؤُجَر على اللقمة يرفعها إلى فى امرأته » أى إلى فمها !

نعم هو واجب على الزوج أن يعول زوجته وأولاده . . . لكنه زيادة فى الفضل ويؤُجْر عنه إذا أدَّاه . . ويضاعف له الأجر إذا أحسن أداءه ، وإذا كان للزوج والأب الأجر فى الانفاق على ابنائه وزوجته ، فان عليه بالضرورة الإثم ان امتنع عنه أو أمسك أو قترَّ فيه وهو قادر على الانفاق والتوسعة . وفى ذلك يقول الحديث الشريف أيضا : كفى بالمرء إثما أن يضيِّع من يقوت » أى من يعول والمعروف ان الزوج مكلف بالانفاق على زوجته وأولاده ولو كانت ذات دخل أو ثروة وان دخلها وثروتها لايُسقطان عنه هذا التكليف مادام قادرا ، ذلك أن من حقها ان تشارك فى الانفاق على الأسرة باختيارها ورغبة منها فى معاونة زوجها على أمره لكنها ليست ملزمة بالانفاق من دخلها على بيتها وأولادها ولايملك أحد إجبارها على ذلك إذا أبتْ والمبدأ الشرعى فى ذلك هو ببساطة : إما إنفاق . . وإما طلاق !

ولاشك أنكما تستطيعان معا تسوية هذا الأمر بما يجنبكما الاشتباك فى موقعة كل شهر ، بالإحتكام إلى حكَم عْدل بينكما يقدِّر مبلغا ملائما يدفعه

زوجك أول كل شهر بلا معاناة ويتم الاتفاق الصريح عليه بما لايدع أى مجال لافتعال أسباب الخلاف .

وبالتفاهم تتم تسوية أصعب الأمور ، فكيف يستعصى عليكما ذلك وكلاكما كما فهمت يشغل منصبا محترما بل ومرموقا . وزوجك رجل محبوب فى عمله وناجح فيه . . وفيه كل الصفات الممتازة . . إذن الا تستطيع ياسيدى إكراما لابنائك وزوجتك أن تصطحب معك إلى البيت نفس هذه الشخصية الجذابة المحبوبة التى تدخرّها لعملك وأصدقائك . . ولو مرة واحدة فى بداية كل شهر ؟

الـرداء

أنا سيدة فى منتصف العمر متزوجة ولى أولاد تخرج بعضهم فى الجامعة، وقد افنيت عمرى أنا وزوجى فى تربية أولادنا والحمد لله نعيش حياة مستقرة وإن كانت تؤرقها بعض الديون التى احتجنا لاقتراضها لبناء شقة لكل ولد من أولادنا وقد تم ذلك بفضل من الله ونواصل حياتنا وكفاحنا لتسديد الديون شاكرين لله نعمته وفضله .

أما المشكلة الأخرى التى تشغلنا بعد هذه الديون فهى أن والدى قد توفى إلى رحمة الله منذ حوالى عامين تقريبا فحزنت عليه حزناً شديدا وإرتديت السواد منذ وفاته ومازلت أرتديه الى الآن بصفة دائمة حتى فى نومى . ولقد ألح علىّ أولادى وزوجى واصدقائى جميعا فى ضرورة خلعه لكننى لم أستجب لأحد أما زوجى الذى أكنُّ له كل حب واحترام فقد أصبحت ابتعد عنه إذا جلس بجوارى ولا أسمع حديثه إذا تكلم معى وأسببُّ له احراجا فى ذلك أمام الجميع واذا طلبنى للفراش صددته ومنعته، والويل له إذا فاتحنى من جديد فى موضوع خلع السواد ،وهو لطيبته وحرصه على ألا يحس الأولاد بما بيننا يصمت متألما . لقد مرضت ونصحنى زوجى من جديد بعدم ارتداء السواد حتى لايزيدنى مرضا ، لكن الاصرار مازال يملؤنى على التمسك به فماذا أفعل فى «العناد» . . وكيف أرضى زوجى وأولادى ؟

□**ولكاتبة أو « لكاتب » هذه الرسالة :** إذا صح تقديرى فى أن زوجها

هو كاتبها وليست زوجته أقول : إذا اختلطت علينا الأمور ففى الاحتكام لأحكام الدين الصحيحة النجاة من كل حيرة والضمان لتحقيق العدل الإنسانى لكل الأطراف . وبهذا المعيار الرشيد أقول لزوجتك أنه لاسند من دين أو حكمة لإصرارك على ارتداء السواد بعد عامين من رحيل أبيك ولا لهجرك زوجك فى الفراش « تذرعا » بهذا الحداد . فالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يقول : « لايحلُّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحدَّ على ميت فوق ثلاثة أيام الا على زوجها أربعة أشهر وعشرا » .

والإحداد هنا هو ترك الزينة لزوجها ، ويرتبط به نفسيا بغير شك ، العزوف عن العلاقة الخاصة تأثرا بحالة الحزن . ومن واجب كل طرف فى العلاقة الزوجية ان يحترم أحزان الآخر وأن يحاول التخفيف عنه ومواساته وان يصبر عليه إلى ان يستردإقباله على الحياة تدريجيا بعد فترة الحزن أما أن تعتصم الزوجه بالسواد لمدة عامين وتتخذ من حدادها ذريعة للنفور من زوجها وهجرهِ فى الفراش فليس من الدين فى شىء ولا من حسن المعاشرة ، وإنما هو غالبا انعكاس لحالة أخرى وجدت فى الحداد فرصتها للتعبير عن نفسها ، وسواء أكانت هذه أو تلك فالمؤكد أن زوجتك تعانى من حالة اكتئابية ينبغى ان تساعدها على اجتيازها وان تعين هى ايضا نفسها على التخلص منها . وأول خطوة فى هذا الطريق هو ان تخلع هذا السواد الذى يحمِّلها إثما لامبرر له تجاه زوجها وأبنائها . وارتداء السواد لفترة طويلة يضفى ظلاله الكئيبة فعلا على حياة الأسرة ، ولا معنى له بعد فترته الطبيعية الا تعذيب النفس وتعذيب الآخرين به . كما ان الخلاف بينكما حوله وحول مايرتبط به من نفور سوف يفتح الباب لأنواء ومشاكل لاتليق بجلال السنين بعد هذه الرحلة الطويلة . . فلماذا التمسك به إذن؟ .

فتـاة الاعـلان !

أنا يا سيدى ابنة لأسرة طيبة ميسورة الحال لم يبخل علينا أبى رحمه الله بشىء من حنان أو مال فنشأنا نحب الحياة والناس ، ونؤدى واجباتنا تجاه ديننا وقد كان أبى موظفا كبيرا ، وامى موظفة متعلمة ، واخوتى جميعا جامعيين . ولانى رأيت الحب يرفوف على بيتنا فقد أردت أن اعيش حياة زوجية سعيدة يرفرف عليها الحب أيضا وتزوجت من شاب احببته طويلا واحبنى وبدأت حياتى معه بوعود وردية بأن تبقى راية الحب دائما مرفوعة فى عشنا الصغير . لكنى بعد الزواج وجدت إنسانا مختلفا تماما عن الإنسان الذى أحببته قبله فهو سريع الغضب والانفعال ويفتعل المشاكل لأتفه الأسباب ولمجرد اثبات الرجولة أحيانا . وأنا أكره المشاكل ولا أريد ان ادخل طرفا ثالثا بيننا وابغض كلمة الطلاق وأريد ان «أعيش»بالإضافة إلى أنى احب زوجى وهو يرفض دائما ان يصالحنى ويستكبر ان يفعل ذلك مهما كان مخطئا فاضطر إلى معاتبته بود والتنازل عن حقى . وكنت افسر مشاكلنا فى بداية حياتنا الزوجية بأنه يمر بحالة نفسية لتركه العمل بغير ان يجد عملا آخر . . ثم انجبت طفلتى ووجد هو العمل الملائم وازداد دخله وتصورت ان متاعب البداية قد انتهت إلى غير رجعة . . فوجدته بعد ان

استراح ماديا وبعد انجاب الطفله يعزف نغمة جديدة علينا أصبحت سببا للمشاكل المستمرة بيننا . . فهو يحاول دائما أن يثبت لى ان « هذه » تحبه و«تلك » واقعة فى غرامه . . فاذا اتصلتْ به مثلا زميلة كانت تعمل معه فى عمله السابق فهذا معناه انها تحبه بالرغم من أنها زوجة وأم . . وكنت فى البداية آخذ الأمر ببساطة على انه تهريج لكنى فوجئت به يدعى نفس الادعاء بالنسبة لجارة لنا تقطن معنا فى نفس العمارة . ويظل يردد اسمها أمامى ليل نهار . . كما كان يفعل مع اسم زميلته السابقة . ويتفاقم الأمر فيردد هذا الكلام أمام الأهل والأصدقاء مع أنه ليس انه ليس لنا بها أية صلة ولا حتى مجرد تبادل التحية . وتكررت الحكاية بصورة مقززة . . حتى فوجئت به يلقِّن ابنتنا الصغيرة التى لايزيد عمرها على عامين وبضعة شهور هذه التفاهات بدلا من ان يعلمها شيئا مفيدا . . فيقول لها قولى أن فلانة تحب بابا ! . . واحاول ان اثنيه عن ذلك وعما يجرح به مشاعرى طوال وجوده فى البيت بلا فائدة وصبرت لعله يملُّ هذه اللعبة السخيفة فإذا به يلتفت إلى إعلانات التليفزيون ويتغزل فى جمال فتيات الاعلانات أمامى ويندب حظه وكل ذلك وأنا اتصور انه تهريج واحتمل واصمت بل وأحاول مجاراته عسى ان يمل هذه الهواية المقززة بلا فائدة ، مع أنى والله على قدر لابأس به من الجمال وروحى خفيفة واحب المرح ويحبنى كل من يعرفنا ولا أجلس فى مجلس إلا ويثنى علىّ من كانوا فيه وعلى روحى البشوشة . ولست بذلك أمدح نفسى والله العظيم لكنها الحقيقة وربما هذا ماجعلنى لا أكترث فى البداية لما يقوله زوجى واتصور انه دعابة سوف تنتهى بعد قليل لكنها استمرت وطالت واصبحت لا اسمع من زوجى إلا

أن « هذه تحبه » . . والا كلمات الغزل فى بنات الاعلانات والا ندبه لحظة . . وأحاول مرارا ان اثنيه عن ذلك بالرجاء وبهدوء . . وأقول له أنه يرتكب اثما كبيرا بهذا الكلام لأنه يرمى المحصنات بالباطل وهومن حجَّ إلى بيت الله ويؤدى الصلوات ثم لم أعد احتمل الصبر اكثر من ذلك ، فأصبحت اترك له الغرفة حين يبدأ فى هذا الكلام السخيف . لقد اختفت ابتسامتى وروحى المرحة ياسيدى وبدلا من ان يعود إلى رشده ازداد عنادا وأصبح يهددنى بأنه سوف يقول دائما مايريد ويهددنى بالطرد ويطالبنى بالعودة لأهلى إذا لم اكن راضية عن ذلك لأنه كما يقول سامحه الله قد زهق منى تماما !

اننى لست مقصرة تجاهه فى شىء . . وحريصة عليه وعلى بيته ومع ذلك فهو يشككنى فى نفسى . . وفى أنى لست مثل هؤلاء الفتيات اللاتى يظهرن فى إعلانات التليفزيون . . ويسألنى دائما لماذا لم يكن من نصيبه ان يتزوج واحدة منهن ؟ ولا أعرف لماذا يسألنى . . ولا بماذا أجيبه مع أنى اخترتُه واستجبت لرغبته فى ألا أعمل حين تزوجنا . . اننى مرة أخرى لا امدح نفسى لكننى لست مقصرة فى شىء واسارع دائما بعمل الشىء الذى يتعلل به حتى لا اعطيه الفرصة لاثارة أية مشكلة ومع ذلك فهو لا يقول لى كلمة طيبة واحدة . . ولا يكف عن حديث من تحبه . . ولا حديث بنات الاعلانات ولا يكف عن تهديدى بالطرد . . مع أن قلبى طيب ولا أفعل شيئا حين يجرحنى إلا البكاء وتبكى طفلتى معى وبدلا من ان يستغل فى هذه النقطة لصالحى يستغلها ضدى ويواصل جرحى وتهديدى .

فهل هذا يرضى الله . . وهل يرضى هو لأخته هذه المعاملة ؟ اننى

أرجوك الا تبخل عليَّ وعليه بكلمة تحثه فيها على أن يحافظ على زوجته وبيته وابنته من الخراب وان يرعى الله فى معاملتنا حتى تنشأ طفلتنا سليمة نفسيا وان يتقى الله فينا وذكِّره بمعاملة سيدنا رسول الله لزوجاته وبأنى رغم كل ذلك مازلت أحبه ومازال عندى أمل فى انصلاح الأحوال وشكرا جزيلا لك مقدما .

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول** : لن أقول له اتق الله فى زوجتك وطفلتك كما تنتظرين منى . . ولن اذكِّره بمعاملة سيد خلق الله لزوجاته . . وهو القائل ما معناه : خيركم الطفكم بأهله . . وأنا الطف الناس بأهلى ، والقائل «استوصوا بالنساء خيرا فهن عوان لديكم» أى اسيرات لديكم ولن اذكره بأن الدين المعاملة . . وليس فقط الشعائر والركوع والسجود . أو بأن البِرَّ حسن الخلق كما قال صادقا رسولنا الكريم . أو بأن الحياة ديون . . وأن الإنسان له دورة كدورة الحضارة التى قال عنها المؤرخ ديورانت وان له فترة ضعف ثم قوة وبأس فى رجولته وشبابه ثم عودة للضعف فى شيخوخته ، وأنه فى ضعفه قد تستأديه الحياة قصاص ظُلمهِ فى قوته للضعفاء الذين كانوا تحت رحمته . . كما لن اذكره بأن الحب رصيد إذا واصل السحب منه بغير أن يضيف إليه فسيأتى يوم قريب لا يجد فى حسابه إلا البغضاء والكراهية . . وسيندم ساعة لاينفع الندم إذا هو بدد رصيده الكبير من الحب فى قلب زوجته بهذه الترّهات السخيفة وبسوء عشرته لها .

لن أذكره بشىء من ذلك . . وإنما سأسأله فقط سؤالا واحدا أرجو ان تكون فى نفسه الشجاعة الأدبية للإجابة عليه بصدق هو : ماذا يكون أحساسه حين تقول له زوجته من باب « الدعابة » ان فلانا جارهما فى العمارة « يحبها » ويبدو ذلك واضحا فى عينيه بالرغم من انه لا تربطهما به

أية صلة . . كما يفعل هو !

وأى امرأة فى الدنيا مهما كان مستوى جمالها لن تعدم من يشتهيها ويرغبها . . ماذا يكون احساسك ياصديقى إذا قالت لك زوجتك ذلك فقط لا غير ولم تحفِّظ ابنتها هذا السخف أمامك ولم تردده أمام الأهل والأصدقاء كما تفعل أنت . . وإنما تردده أمامك فقط . . أستكون سعيدا بهذه الشوكة التى ستنغرس فى مشاعرك وكرامتك ؟

بل كيف يكون إحساسك حين تتأوه زوجتك إعجابا ونشوة أمام كل شاب وسيم يظهر فى التليفزيون فى حضورك ثم تندب حظها لأنها لم تتزوج « نجما » وسيما مثله . . وتتساءل ماذا كان ينقصها لكى تتزوجه ولا تكتفى بذلك بل تجعله حديث كل يوم وكل جلسة صفاء بينكما ؟

يا سيدى لا ترض لغيرك ما لاترضاه لنفسك ولا داعى لهذه « الحركات» السخيفة لاستثارة غيرة زوجتك عليك فهى تحبك فعلا وحريصة عليك وتحسن عشرتك ونارها متأججة بحبك وليست فى حاجة إلى مزيد من قطع الخشب لكى يعلو أوارها . كما ان الزوج الذى يثق فى نفسه وفى جدارته لا يلجأ لمثل هذه الأساليب الرخصية للتأكد من استحواذه على زوجته إلا إذا كان ساديًّا يستعذب إيلام الآخرين ويتلذذ به أما تهديدها بالطرد كلما اعترضت على ذلك فلن اصفه إلا بأنه لايتفق مع القيم الدينية لمن كان يعرف ربه كما تقول عنك زوجتك . ياصديقى أننا لانعرف قيمة من يحبنا باخلاص إلا بعد ان نفقده ، فحاول ألا تعفى نفسك من معاناة تجربة ضياعة وفقده لكى تعرف بالدليل فيما بعد . . ما لايحتاج إلى دليل الآن . . والعاقل ياسيدى من يتعلم من اخطاء الآخرين بغير أن يضطر لمعاناة تجاربهم ودفع نفس الثمن الذى دفعوه من قبل .

البــركان !

أنا زوجة شابة نشأت فى بيت زاخر بالخلافات الزوجية والمشاحنات المستمرة بين أبى وأمى ، وعانيت احساس الخوف الدائم من انهيار البيت وطلاق الأبوين فى أى لحظة . . وكانت أمى وعفوا فى هذا التعبير متسلطة ولاتعرف شيئا عن أصول التربية فكانت تضربنى دائما وتميِّز بينى وبين اشقائى بلا سبب مفهوم وتقرِّبهم منها وتغدق عليهم من حنانها ولا أنال منها سوى الضرب والاهانة والكلام المسموم ، فغرستْ بذلك فى نفسى احساس الخوف وكراهية البيت والرغبة فى مغادرته بأى ثمن .

وواظبت على الاستذكار أملا فى الخلاص من البيت وخوفا من العقاب ، فتخرجت من الجامعة وعملت وتقدم لخطبتى شاب يعمل عملا مرموقا فوافقت على الفور لكى اتخلص من الكابوس الذى أعيش فيه . وتزوجت ووجدت زوجى رجلا طيبا ومحبا للحياة الأسرية ويفعل مافى وسعه لارضائى ، لكن ظروف عمله كانت تضطره للسفر من حين إلى آخر بضعة أيام واحيانا أسابيع فكنت اضطر خلالها للعودة إلى البيت الذى اكرهه. وقد سافر ذات مرة ثلاثة أسابيع فعدت إليه مضطرة وتجرعت خلالها كل ألوان العذاب من أمى ورغم ذلك لم أحاول مضايقتها حتى يبارك الله لى فى بيتى وزوجى والطفلتين اللتين رزقت بهما ، ومع ذلك فما

اقسى ان تحسَّ انك غير مرغوب فيك فى بيت اهلك أو ان اشقاءك محبوبون من أمهم وأنت مكروه بلا سبب . وهذا ما احسه دائما كلما اضطرتنى ظروف المحافظة على المظهر العام أمام زوجى واسرته إلى ان أعود إلى بيت أهلى خلال سفره . . ولو تركت لنفسى لما غادرتُ بيتى إلى أى جهة مهما طال غيابه . لقد مضى على زواجى الآن عدة سنوات ومنذ أكثر من عامين بدأت الاحظ على نفسى شيئا غريبا ومخيفا فى نفس الوقت ، فلقد بدأت اكتشف انى قد تحولتُ مع الطفلتين تدريجيا وبدون ان أحس إلى نموذج آخر طبق الأصل من صورة أمى الكريهة فى تعاملها معى ، فأصبحت بلا مبالغة كالوحش فى معاملتى لابنتى الكبرى التى تبلغ من العمر الآن ٦ سنوات فأنا دائما اضربها وبقسوة وأفقد أعصابى معها بسرعة لأنها قليلة الاستيعاب ، فيترك الضرب اثره فى جسمها وخدوشا فى وجهها ومع ذلك قد اكرر ذلك معها بعد قليل إذا اخطأت ، وما أكثر ماتخطئ . والمؤسف أكثر ان عاطفة الأمومة من ناحيتى تجاهها منعدمة تقريبا، أما ابنتى الصغرى فانى احبها ولا اعرف هل ذلك لأنها مازالت صغيرة أم لانى افرّق فى المعاملة بينهما كما كانت تفرق أمى فى المعاملة بينى وبين أشقائى واننى بذلك بذلك اذيق ابنتى نفس الكأس التى تجرعتها طوال حياتى . ان زوجى يدع لى تربية ابنائى وقد رآنى كثيرا وأنا اضرب ابنتنا الكبرى وطالبنى بالرفق بها ، لكنى لا اترفق بها وإذا غضبتُ منها لخطأ فى الكتابة أوالأكل مثلا فقدت السيطرة على أعصابى وضربتها بوحشية فإذا كلَّت يداى من الضرب بدأت اضربها برجلى وابنتى تبكى بحرقة كما كنت ابكى وانا صغيرة فى نفس موقفها .

انني ادرك تماما ان خطئي جسيم ولا إنساني مع أولادي لكن ماذا افعل؟ ان أمي وأقولها لك بلا حرج تكرهني . . وأنا عفوا اكرهها هذه هي الحقيقة المؤلمة التي اخجل من الاعتراف بها لكني اريد ان أكون صادقة معك واشقائي لا احس تجاههم بعاطفة مابسبب حب امي الزائد لهم على حسابي من الطفولة حتى الآن . . ولا اعرف ماهو طريق الخلاص من كل هذا الشر اللانهائي الذي احسه بداخلي . . . اني مع الآخرين وديعة جدا ومع اولادي شرسة جدا واحس ان قلبي لايكاد يعرف الا الكره واشعر بالخجل من ان يقرأ قراؤك هذه الرسالة واتمنى لو تختصرها إلى اقصى حد فماذا افعل لأتخلص من كل ذلك ؟

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول** : بعض الأمهات والآباء يسرفون أحيانًا في عقاب اولادهم بدنيًا بغير ان يتنبهوا إلى ان بعض دوافع لجوئهم إلى هذا النوع من العقاب هو « التنفيس » عن مشاعرهم المكبوتة وأحاسيسهم الغاضبة لأسباب لاعلاقة لها باخطاء الأبناء أو الرغبة في تربيتهم !واخشى ياسيدتي ان يكون إسرافك في ضرب طفلتك بهذه الوحشية « تنفيسا » غير إنساني عن مشاعر وأحاسيس لاعلاقة لها بابنتك وقلة تحصيلها أو أخطائها. ومن واجبك في هذه الحالة ان تتوقفي لتسألي نفسك هذه الأسئلة : ماهو ذنب ابنتي الجميلة الصغيرة هذه في ان أمي قد اسرفت في ضربي بلا رحمة في طفولتي وصباي !

وماذنبها في أن أمي قد اشعرتني دائما بأنها لاتحبني أو أنها تحب أخوتي وتحنو عليهم أكثر مني . . بل وماذنبها في اني لا أحمل مشاعر عائلية سويّة تجاه أمي وأخوتي نتيجة لكل ماعانيت وانني اضيق بذلك أحيانا

وتتفاعل داخلى المشاعر المتناقضة بين مظهرى الوديع وباطنى الصاخب بحمم البراكين فى ان تخطئ طفلتى سيئة الحظ أى خطأ عابر حتى أجد فرصتى فيه لتفريغ كل هذه الحمم والشواظ فيها !

لقد اثبتت الدراسات التربوية الحديثة ان معظم من يستخدمون العقاب البدنى مع أبنائهم ويسرفون فيه قد نشأوا هم أنفسهم على مبدأ العقاب البدنى وتلقوا منه مافيه الكفاية فى صغرهم. وان الإسراف فى هذا العقاب لايحقق شيئا فى الأغلب الأعم الا تحطيم شخصية الطفل وتعريض نفسيته للخطر . . ثم وهو الأهم ترشيحه للانحراف ومعاداة المجتمع فى الكبر !

فثمة أطفال كثيرون جنى عليهم الأهل بسوء التربية كما تفعلين الآن للأسف مع ابنتك مكررة للعجب كل اخطاء أمك معك ، فأدى بهم سوء التربية إلى المرض النفسى ، وادى بهم المرض النفسى إلى سمات خاصة أهمها العزوف عن الاهتمام بالغير وعن الرغبة فى خدمتهم فنشأوا اعداء للمجتمع الصغير من حولهم ثم تمادت بهم العداوة فتحولوا إلى الانحراف وربما للجريمة فى الكبر ، ومن لم ينته بهم المصير إلى هذا الحد أنتهى بهم إلى الفشل على الأقل فى مجالات الحياة المختلفة !

وأنت ياسيدتى جانية ومجنى عليك فى نفس الوقت ، فأنت ضحية لسوء تصرف امك معك ، لهذا فقد نشأت تعرفين الكره أكثر مما تعرفين الحب ، ولاعجب فى ذلك لأن من ينشئ طفله على حبه واحترامه ، إنما ينشئة فى الحقيقة على حب الإنسانية واحترام الحياة . لكنك تحولت إلى جانية لانك لم تقاومى بما فيه الكفاية هذه الآثار السلبية على شخصيتك فى

حين ان كثيرين قد تعرضوا لمثل هذه المؤثرات فى طفولتهم فاستفادوا بنفوسهم الخيرة بطبيعتها وبمغالبة النفس من دروسها وتجنبوا اشواكها ، بل واكسبتهم تجارب الألم التى عانوها شفافية إضافية وحساسية زائدة ضد ظلم الآخرين لأنهم عرفوا مرارته ، فلماذا لم يكن انعكاس هذه المؤثرات عليك فى مثل هذه النزعة الإنسانية ؟ ولماذا انعكست عليك بالقسوة السادية على ابنتك والتمييز بينها وبين اختها الصغيرة . . ؟

إن القاعدة التى تقول ان فاقد الشىء لايعطيه صحيحة دائما لكن فاقد الشىء يستطيع ايضا ان يبدأ فى اكتسابه لكىْ يعطيه للآخرين وأنت تستطعين ان تسدلى الآن ستارا عن ماضيك كله . . وان تصفحى عن أمك أو تتلمسى لها بعض الاعذار أو على الأقل تتركى حسابها عما جنته عليك لخالقها . . ثم تبدئين اخوتك بالحب لأنهم لاذنب لهم فى تفضيل أمهم لهم عليك وتأكدى ان من يتخلص من احقاده على الآخرين وكراهيته لهم لايتفضل عليهم بشىء ولايحسن إليهم وإنما يحسن إلى نفسه هو أولا لأنه يعفيها من ثقل الحقد ومئونة الكراهية ويخفف عنها بعض أحمالها لكى تتفرغ لما هو خير وأبقى .

فافعلى كل ذلك ياسيدتى وتذكرى أن انحراف الأبناء نفسيًا على الأقل هو فى نسبة كبيرة منه مسئولية الأمهات والآباء وان الطفل قد يشب منحرفا إذا اخفق أبواه فى ان يمنحاه الحب العاقل والفهم الحكيم والتوجيه السديد، وانه فى سنواته الأولى يحتاج بشدة إلى ان يستشعر حب أبويه والى الاحساس بالأمان والاستقرار وبأنه مرغوب من أبويه وليس مكروها أو مرفوضا من أحدهما ، بل وإلى الاحساس بانه شىء له قيمته واعتباره أيضا

فى محيطه الصغير وانه لذلك فلا يجوز الاسراف فى تسفيه كلامه وتصرفاته فى كل الأحوال ، فكيف يكون الحال بضربه بوحشية كل يوم !

لقد تحملتِ ياسيدتى فاتورة الجهل التربوى والشقاق الأسرى ، والمشاحنات الزوجية بين أبويك . . وجناية التمييز بين الأخوة والأشقاء وعرفتِ مرارة كل ذلك . . فكيف هان عليك ان تديرى كأسها المرة إلى فم طفلتك الصغيرة البريئة ؟

إننى أطالبكِ بمراجعة نفسك . . وبالبدء فورا فى تغيير موقفك من طفلتك ومن الحياة بأسرها فإذا وجدت نفسك بعد حين مازلت مستغرقة فى ضرب طفلتك بنفس الوحشية . . فلا ترددى فى طلب المساعدة النفسية قبل فوات الأوان .

نشــوة الهزيمــة !

أنا سيدة فى التاسعة والعشرين من عمرى . . حين كنت فى الثامنة عشرة من عمرى ، كان لأبى صديق يعمل باحدى الشركات الأجنبية كان عمره وقتها ٣٨ سنة وذكيا ولماحا ووسيما وتتمناه أى فتاة . . أما أنا فقد كنت طالبة بالثانوية العامة وبإيحاء من أمى سعى أبى لأن يزوجنى منه ولم تكن هذه الفكرة قد خطرت لى من قبل فقد كنت لا أراه الا فى مناسبات قليلة لكن أبى وأمى اقتنعا بهذه الفكرة وسعيا لتنفيذها إعجابا باخلاقه واطمئنانا له . . ووسَّط أبى قريبا له لاقناعه بالتقدم لخطبتى . . فلم يتحمس صديق أبى وأبدى تحفظه على فارق السن بيننا . . لكن أبى وأمى ألحا عليه فى ان هذا الفارق لاقيمة له وان المهم هو التوافق والانسجام وبتأثير الحاحهما عليه استجاب للفكرة وتمت خطبتنا . . وفرحت به وتعلمت منه كل شىء فى الحياة . . الكلام ومعاملة الناس والتسامح والحب وخلال خطبتى تقدمت لامتحان الثانوية العامة واعتبر خطيبى نفسه مسئولا عنى فتكفل بنفقات الدراسة كلها ثم توفى أبى فجأة قبل زواجنا فوقف خطيبى إلى جوارنا فى هذه المحنة وعوضنى إلى حد كبير عن فقد أبى . . وكان كريما وعطوفا معنا جميعا . وكان أبى قبل وفاته قد اتفق معه على تقسيم تكاليف الزواج بينهما من حيث التأثيث وغيره . . فبادر خطيبى وبغير ان يطالبه

احد بالغاء هذا الاتفاق وتحمل هو كل نفقات الجهاز والزواج وكل شيء ابتداء من بنسة الشعر إلى قطن التنجيد ، وتم الزفاف . . وبدأت حياتى معه سعيدة بكل شيء . . وبعد عام انجبت ولدا جميلا . . وبعده بعام آخر انجبت طفلة أجمل . . وكبر الطفلان وبلغا مرحلة الحضانة فادخلهما زوجى مدرسة أجنبيةراقية توسط له لديها مديره الأجنبى . .

وأحسست أنى أعيش أجمل أيام حياتى . . وانى أملك الكثير : أفضل زوج . . اجمل شقة . . واحلى الأبناء لكن ماذا بعد ؟ . هذا هو السؤال ياسيدى . . فرغم كل شيء فلقد كنت خائفة من المستقبل لا أعرف لماذا . . وبسبب الخوف الغامض ربما وجدت أمى عندى استعدادا نفسيا لقبول نصيحتها حين نصحتنى بان أعمل حسابا للزمن . . وان أحاول ان اتحصن ضد غدره بضمانات كثيرة . وكانت نصيحة أمى لى هى ان ادخر من زوجى أكبر مبلغ استطيع ادخاره إلى جانب أكبر كمية ممكنة من الهدايا الذهبية التى تعتبر مالا مخزونا . وبدأت اطلب من زوجى وهو يستجيب كرما منه وحسن نية . . اطلب وهو يستجيب وقدم لى ذهبا وادخارا والشقة التمليك التى نقيم فيها والتى كتبها باسمى استجابة لرغبتى . ثم بدأت معاملته تتغير معى . . وبدا يرفض الاستجابة لطلباتى وتغيرت معاملتى له أنا الأخرى وقصرت فى اداء واجباتى الزوجية تجاهه . . وتدخلت أمى بيننا فقال لها انه لايحب ان يبتزه أحد وان مايجرى معه من جانبى هو عملية ابتزاز لايقبلها على نفسه وحدثت مشاكل كثيرة وتدخل الأصدقاء بيننا . . وتدخلت الشرطة . . ورفض أهله التدخل بيننا . . وتحولت الحكاية من جانبى على الأقل إلى صراع بين ارادتى وارادته من

يغلب منا الآخر . . ومن ينهزم . . ومن ينتصر ؟

وكلما تدخل بيننا الوسطاء رفضت ان اتراجع أو اتنازل . . واصررت على ان يخضع ويستجيب لكل مطالبى . . وكلما ازداد الصراع بيننا تمسكت بالعناد والاصرار على ان أهزمه وانتصر عليه وفى قمة المعركة فوجئت به يسلم بالهزيمة فجأة وبدون مقدمات . . وفى صمت ترك كل شىء وذهب . . كل شىء . . كل شىء حتى ملابسه وأوراقه تركها . . وطلقنى وذهب ، واحسست بنشوة الانتصار . . وأصبحت أمى فى قمة السعادة . . واكدت لى ان ماحدث كان هو الحل الأمثل لأنه كان سيتركنى يوما ما . . وان الأفضل ان أؤمن مستقبلى مادامت النهاية واحدة .

وبدأت المحاكم والقضايا بيننا للحصول على نفقة شهرية لى ولأولادى . . وكان قد تركنى ومعى مدخرات لابأس بها وذهب وشقة تمليك وأثاث فاخر وكل الأجهزة . . وتوقعت ان أراه فى أول جلسة للمحكمة . . فلم يحضر وإنما جاء محام موكل عنه حاول ان يتدخل بيننا بالصلح فرفضنا الصلح معه فحاول محاميه ان نتوصل فيما بيننا إلى اتفاق ودى حول النفقة الشهرية بغير حاجة للمحاكم فرفضت امى لأن المحامى الموكل منا أكد لها انه سوف يحصل لنا على حكم بمبلغ كبير بعد ان قدم مستندات تفيد حصوله من الشركة الأجنبية على راتب خيالى . . وواصلت النزاع معه أمام المحكمة فإذا بالمحكمة تحكم لى بمبلغ مائة وعشرين جنيها فقط كل شهر كنفقة شهرية وهو مايساوى المبلغ الذى كنت احصل عليه منه كمصروف شخصى لى كل شهر إلى جانب مصروف البيت والأولاد !

ورضيت بذلك مضطرة ،وتفرغت لأولادى . . ورفضت الزواج

ومضت سنوات . . ثم توفيت أمى فرأيت زوجى السابق لأول مرة منذ طلاقنا . . فقد جاء وقدم لى العزاء وحضر كل المراسم وشهد العزاء ليلا ثم ذهب بعدها . . ولم يعد مرة أخرى .

ومضت الأيام ووجدت نفسى وحيدة بعد ان ماتت أمى . . وسبقها أبى . . ومعى طفلان صغيران . . وابتعد عنى أقارب امى . . فتساءلت اين أبو اطفالى . . ولماذا لايعود إلينا . . ونداوى الجراح معا وننسى مافات بعد ان تعلمت انه لا مال يغنى عن الزوج والأب وأملت خيرا فى مجيئه للعزاء فى أمى وحاولت الاتصال به بعدها . . فلم انجح . . وحاولت الاتصال بوالدته واخوته وطلبت منهم ان يتدخلوا لاعادة المياه إلى مجاريها بيننا فاعتذروا عن عدم التدخل لأنها مسألة شخصية تخصه هو . . وهكذا انقطع كل ماكان يربطنى به . . إلا نفقات المدرسة للطفلين التى يدفعها كل سنة بغير ان يراهما . وفى سن التاسعة والعشرين فوجئت بانى مصابة بضيق فى شرايين القلب وفى حاجة إلى جراحة لتغيير ثلاثة شرايين وفى حاجة اشد لمن يكون بجانبى . فأرسلت الطفلين إلى زوجى السابق فاعادهما وأرسل إلى مع زميل له شيكا بكل نفقات الجراحة . . وعرض ان يسهل لى اجراءها فى الخارج عن طريق سفارة الدولة التى تتبعها شركته إذا اردت ذلك . . لكنه مع كل ذلك رفض ذكر أى شيء عن الماضى . . ورفض مجرد التفكير فى العودة إلىّ وقالها صريحة انى قِدمُّت فى نظره وان كل مايفعله معى هو من اجل أولاده فقط . . وانه لو كانت لهم مربية واحتاجت لجراحة لتكفل بنفقاتها كما فعل معى .

اننى أرجوك . . وأتوسل إليك ان توجه له رسالة عبر بابك فأنا فى

حاجة إليه وطفلاه فى حاجة إليه . . وشفائى فى عودته .

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول** : من بين سطور رسالتك العديدة توقفت طويلا أمام سطر واحد تصفين فيه احساسك حين سلَّم زوجك بالهزيمة فى صراع الارادات الذى فرضته عليه فغادر بيته وطفليه تاركا وراءه كل شىء حتى أوراقه وملابسه ، فكتبت تقولين عن هذه اللحظة : واحسست بنشوة الانتصار . . ! وكان الأحرى ان تقولى : واحسست بـ « نشوة الهزيمة » لأن الانتصار الذى يؤدى إلى حرمان طفليك من أبيهما ومن رعايته وحنانه . . وحرمانك أنت من هذا الزوج المحب العطوف الكريم الشهم الذى لم يكن يرفض لك طلبا حتى ضاق بعملية الابتزاز المنظمة التى يتعرض لها ليس انتصارا وإنما هزيمة لك أنت فى الحقيقة ولطفليك من قبلك ولكل قيم الوفاء والعدل فى الحياة . فأى انتصار هذا ياسيدتى ؟

لقد ظلمت زوجك ظلما بيِّنا . . وظلمت طفليك . . بل وظلمت نفسك ودمرت سعادتك بمحاولتك البشعة ابتزاز زوجك وحَلْبه بدعوى تأمين مستقبلك . . وهى « صرعة » تنتاب أحيانا بعض الزوجات فيدمرن حياتهن ويشردن أطفالهن ويسلمن حياتهن للخراب ويجدن أنفسهن بعد حين وحيدات ومسئولات عن أطفال صغار يحتاجون إلى رعاية الأب . . ويبحثن عن الأمان الذى هدمن حياتهن من أجله فلا يجدنه . . ويعرفن وقتها ان الأمان الحقيقى هو فى الأسرة المستقرة ومع الزوج المحب . . وفى رعاية حدود الله ، والثقة به وفى الا يظلمن غيرهن لكيلا يظلمهن أحد . . وعسى ان يأمنَّ غدر الزمان ، وهذه هى وثيقة التأمين الحقيقية التى يستطيع كل إنسان ان يؤمن بها مستقبله ثم يرجو الله بعدها أن يحميه من

تقلبات الأيام . . وبغيرها لايفيد مال ولا عقار . . وقصتك وقصص غيرك خير دليل على ذلك .

والآن ياسيدتى تريدين بعد ان انفضت الدنيا من حولك وافتقدت الأمان الذى بحثت عنه ، وهوجمت من الداخل لا من الخارج ان يعود إليك زوجك وان يقف إلى جانبك فى محنتك كما كان يفعل دائما . . حسنا انه لو شاء ان يضيف إلى سجله النبيل معك فضلا جديدا فيصفح الصفح الجميل ويضم ابنيه إلى احضانه فليفعل ولن يكون ذلك مستغربا عليه بل لعله اقرب إلى طبيعته السمحاء .

أما إذا عجز عن الصفح بعدما لقى منك من سوء الجزاء على كل ماقدم لك ولأسرتك فلا أحد يستطيع ان يلومه على ذلك . ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها » وعسى ان تمسح الأيام على جراحة فيكون أكثر استعدادًا للنسيان فى المستقبل . . وعليك أنت ان تثبتى جدارتك بصفحه ونسيانه بالندم الصادق المبرأ من الغرض على ماجرى . . وبتعلم درس التجربة الذى لانتعلمه غالبا الا بعد فوات الأوان . . وبحسن رعاية طفليك وتكريس حياتك لهما . . . . وبالصبر على ماتريدين إلى ان يذيب الزمن مرارة النفوس وبالكفاح الطويل لاستعادته ببعض الأصرار والعناد اللذين « كافحت » بهما من قبل لتحقيق ذلك الانتصار الموهوم عليه .

أما تصور انه سوف يعود لك لمجرد انك قد ابديت هذه الرغبة الآن فهو تصور بعيد عن الواقع وعليك ان توطِّنى نفسك على قبول ذلك . . والا فاختارى لمستقبلك ماترينه ملائما .

الجـرح السـاخن !

لم أكتب اليك قبل الآن ولم أتصور أن تضعنى الظروف فى هذا الموقف الذى أعجز فيه عن اتخاذ قرار صائب فأنا يا سيدى رجل فى الخمسين من عمرى تزوجت منذ ٢٤ سنة وانجبت بنتين ومضت بنا رحلة الأيام هادئة وسعيدة حتى قاربت البنتان على الانتهاء من تعليمهما وبدأنا نفكر فى مستقبلهما بعد التخرج ثم فوجئت فى يوم أسود منذ عام بشريكة العمر ورحلة السنين تطلب منى الطلاق وتصر عليه . . هكذا فجأة وبلا خلافات ولا مقدمات ، وهى فى الخامسة والأربعين من عمرها وبنتانا على وشك التخرج والزواج !

نزل على الخبر كالصاعقة . . وحاولت انقاذ أسرتى الصغيرة بكل الطرق . . وتوسلت لزوجتى ان تعيد النظر فى هذا الأمر المذهل وأن تضع مصلحة البنتين فى اعتبارها وذرفت الدمع الغالى خوفا على البيت السعيد من الانهيار بعد هذا العمر وكنا فى نهاية العام الدراسى الماضى . . فتأثرت ابنتاى كثيرا بهذه المحنة الطارئة واستقر الحزن والتعاسة فى ملامحهما . . ورسبت احداهما فى الامتحان وانهارت أعصاب الأخرى حتى اضطررنا لعرضها على الأطباء وزوجتى رغم كل ذلك مصرة على ما تريد ولاتتنازل عنه وتزداد تشددا كلما ازددت استعدادا للتفاهم واخيرا لم أجد مفرا من

الاستجابة لطلبها احتراما لنفسى وتم الطلاق بهدوء . واحتضنت البنتين وانطويت على آلامى واحساسى بالمهانة والغدر وسافرت معهما إلى الإسكندرية ونقلت عملى إلى هناك مؤقتا لأبعد نفسى والبنتين عن جو المأساة التى فرضت علينا فجأة . وهناك علمنا بأن زوجتى السابقة . . الأم والمربية الفاضلة قد تزوجت من شاب عمره ٣٢ سنة ، بدلا من أن تبحث هى عن عريسين لبنتيها اللتين بلغتا سن الزواج ، فانتكست حالتى المعنوية وحالة البنتين بعد أن كنا قد بدأنا نستعيد هدوءنا وسلمت أمرى إلى الله وبعد شهور أخرى عدت إلى مقر اقامتى وكرست حياتى لرعاية البنتين وأملت فى الله أن يعوضهما ويعوضنى عن هذه المحنة خيرا . . ومضت ٥ شهور أخرى انقطعت خلالها صلة الأم ببنتيها تماما ، ثم سمعنا من أحد جيراننا أن زواجها لم يدم أكثر من شهور قليلة وانتهى بالانفصال والطلاق . وعادت مطلقتى إلى بيت أمها بعد أن أضاعت اشياء كثيرة لاتعوض أهمها صورة الأم فى عيون ابنتيها . . وعلمت ابنتاى بالخبر فدبَّت فيهما فجأة روح جديدة وطلبتا منى أن تزورا بيت جدتهما فسمحت لهما بذلك ، وذهبتا إلى هناك والتقيتا بأمهما . . ثم عادتا إلىَّ وقد تغير موقفهما منها إلى العكس تماما ! فبعد ان كانتا ساخطتيْن عليها ولاتغفران لها فعلتها عادتا تتوسلان إلى أن أعيدها إلى عصمتى ، فذهلت من الطلب واشفقت عليهما من أن أخذلهما على الفور واحبط آمالهما فوعدتهما بالتفكير فى الأمر ووجدت نفسى غارقا فى صراع عنيف بين أن أعيدها إرضاء للبنتين وحرصا على مستقبلهما ، وبين الرفض انتقاما لكرامتى التى مازال جرحها ساخنا ينزف وفى غمار تفكيرى أسأل نفسى كثيرا ماذا سأصبح فى نظر بنتىْ

إذا رفضت اعادتها سوى رجل أنانى آثر الثأر لكرامته على مصلحة بنتيْه ومستقبلهما ؟ أننى حائر فماذا أفعل ؟

☐ **ولكاتب هذه الرسالة أقول** : أبعد القرارات عن الحكمة هى ما نتخذه ونحن تحت تأثير الانفعال الشديد بالغضب أوالاحساس العميق المؤلم بالاهانة أو الرغبة العارمة فى الانتقام ممن أساءوا إلينا . . لهذا فان أول ما أنصحك به ياصديقى هو أن تؤجل اتخاذ أى قرار بالرفض أو القبول إلى أن يبرد جرحك الساخن ويلتئم وليكن هذا التأجيل حلا وسطا لا يغلق الباب أمام رغبة ابنتيْك ويتيح لك مهلة كافية للتفكير فى الأمر بروية . . وأيا كان القرار الذى تتوصل إليه بعد ذلك فسوف تكون له مبرراته المقبولة ولا يملك منصف أن يلومك عليه فان وجدتَ نفسك غير قادر على الصفح عن مطلقتك والعودة للحياة معها بعد أن اعتصرتك واعتصرت ابنتيها بهذه المحنة القاسية دون اعتبار لمستقبلهما وسعادتهما فلا يكلِّف الله نفسا إلا وسعها ولن يطالبك أحد بما لا تطيق وليس من حق من ضحىَّ بكل شىء جريا وراء أهواء القلب الطارئة فى السن الحرجة ورفض كل التوسلات إليه ليعود إلى رشده ، ان يشكو من قسوة الآخرين إذا عجزوا عن النسيان خلال هذا الوقت القصير .

أما إذا كنت ممن لا يستطيعون أن يتجاهلوا نداء الواجب تجاه ابنائهم حتى ولو ضحَّى به شركاء الحياة فى بعض نزواتهم ، ففكر فى الاستجابة لطلب ابنتيك بغير تعجل وتأكد أولا من أن مطلقتك قد استوعبت درس التجربة القاسية وعرفت لك قدرك وندمت على المحنة التى عرضت ابنتيها وعرضتك لها . وبقدر الخطأ يكون حجم الاسترضاء والاعتذار فإن

استرضتك الترضية الكافية فلا لوم عليك إن عفوت ونسيت اختيارا لمصلحة ابنتيك . . وتقديرا لحاجتهما الإنسانية والاجتماعية إلى الأم وإلى الأسرة الطبيعية المستقرة وهما فى سن الزواج وليكن مما يساعدك على تقبل هذا الاختيار إذا اخترته أنها على اية حال قد اختارت « الحل الأكرم » رغم قسوته حين لم ترض لنفسها ولك بالخيانة وفضلت هدم المعبد لتتزوج ممن ارادت . .

وليس أنبل من صالح الأبناء دافعا للإنسان للتنازل أحيانا عن بعض الاعتبارات الحساسة وقبول ماقد يرفضه بلا تردد لو لم تكن الأقدار قد حمَّلته أمانة المسئولية عن ابناء لا شأن لهم بأهواء القلب وتقلباته . .

وفى تقديرى انك تميل لتغليب مصلحة ابنتيك على كل الاعتبارات الشخصية الخاصة بك لكنك جريح القلب والكرامة وتنتظر حلا يسهل لك قبول عودتها . . وهذه هى مسئوليتها فى أن تيسر عليك الصفح والنسيان . ومن واجب المخطئ فى حقنا أن يقر بخطئه وأن يكفِّر عنه . وليس من حقه ان ينتظر منا باقات الورود لمجرد أنه قد فشل مع من تخلى عنا من أجله وإنما لابد ان يعبِّر لنا عن ندمه وان نستشعر صدقه فى ذلك ليبسر علينا التجاوز عن خطئه فى حقنا . . وليست مطلقتك بأكرم على نفسها من زوجة الشاعر الإنجليزى «ميلتون » التى استأذنت زوجها ذات يوم فى السفر لزيارة أهلها لمدة أيام فسافرت ولم تعد من عندهم إلا بعد عامين رفضت خلالهما العودة إلى زوجها ثم فوجئ بها الشاعر العظيم ذات صباح وهو فى الكنيسة جاثية أمامه حانية الرأس باكية وخاشعة تطلب الصفح عنها ، فرقَّ لها قلبه وعادت للحياة معه وانجبت له ثلاث بنات

وعاشرته حتى ماتت قبله .

ولا هى أكرم على نفسها من فضليات لا حصر لهن يقبلن أحيانا ما لايرضيْنه لأنفسهن حرصا على سعادة ابنائهن وتفضيلا لمصلحتهم .

فلتفعل بعض مايفعلن وهن غير مخطئات مثلها إن كانت حقا قد تعلمت درس التجربة . . فان لم تفعل فمن لا يتعلم من أخطائه ويتعالى على الاعتراف بها وطلب العفو عنها لايستحق من الحياة سوى التجاهل والانكار . . ولا يستحق ممن فارقهم جريا وراء أهوائه ذرة ندم واحدة على فراقه . . وشكرا .

صيغة الغائب !

بدأت حياتى الزوجية منذ ٤٠ عاما فاخترت شريكة حياتى من اسرة متوسطة مثل أسرتى وإن لم تنل قسطا كاملا من التعليم وبدأنا حياتنا بمرتبى البسيط كرجل من رجال التعليم . وبحبها واخلاصها وتفانيها فى اسعاد الأسرة مضت سفينة حياتنا فى سلام وكانت خلال الرحلة الزوجة والأخت والأم . . وكبرت بناتنا الثلاث وتخرجن وتزوجن وخلا البيت علىّ وعلى زوجتى منذ حوالى ست سنوات فتغيرت فجأة معاملة زوجتى لى . . وسمعتُ منها من كلمات النقد مالم أسمعه منها طوال حياتنا الزوجية وأصبح أى رأى لبناتها هو الأصح ولو كان فيه ضرر لهن وأصبح المديح كله لأزواج شقيقاتها وليس لى وأصبحت مناقشاتنا تنتهى دائما بخصامنا وماقالته فى مشكلة الأمس تكرره فى مشكلة اليوم ولاتتنازل ابدا عن رأيها بعد ان عشنا أكثر من ثلاثين عاما لايتدخل فى شئوننا أحد . ومنذ ٦ سنوات ونحن لاتجمعنا غرفة نوم واحدة وتقول انه ليس لى عليها سوى واجب اعداد الطعام ووضعه على المائدة فى صمت لأراه ثم آتى لأتناوله بدون نداء علىّ وبلا كلمة واحدة . . وربما تفضلت باشارة مبهمة افهم منها المقصود . فقد أصبح اسمى محرَّما عليها منذ ذلك الحين فلا تنطق به

أو تنادينى به ابدا واذا اقتضت ضرورة الحديث ذكر اسمى خلال سرد أى حكاية مع بناتها أو حتى أمامى تحدثت عنى « بصيغة الغائب » مع انى حاضر أمامها ومع انى اشهد الله انى لم اتجاوز فى مناقشاتى معها ما أحلّه الشرع والدين ولم اوجه اليها كلمة سباب أو ارفع يدى عليها . ومن المؤسف ان بناتها الثلاث لايجاهرنها بأى لوم أو نصيحة فى حين يحاولن فى كلامهن معى ارضائى بأنهن قد اعيتهن الحيل معها ـ وقد زاد الطين بلة انى أُحِلت إلى المعاش منذ ٣ سنوات وأصبحت وحيدا بلا عمل فهل تتكرم بتوجيه كلمة لها ولبناتها الثلاث بأن يراعين الله والدين والعرف والبنوَّة فى معاملتى حتى يعصمنى الله من إتيان عمل يحُلهُّ الشرع لى لكنى أرد نفسى عنه حرصا على اسر بناتى وكيانهن . . اننى ادعو الله ان يعطينى القوة حتى لا اسقط مريضا واحتاج إلى زوجتى التى اثق فى أنها سوف تتخلى عنى . . وربما بناتى أيضا . !

□ **ولكاتب هذه الرسالة أقول** : من المؤسف حقا ان تكون بداية الحياة الحقيقية والاستمتاع بالراحة وجنى ثمار الكفاح الطويل هى بداية المعاناة لزوجين تشاركا فى رحلة العمر . . ووصلت سفينتهما إلى شاطئ الأمان . ولن اطيل هنا فى توجيه الكلام إلى شريكة حياتك وتذكيرها بحقك عليها فقد كانت باعترافك أنت الأم والزوجة والأخت طوال أكثر من ثلاثين عاما. كما لن اطيل فى الحديث إلى بناتك اللاتى أحسُّ بحرج موقفهن بينك وبينها خاصة وانك تطالبهن بالتحكيم بينكما ذلك انى أُفضِّل إعفاءهن من هذا الحرج والا تضغط عليهن ليتخذن موقفا مع احدكما ضد الآخر ـ وبالتالى تتجنب الاحساس بالمرارة حين لايقُدِمن على ماتريد ولاتُزِد من معاناتك مع الجميع فجهودهن ياسيدى مهما بلغت لن تتجاوز حدود المساعى الحميدة ومحاولات الاصلاح بين الطرفين مع الحرص على ألا

يغضبن أحدكما ومن كرم الأبوة والأمومة ألا نطالب الابناء بأكثر من ذلك . . والا ننتظر منهم انحيازا إلى جانب ضد الآخر . . لأن لكلا الطرفين عليهم حقا غير منكور . . وليس من الرحمة أن نطالبهم بان يجلسوا مجلس القضاء بينهما وان ننتظر منهم تنفيذ أحكامهم ايضا !

ومتاعبكما فيما اتصور قد بدأت مع الانفصال الجسدى وهو مأساة أخرى لابد من التعامل معها بحذر لأن لكل طرف اسبابه ودواعيه التى لايمكن تجاهلها . ثم تفاقمت الأمور . بعد ذلك مع احتدام المناقشات وتمسك كل طرف منكما برأية فى كل الأمور والذى لايعرفه كثيرون هو اننا مع تقدم العمر تبدأ معاناتنا مع مرض تصلب الشرايين وانه بسبب هذا المرض اللعين تقلُّ احيانا مرونتنا السابقة وتضيق دوائر تسامحنا فيُسهِم من حيث لاندرى فى إفساد حياتنا بما يورثنا من بعض مظاهر العناد والعصبية وتصلب الرأى .

والالتفات لهذا المرض يخفف كثيرا من معاناتنا مع بعض آثاره . . كما يساعدنا أيضا على تقبل أو تفهم بعض مظاهر عناد الآخرين وتمسكهم «المفاجئ » بالرأى فى مواجهتناوخلاصة القول هو أنكما فى حاجة إلى ان تبدآ معا صفحة جديدة تهتمان معا خلالها بصحتكما العامة . . ويُبدى كل منكما فيها بعض الود تجاه الطرف الآخر . . وبعض التنازل عن آرائه السابقة . . كما تحتاجان أيضا إلى تجديد حياتكما والخروج معاعلى نمط الحياة الروتينية إلى الأندية والأماكن المفتوحة . . وحبذا لو تمكنتما من تدبير سفر قصير إلى أى مكان قريب يجدد احساسكما بالحياة ويوقظ المشاعر القديمة . . ويبعدكما عن شبح هذه الحياة الكئيبة . فحاول ان تفعل . . فلا شك انه افضل كثيرا من « الاتيان » بأى عمل ينذر بالمتاعب للجميع واولهم أنت . .

متاعب الخريف

أنا أستاذ جامعى بالمعاش قرأت رسالة صيغة الغائب التى يشكو فيها زوج بالمعاش من هجر زوجته وخصامها له . . . واود ان أقول انه قد تكررت فى الآونة الأخيرة شكاوى بعض القراء ممن تجاوزوا سن الستين وتفرغوا لحياة المنزل من سوء معاملة زوجاتهم لهم . مما يوحى بأن المسألة ليست مجرد حالات فردية ولكنها أصبحت ظاهرة حقيقية تستحق الدراسة والعلاج . وفى رأيى ان السبب الأول وراء هذه الشكاوى ، ما ظهر منها وماخفى ، هو أننا معشر الرجال وكذلك النساء نجهل الكثير عن أنفسنا وعن الطرف الآخر فى شركة الحياة فى فترة خريف العمر .

إن هناك تغيرات وتحولات كبيرة تطرأ علينا مع حلول خريف العمر دون ان نعرف حقيقتها وما تتركه من بصمات واضحة فى مزاجنا وسلوكنا . فالرجال منا عموماً يعانون اضمحلالاً تدريجياً فى كثير من قواهم الجسمية وملكاتهم العقلية وروحهم المعنوية مع دخول مرحلة التقاعد ، ونحتاج إلى من يحنو علينا ويشدّ أزرنا ويرفع معنوياتنا . . وعندما لانجد من يتعاطف مع احتياجاتنا نتبرم من حياتنا وننقلب مصدراً للعكننة فى المنزل ونصبح هدفاً سهلاً للأمراض الجسمية والنفسية . والنساء عندما يقتربن من سن

الخمسين تطرأ عليهن تلك التغيرات البيولوجية والهرمونية المعروفة والتى تجعل المرأة ـ الا من رحم ربى ـ إنساناً شرساً متسلطاً كثير الشكوى ، وعادة لا تجد سوى الزوج المسكين تفرغ فيه همومها وتكيل له الاتهامات فى كل صغيرة وكبيرة وعادة ما تفلح الزوجة فى ضم ابنائها (وبخاصة البنات) إلى صفها فيدافعن عنها . وعندما يحدث هذا تنقلب حياة الرجل رأسا على عقب ويكفر بالحياة الزوجية ويهدد بالبحث عن زوجةأخرى أصغر سناً لعلها تستطيع ان تسعده ، وهو لايعلم ما قد يجلبه له هذا الزواج الثانى من مشكلات قد لايستطيع مواجهتها .

وباختصار شديد فأنى أقول نيابة عن الرجال والنساء أننا فى حاجة ماسة إلى نوع من التوعية والتثقيف بخصائص مرحلة خريف العمر فى الرجال والنساء وبشرط أن تأتى هذه التوعية والتثقيف قبل حلول خريف العمر . وفى رأيى ان الحياة الأسرية فى مرحلة خريف العمر يمكن ان تكون جميلة إذا فهمناها وعرفنا ما فيها من تغيرات وتحولات ، ان هذا الفهم والمعرفة يجعلنا أكثر قدرة على مواجهة ما قد ينشأ من مشكلات فى هدوء مقبول .

ونصيحتى للأزواج والزوجات الذين أدركهم خريف العمر ان يتسلحوا له بالمعرفة والوعى بخصائصها ، أقول : ارحموا أنفسكم وتعاونوا على جعل حياتكم أكثر بهجة وسروراً وليكن بينكم رسول من المودة والرغبة الصادقة فى إرضاء الطرف الآخر ، وإلى الأبناء والبنات احذرهم من مناصرة أحد الأبوين دون الآخر ، ولتعملوا على تحسين جو التفاعل بينهما

وعدم تعكير صفو ما بقى من حياتهما . والله الموفق والمستعان .

أستاذ جامعى بالمعاش

□ **ولكاتب هذه الرسالة أقول** : رسالتك قيِّمة وتقدم لنا معلومات مفيدة أرجو ان يستفيد بها من يعانون محنة مكابدة الشقاق الزوجى فى سن الجلال والاحترام وان يطلع عليها أيضا غيرهم ليجنبوا أنفسهم معاناة الوحدة الداخلية فى خريف العمر . . وشكرا لك . .

القــوالب

أنا شاب فى التاسعة والعشرين من عمرى أشغـل وظيفة جامعيـة مرموقة، عشت حياتى بلا أى تجارب شخصية ماعدا تجربة واحدة استغرقتُ فيها بكل مشاعرى وتنازلت فيها للطرف الآخر كثيراً لكى اكسب حبها وعطفها لكن الفراق كان النتيجة الحتمية لقصة حب من جانب واحد ، ولست آسفاً على انتهاء القصة لأن المرء لايعرف دائما هل كان الخير حقاً فيما أراده ، أم هو فيما جرت به الأحداث .

وهكذا انتهت هذه القصة بآلامها وأصبحت بالنسبة لى ذكرى لاتبعث على الندم بقدر ما أتعلم منها الخبرة والعبرة .

ومضى عام ثم ارتبطت بانسانة بادلتنى حباً بحب أكبر منه ، وهى من نفس مستواى الاجتماعى والثقافى وعلى درجة عالية من التوافق الفكرى معى فى كثير من أمور الحياة . . إذن ماهى المشكلة ؟ ولابد دائماً من «لكن» الشهيرة فى معظم الأحوال . . المشكلة هى أنها تكبرنى بحوالى عشر سنوات ، وهذا الوضع لايثير قلقى أو قلقها وإنما القلق لدينا يرتبط بنظرة الأهل والناس وموقفهم منا ، لقد تخيلت صورة المستقبل معها بكل ابعادها ولم يؤثر فىّ هذا التخيل أو يقلل من رغبتى فى الارتباط بها ، وإنما خرجت منه بنتيجة هامة هى أن الحياة رحلة تمضى إلى نهاية مؤكدة طالت أم قصرت

إذن فهل هناك أجمل أو أروع من ان يقطع هذه الرحلة معا قلبان متحابان متفاهمان ويتحديان بعض القوالب الجامدة ، أم لابد من ان تنتصر «القوالب » وتكتب عليهما الفراق وان يعيش كل منهما حياته بعيداً عن الآخر فى انتظار أمل قد لايتحقق ، أرجو ألا تبخل علىَّ بخبرتك ورأيك الذى ارتاح إليه دائماً . .

□ **ولكاتب هذه الرسالة أقول** : ليست هناك روشتة موحدة مضمونة الفائدة فى تحقيق السعادة الزوجية بالضرورة لمن يلتزم بحرفتيها ، وإنما هناك بعض المبادئ والقواعد العامة المستخلصة من تجارب الحياة يساعد الاسترشاد بها على تجنب احتمالات الفشل إلى حد ما ، وحين يُقدِم الإنسان على تجربة الزواج فإن غاية مايستطيعه هو ان يحاول قدر جهده أن يحُسن اختيار شريك حياته مسترشداً بهذه المبادئ . ثم لايملك بعد ذلك إلا أن يتوجه بالرجاء إلى خالقه فى أن يجنبه مرارة الشقاء . ومن أهم هذه المبادئ التكافؤ بين الزوجين فى كل المجالات بقدر الامكان وإلى جانبه هناك بعض النصائح التى ينصح بها أهل الخبرة المقدمين على الزواج ومنها :

. . . لاُتقِم زواجك على معرفة سطحية قصيرة بشخصية من ستقترن بها فالدراسة الجيدة لشخصية الشريك الآخر تقلل من احتمالات سوء الاختيار .

. . . لاتتزوج هرباً من مشكلة لاتحتمل مواجهتها أو من استمرار معاناتك منها فإن الأفضل ألا يدفعك للتعجل فى الاختيار دوافع جانبية تؤثر على قراراتك .

. . . لاتؤسس بنيان حياتك الجديدة على مشكلات معلَّقة لم يتم

حلها أو الاتفاق الواضح بين الطرفين على طرق مواجهتها كمشكلة عمل الزوجة مثلا أو مدى اسهامها فى نفقات الحياة أو مقر الحياة الزوجية . . إلخ . . إذ أن الأفضل دائماً هو حسم هذه المشكلات قبل الزواج وعدم ترك ملفاتها مفتوحة لما بعد الزواج اعتمادا على أن الحب وحده كفيل بحل كل المشكلات !

. . . تجنب بقدر الامكان الفوارق التى لاعلاج لها أو يصعب علاجها كفوارق السن الفاحشة واختلاف الأديان . . والتباين الحاد فى المستويين الاجتماعى والثقافى .

لاتعتمد كثيراً على فترة الخطبة الوردية فى استشراف المستقبل لأن العشرة الزوجية شىء آخر ولابد من اختبار كل طرف للآخر خلال تلك الفترة فى بعض أمور الحياة الجادة .

إلى آخر هذه النصائح والمبادئ التى يقلل اتباعها من احتمالات الفشل مع التسليم التام بان السعادة فى النهاية منحة آلهية يهبها الله لمن يشاء ويحجبها عمن يشاء ، ومع التسليم أيضا بأن لكل قاعدة استثناء وأن الاستثناءات مهما كثرت فإنها لايقاس عليها وفى ضوء كل هذه الاعتبارات إتخذ قرارك ، فإذا توصلت بالتفكير الموضوعى الهادئ إلى ان الأفضل فى حالتك هوالخروج على القاعدة هذه المرة فلا بأس بذلك ، فسعادة الإنسان هى الهدف وليست القواعد والقوالب فى حد ذاتها . ومادامت الوسيلة مشروعة ولاضحايا ابرياء لها ، فماذا يمنع من اتخاذها ، وأنت فى النهاية لست بفتى مراهق وإنما رجل ناضج فى الثلاثين تقريباً من عمرك وكلاكما على مستوى ثقافى عال يؤهلكما لحسن تقدير الأمور . وفارق السن وان كان

كبيراً فعلاً وليس مُفضَّلاً فى الظروف العادية ، إلا أنه يفقد بعض أثره السلبى على التجانس والتقارب بين الزوجين حين يكون الزوج ناضجاً أو قريبا من سن النضج والحكمة . . فقط انصحك بشىء واحد هو أن تتأكد أولاً من أن « قلق الآخرين » لن يتحول فجأة إلى « مأتم » الآخرين وهم غالباً الأهل والأعزاء ، حزناً أو رفضاً لهذه التجربة ومن أنه لن يحّوِل حياتكما إلى قنبلة مؤجلة الانفجار ، فإذا تأكدت من ذلك وعرفت انك قادر على تحمل تبعات الاختيار وامتصاص ردود أفعاله خلال وقت معقول فلا خاب سعى ساع وراء سعادته المشروعة بلا إجحاف بحق أحد ، ولا إيلام له .

المنطـق الواضـح !

أرجو ان يتسع صدرك لقراءة هذه « المأساة » وإرشادى إلى حلها . فأنا شاب قاربتُ الخامسة والثلاثين وأنتمى للفرع الفقير من أسرة ثرية معروفة فى الجنوب . وقد تخرجت فى كلية الحقوق ثم عملت بالخارج عدة سنوات . . واقمت بها جمعت منزلا فى قريتى وخصصت لى فيه شقة مستقلة واستقر بى الحال بين أهلى وعملت بوظيفة قانونية ومنذ عام تعرفت بطالبة مقبولة الشكل بالسنة النهائية باحدى الكليات وتقدمت لأبيها وتركت له الفرصة ليتحرَّى عنى وعن أخلاقى وأسرتى وبعدها بقليل جاءنى فى عملى ورحب بقبولى .

وكان شرطى الوحيد هو ان تقبل زوجتى الإقامة فى بلدتى ووافقت هى وأسرتها على ذلك بشرط ان أعمل على ايجاد شقة أخرى بعيدا عن منزل الأسرة ويَّسر الله لى ذلك رغم صعوبة ظروفى وتم عقد القران وأردت التعجيل بالزفاف بعد ان انتهت خطيبتى من دراستها وتم تحديد الموعد بعد مناقشة عاصفة وعنيفة مع أمها . وتم الزفاف منذ شهور وفى اليوم التالى له جاءت أسرة فتاتى لتهنئتنا ففوجئتُ بأم زوجتى تطلب منى ان اساعدها فى جمع الأكواب الفارغة بعد تناول الشاى « فنهرتها » بشدة وافهمتها ان هذا من إختصاص الزوجة وحدها .

وبعدها بـ ١٥ يوما طلبت زوجتى ان تزور أمها ووافقت لكننا لم نجد مواصلات متاحة فعدنا للبيت وبعدها بأيام كررت الطلب ثم اختلفنا بسبب رفع صوتها فلم تتم الزيارة . . ثم فوجئت بها بعد ذلك بأيام تبكى واستفسرت منها عن سبب بكائها فأجابتنى بأنها تريد ان تزور أمها «فأفهمتها » ان أمها هى التى يجب ان تزورها لأن لها الآن بيتا ومسئولة عنه وعن طلبات زوجها ولابد من الطاعة ، وبالرغم من ذلك اصطحبتها إلى أمها من حين إلى آخر بحجة أن الأم على « وشك الموت » كما تدعى ، وفى كل مرة نزور فيها أمها تنقلب حياتنا إلى نكد بسبب محاولة الأم السيطرة علىَّ مع أن شخصيتى لايمكن ان تقبل ذلك . . وقد افهمت زوجتى ذلك وحدث ان احتدم بيننا النقاش فى احدى المرات فصفعتها على وجهها «بشدة » ورغم ما بدر منها من رفع الصوت أحيانا والنقاش بحدة رحت « أحنو » عليها حتى تتناسى أمها النكدية . . وصارحتها فى احدى المرات بأن حياة النكد تقصرِّ العمر وواجهتها « بحقيقة نفسها » حتى تنكسر «شوكتها » فبكت بشدة واستعملت معها كل الطرق الشرعية لكنها رغم كل ذلك رفعت صوتها فى نقاش آخر فصفعتها عدة مرات حتى سالت الدماء من فمها ! وخنقتها محاولا إسكات صوتها الملعون ! فعضتنى فى يدى فأمسكت برأسها وخبطته فى الحائط عدة مرات وهددتها « بالقضاء عليها » فاذا بها تقول لى أنها تكرهنى وترغب فى الإنفصال عنى ، وظلت تبكى يوما كاملا بليلته ولم أصالحها ثم طلبت منها طلبا عاديا فلم تفعله فأمسكت بأقذر شىء محاولا وضعه فى فمها !! ثم تراجعتُ خشية الفضيحة من صوتها . وصالحتها بعد أيام وصبرتُ على « بلائى » لكى

تستمر الحياة وحاولت اصلاح شأنها مرات عديدة . لكن أمها فيما يبدو لى مصرة على خراب بيتى فلقد ثارت ثورة مسعورة وجرحتنى بكلماتها الجارحة بعد ذلك بفترة قصيرة لأنى يا سيدى لم اترك عملى واذهب إليهم للتعزية فى وفاة أم صهرى التى تعدَّت المائة من عمـرها كما لم ابلغ زوجتى بوفـاة جدتها ! لقد « أفهمت » هذه المرأة التى تُدْعى حماتى وأنا فى زيارتها مع زوجتى بعد ذلك بفترة أنى عزَّيت زوجها تليفونيا و «نسيت » ابلاغ زوجتى بوفاة جدتها ! فضلا عن أنى من « قوْم » قرروا منذ زمن انه لا عزاء فى رجال أو نساء إلا بتشييع الجنازة فقط وهو ما لم يتح لى لوجودى بعيداً عنهم فى قريتى ، وانه إذا مات لى قريب بعد عمر طويل فانى لا أرغب منهم فى تعزيتى ورغم هذا « المنطق الواضح » فوجئت بها تقول لى : لو كنت أعرف انك هكذا يا استاذ فلان ما قبلت زواجك من ابنتى ! فغضبتُ غضباً شديداً وانصرفت صافعاً الباب ورائى بشدة أما زوجتى فقد بقيت فى بيت أهلها ورفضت العودة وشجعتها أمها على ذلك خاصة وأنها قد جمعت ملابسها من شقتنا وتضغط علىَّ للانفصال ! حقا يا سيدى . . ان كيدهن عظيم ! وان الرجل مخلوق طيب « وأهطل » يصدق كل ما تقوله له المرأة ! فما رأيك فى هذه المأساة ؟ !

□ **ولكاتب هذه الرسالة أقول** : رأيى ياسيدى ان منطقك «الواضح» هذا يكفى لتطليق ألف زوجة وليست زوجتك وحدها ومن أول جلسة لنظر القضية . . إذا احتكمنا للعدل والشرع والقانون ! فرسالتك نموذج فريد «لسوء الدفاع » الذى يمكن حقا ان يؤدى بالمدافَع عنه إلى حبل المشنقة . والأغرب من ذلك هو انك لا ترى فى كل ما فعلتَ ورويت أى

خطأ أو تجاوز ، وإنما ترى الخطأ كله فى جانب زوجتك وأمها والنساء جميعاً لأن كيدهن عظيم !

يا إلهى . . إلى هذا الحد يمكن ان يصل خداع النفس وتضليلها فى بعض الأحيان ؟ أننى أرجوك ان تراجع معى بهدوء وقائع رسالتك التى حرِصتُ على ان احتفظ لك فيها بكلماتك المعبرة عن فكرك ومنطقك .

إن عمر زواجك كله لم يتعد شهوراً . . وقد انتهى بإعتصام زوجتك ببيت أسرتها وطلبها الانفصال عنك . . وأنت بالطبع ترفض وتأمل فى إستئناف الحياة معها وفى نفس الوقت لا تسعى لتغيير مفاهيمك عن الزواج والاستفادة من اخطاء التجربة العجيبة وكلها للأسف وبلا تحيز لزوجتك أخطاؤك أنت . . ابتداء من « إنتهار » الأم التى جاءت تهنئك بالزفاف السعيد و« إفهامها » ان رفع أكواب الشاى بعد تناول الضيوف له من اختصاص الزوجة وحدها حتى ولو كان عدد الضيوف مائة . . إلى صفع الزوجة « بشدة » ولم يمض على زفافها أيام أوأسابيع . . إلى صفعها عدة مرات حتى يسيل الدم من فمها . . إلى قرع رأسها فى الحائط مرات عديدة عسى ان يتخفف من « عناده » إلى خنقها ومحاولة ادخال « اقذر شىء » فى فمها ! مروراً بمصارحتها «بحقيقة نفسها» لكى «تنكسر» شوكتها وانتهاء بحجب خبر وفاة جدتها عنها بحجة انك قد « نسيت » ابلاغها بهذا الخبر « التافه» . . وفى الحقيقة انك اردت ألا تجد فيه مبرراً عادلا لطلب زيارة أهلها . . وأنت لا تبغض شيئاً كما تبغض ان تذهب زوجتك لزيارة أمها ، وكل هذه الانجازات الرائعة حققتها لزوجتك وأسرتها خلال الشهور الأولى من الزواج السعيد . . فضلا عما تجشمتَه من

عناء « إفهام» الجميع أخطائهم ناهيك عن انتهارهم وتقريعهم . فهل أنت على استعداد لأن تعرف الرأى الآخر فيما فعلت ؟

لقد اعتبرتَ اقتراح أم زوجتك عليك مساعدتها فى رفع الأكواب جناية تستوجب الخروج على آداب الضيافة مع من جاءوا لتهنئتك بالزواج فافسدت عليهم فرحتهم وأشعتَ التوتر حيث ينبغى أن يسود اللطف والترحيب . ولن استعين عليك لإقناعك بأن مساعدة الزوجة فى بعض هذه الأمور المنزلية من الرجولة والكياسة والمروءة ، بما يقوله كتاب الغرب من أمثال هافلوك أليس أو إستاندال أو سيمون دى بوفوار عن الحب والزواج و إنما سأستعين عليك فقط بما قالته السيدة عائشة حين سئلت عن صُنع رسول الله فى بيته فأجابت : « كصنع أحدكم . . يشيل هذا ويحط هذا ويخدم فى مهنة أهله ويقطع لهن اللحم ويقمُّ البيت «أى يكنسه » ويعين الخادم فى خدمته » .

أما الصفع ودق الرؤوس فى الحوائط وإسالة الدماء من الفم وحشر القاذورات فى فم الزوجة ، فلن احيلك إلى قانون العقوبات ولا إلى إعلان حقوق الإنسان ولا إلى كتابات المصلحين الاجتماعيين فى الشرق والغرب . . وإنما سأذكرك أيضا بما قالته السيدة عائشة من أنه : ماضرب رسول الله «ﷺ » بيده إمرأة قط ولا خادماً ولا ضرب شيئاً قط إلا أن يجاهد فى سبيل الله . »

فيا « استاذ فلان » خفف الوطء قليلا . . وإلا حكمتَ على نفسك بالوحدة طوال العمر . وراجع نفسك واعترف باخطائك واتقِ الله فيمن استحللتها بكلمات الله وتذكر ان اكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاً

وألطفهم بأهله . . كما جاء فى الحديث الشريف ، وتذكر أيضاً أن عمر بن الخطـاب الذى كان الرجال يرتجفون أمامه لشدته فى الحـق هـو نفسه القائل : ينبغى للرجل أن يكون فى أهله كالصبى « أى فى الإيناس والبساطة والمرح » فإذا كان فى القوم كان رجلا بين الرجال . فهكذا حقاً يفعل الرجال الذين يليق بك ان تقتدى بهم وليس بمن يعكسون الآية أحياناً ويفضلون ان يكونوا صبية بين الرجال . . وجبابرة لا يرتدعون مع الأهل فتذكر كل ذلك قبل فوات الأوان يا صديقى إذ أنه إما هذا وإما تسريح بإحسـان . . والاستفادة بدروس التجـربة فى مستقبل الأيام .

الاعتــراف !

أنا ياسيدى مهندسة فى الثلاثين من عمرى أعمل باحدى الهيئات الحكومية . . . منذ عدة سنوات التقيت بزميل لى يعمـل فى نفـس الهيئة . . . وسرعان ما اقتربنا وتفاهمنا ونمت بيننا مشـاعر الحـب العميق . . . وبعد فترة قصيرة طلب منى زميلى ان يتقدم لأسرتى لخطبتى فسعدت بذلك . . . وفاتحت أهلى ففوجئت بعاصفة هوجاء منهم وبرفضهم الموافقة عليه . . . ولومهم العنيف لى . . . لالشىء إلا لأن هذا الإنسان معوَّق يستخدم أجهزة المعوقين فى المشى والحركة . . . ودهشت لهذا الموقف ـ وتألمت له فأنا لم افكر قط فى هذه الناحية وكنت اراه يتحرك أمامى بحرية ـ كما كان أمينا معى من البداية فروى لى كل تفاصيل ظروفه الخاصة ولم أجد سببا واحدا يدعونى لرفضه وهو بعد ذلك إنسان رقيق وودود وكريم الأخلاق وخدوم للجميع . . .ومسئول ويحظى باحترام الآخرين فلماذا ارفضه . . . لقد قررت ان اتمسك به واحاول اقناع أبوى به ومضت عدة شهور وأنا على موقفى وقاومت ضغوطا رهيبة من أبى وأمى للتخلى عنه حتى اقتنعا فى النهاية بأنه من الخير لى ان اتزوج ممن احببته واريده شريكا لى فى الحياة ووافقت الأسرة مضطرة على زواجنا وتزوجنا وأقمنا فى شقته التمليك التى اعدها للزواج وكشفت لى الحياة المشتركة معه

عن باقى جوانب شخصيته الجميلة والنبيلة . . وعرف أهلى انى لم اتزوجه لأصبح ممرضة له . . وانه يساعدنى بأكثر مايستطيع أى شخص آخر ان يفعل . وانجبنا طفلنا الأول وبعد عام آخر انجبنا طفلنا الثانى . . وسعدت وأنا أرقب زوجى الحبيب وهو يأسِر اهلى باخلاقه الطيبة ويكتسب حبهم واحترامهم شيئا فشيئا حتى أصبح الأثير عند أبى الذى أصبح يعتمد عليه فى أمور كثيرة ويثق به ويحبه. ومضت ٦ سنوات على زواجنا . . وكل يوم يثبت لى زوجى بالدليل انى كنت على حق حين تمسكت به . . ووهبت له حياتى وانا اكتب لك هذه الرسالة الآن وبجوارى زوجى وطفلاى لأطالب كل الأباء والأمهات بألا يكتفوا بالحكم السطحى على الأشخاص وعلى كل من هم فى مثل ظروف زوجى الحبيب فالأهم دائما هو الأخلاق وليس الشكل فأبى يعترف الآن لى بأنه اساء الحكم على زوجى . . وبأنه اعجب به بعد قليل من تعرفه عليه ويزداد اعجابه به كل يوم لكنه كان يخشى مواجهة الناس ويفكر فى المبررات التى ينبغى عليه ان يقدمها لهم للموافقة على زواجى منه وقد اثبتت التجربةُ بعد نظرى وصدق مشاعرى . . . ولأقول ايضا لكل فتاة الا تستسلم سريعا مادامت على ثقة من حسن اختيارها ومن انها سوف تسعد مع من اختارته لمشوار حياتها . . . والسلام .

☐ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول** : ليس من حق أحد ان « يجلد » الآخرين بظروفهم الخاصة إذا توافرت فيهم المقومات الخلقية والدينية التى تؤهلهم لاسعاد شركاء حياتهم. وكمال الخلق والدين أبقى وادوم أثرا فى تحقيق السعادة من كمال الأجسام لأننا نتعامل مع اخلاق الآخرين . . وليس مع

مؤهلاتهم الجسمانية التى لاتفيد احدا غيرهم .

على ان الأهل إنما ينطلقون غالبا فى مثل هذا الموقف من دوافع سعيهم إلى ضمان سعادة أبنائهم . . ورغبتهم فى تجنيبهم أسباب الشقاء . . وهم ككل البشر يصيبون ويخطئون . . . لهذا فمن واجبنا ان نقدر لهم حرصهم على سعادتنا وان نحاول اقناعهم بالحسنى بصواب اختيارنا . . ونطلب منهم مباركته وتأييده . . حتى ولو لم يتهللوا له فى البداية. ومن واجبهم ايضا إلا يتمسكوا بالرفض حتى النهاية إذا لمسوا صدق رغبتنا فيمن اخترناه لأنفسنا وليس على الأباء والأمهات فى النهاية سوى ان يبذلوا النصيحة لأبنائهم وليس على الأبناء سوى ان يجتهدوا لاقناع ذويهم باختياراتهم وألا ييأسوا من نيل رضاهم ومساندتهم. وأنت قد احسنت صنعا بتمسكك باقناع أبويك ونيل موافقتهما على زواجك بمن اختاره قلبك . . . وكان أبواك رحيمْين ايضا حين لم يتمسكا بالرفض المتحجر بلا مرونة . . . وهذا هو المثال الذى ينبغى ان يتبعه الآباء والأبناء فى مثل هذه المواقف . . . أن يحاول كل منهما اقناع الطرف الآخر بوجهة نظره إلى ان يسلم احدهما برغبة الآخر بلا قهر ولاطغيان .

ولقد اثبتت الأيام صواب نظرتك للأمور . . . وصدق مشاعرك . . . فحقَّت لك السعادة . . . وحقَّ لأبويك ان يفخرا بزوجك وان يعترفا بخطأ حكمهما عليه . . . والكمال لله وحده ياسيدتى . . .

الضـيف الكبيـر

أنهيتُ دراستى الجامعية منذ ٢٤ عاماً وتخرجتْ بعدى بعام إحدى قريباتى فتم التفاهم بيننا سريعاً وتزوجنا . وكانت أحوالى المالية مستقرة ففضلت العمل الحر وأنشأت مشروعاً تجارياً متوسطاً سرعان مانجح وأثبت وجوده وساعدتنى زوجتى كثيرا فى إنجاحه مادياً ومعنوياً وازداد التفاهم وربط الحب بينى وبينها بروابط متينة وتشابكت أحلامنا وافراحنا واشجاننا وأصبح كل منا لايستشعر الراحة والأمان إلا فى وجود الآخر . وامتازت زوجتى دائما بلباقتها وجاذبيتها وجمالها وبتفوقها كربة بيت . وتم تعيينها وفقاً للقوى العاملة بإحدى الإدارات الحكومية فأثبتت خلال وقت قصير كفاءتها وحسن تصرفها واكتسبت احترام العاملين معها .

ومضت ثلاث سنوات على زواجنا السعيد بغير أن ننجب اطفالاً وبدأ القلق والتساؤل كالعادة واثبتت التحاليل والفحوص أنه ليست هناك موانع تحول دون الانجاب فسعدنا بذلك واستمتعنا بحياتنا وصحبتنا الطيبة وتركنا أمر الإنجاب لخالقنا يأذن به حين يشاء ، واحتفظت زوجتى دائما بأناقتها ورشاقتها وجمالها وازداد تشابك خيوط حياتنا فاصبحنا نخرج معاً من البيت فى الصباح فأوصلها إلى عملها ثم اذهب بعربتى إلى شركتى التجارية وأعود إليها فى الظهر لأصحبها للبيت وبعد الغداء وفترة الراحة

القصيرة نعود معا إلى شركتنا فتقوم زوجتى بمراجعة بعض الحسابات وإقفال حساب الخزينة وبعض الأعمال المطلوبة وبعد انتهاء فترة العمل المسائية نخرج معاً إلى زيارة عائلية أو فسحة أو زيارة لأضرحة بعض الأولياء لندعو الله عندها أن يتم علينا نعمته بالأبناء الصالحين .

ومضت السنوات دون إنجاب وبالرغم مما كان ينتابنا أحياناً من قلق وتوتر بسببه إلا أن كلا منا كان يراعى مشاعر الآخر ويحترم اشجانه ويشاركه اهتماماته .

وكانت زوجتى تحب الأطفال حبا شديداً وتحتفل بهم ، وكثيراً ما كانت تتصل بى تليفونيا وتذكرنى بضرورة الحضور لأن عندنا « ضيفا كبيرا » فأنهى أعمالى سريعاً وأعود لأفاجا بأن الضيف الكبير هو أحد أطفال الأسرة وزوجتى سعيدة به للغاية وقد أقامت له مأدبة غداء حافلة ، فنتناول معه الطعام فى مرح وابتهاج ثم نعيده إلى أسرته بعد أن تتحفه زوجتى بهدية خاصة .

ومضت حياتنا السعيدة هكذا وكل يوم جديد يزداد امتزاجنا وترابطنا ثم شعرت زوجتى فجأة منذ ٣ سنوات بتوعك طارئ وتغيرت صحتها بشكل لافت للنظر بلا سبب واضح فانتابنا القلق وصحبتها إلى الطبيب فنصحنا بعرضها على اخصائى فى أمراض النساء . . وذهبنا إليه فإذا به يفاجئنا بان زوجتى حامل فى ٣ شهور ! نعم حامل بعد ١٥ عاماً من الزواج وبعد ان يئسنا تماما من الانجاب وسلمنا أمره لخالقنا . وكانت سعادتنا لاتوصف وأسرعت بتوفير إشراف طبى كامل لها ثم جاء اليوم المنتظر فإذا بهدية السماء مضاعفة . . فأنجبت زوجتى توءماً ولدا وبنتا فى

أتم صحة والحمد لله ووفرتُ لهما على الفور الرعاية الصحية الكاملة وأفردت لهما زوجتى غرفة خاصة تحوى كل مستلزماتهما ، واعتمدت على نفسها فى خدمتهما رافضة أى معاونة وازدادت سعادتنا وافراحنا بهما وأصبحت زوجتى دائما إما فى صحبة الطفلين أو مرهقة غاية الارهاق من خدمتهما وأنا ارقبها بإشفاق والتمس لها العذر . ومضت سنة على الحادث السعيد وهى ملتصقة بالطفلين إلتصاقاً تاماً بعد ان حصلتْ على أجازة من عملها لرعايتهما ، وطوال عشر سنوات كانت فتاة من أقاربنا تقيم معنا وتعتمد عليها فى شئون البيت ، وهى فتاة نظيفة ومشهود لها بالأمانة وحسن التصرف وكانت زوجتى تعاملها أحسن معاملة وتشترى لها الملابس المناسبة والحلى الذهبية وافتتحت لها دفتر توفير كانت تضع لها فيه مانقدمه لها لينفعها فى مستقبل أيامها . ثم عدت إلى البيت ذات يوم فوجدت زوجتى قد أعطتها بعض النقود ودفتر التوفير الخاص بها واشترت لها بعض الملابس الجديدة ثم ودعتها أحسن وداع واستغنت عن خدماتها بلا أدنى مشاورة لى فى ذلك ، وأما لماذا استغنت عنها بعد ١٠ سنوات من العشرة الطيبة فلأنها كما قالت قد « لمحت » فى عينيها ونظراتها ماجعلها تخشى منها على الطفلين ! ولم أعلق على الموضوع كثيراً ووافقتها على رأيها بل وأيدتها ايضا فيه بالرغم من ان الفتاة كان محظوراً عليها الاقتراب من الطفلين أو دخول حجرتهما إلا فى وجود زوجتى .

وشيئاً فشيئاً سيطرت مشاغل الطفلين ومشاكلهما على زوجتى سيطرة كاملة وأصبح من النادر ان تجمعنا مائدة للعشاء أو الغداء أو ان أجد ملابسى معدَّة كما كان الحال طوال ١٥ عاماً ، ووجدت نفسى بعد أقل

من عام من ميلاد الطفلين خارج دائرة اهتمام زوجتى نهائيا. وبعد أن كنا نتشاور فى كل أمورنا بدأت زوجتى تتخذ قرارات كثيرة منفصلة بغير مشاورتى كقرار الاستغناء عن الفتاة فعرفت بالمصادفة بعد ذلك أنها باعت بعض مصوغاتها واشترت بثمنها شهادات إيداع بإسمىْ الطفلين ، وبرغم إسرافها وكثرة مطالب الطفلين فقد كنت أجد نقودى فى مكانها المعتاد لم تمس وحين ناقشتها فى ذلك قالت أن لديها الكثير وأنها لن تتردد إذا ما احتاجت لشىء فى ان تطلبه منى وكانت هذه طعنة كبيرة لى اضيفت إلى ما لاحظته من انها ازدادت ابتعادا عنى حتى أصبح من المعتاد ان امضى فترة الراحة ظهراً فى شركتى حيث استريح وأجد من يتحدث معى لأن زوجتى ذابت نهائياً فى عالم طفليها ، وأما حجرة الأطفال فقد أصبحت مملكتها المستقلة التى لايدخلها غيرها ولاحظت بألم ان زوجتى قد سحبت منى حق رعايتهما وملاعبتهما وأصبح كل ذلك حكراً عليها ، ومضت الأيام وأنا اتحمل والتمس لها بعض العذر أحياناً . . وأحس بالمرارة فى أحيان أخرى، وأصبحت أعيش وحدى بالرغم من وجود زوجتى والطفلين إلى جوارى وارتب فراشى وأعد ملابسى لنفسى وأفكر فى حياتى واتخذ قراراتى وحدى واتلصص لأرى طفلىّ خلسة واسترجع ذكرياتى الجميلة معها قبل أن تبتعد وتذوب فى دنيا الطفلين مبتعدة عنى إلى الأبد ، وأتذكر يوم وقفنا معا أمام بيت الله الحرام ونحن نبتهل إلى الله ونتوسل إليه فى دعاء صامت طويل أن يهبنا الذرية التى تؤنس حياتنا حتى انهارت على ذراعى باكية وطال بكاؤها واشفق عليها بعض زوار البيت ودعوا لنا ربّهم بالإستجابة ، واتذكر كل ذلك وأفيق فجأة على الإحساس الأليم الذى أحسسته حين لاحظت فى

نظراتها وصوتها أنها قد باتت تخشى على أطفالى منى أنا أيضاً ولا حول ولا قوة إلا بالله!

وبعد عامين كاملين تغيرت حياتنا خلالهما من النقيض إلى النقيض جمعتنا مائدة الافطار فى شهر رمضان الماضى فحاولت مناقشتها فى حياتنا الحالية برقّة مراعيا إجهادها مع الطفلين ففوجئت بها تجيبنى بوجه خال تماما من التعبير : لماذا لاتتزوج غيرى وتدعنى لطفلىّ لأنى لن استطيع الجمع بين رعايتك ورعايتهم ؟ وذهلت وحاولت تحويل الأمر إلى دعابة فطلبت منها أن تساعدنى فى البحث عن عروس ملائمة وأنتهى الأمر عند هذا الحد وازددت استغراقا فى وحدتى وأشجانى وبالرغم من قرب زوجتى وأطفالى منى فقد أصبحت أحس ان هناك جبالاً وانهاراً عريضة تحول بينى وبينهم ، ثم فوجئت بعد ذلك بتمسكها بهذا الطلب الغريب وبأنها تبحث لى فعلاً عن عروس مناسبة عائلياً واجتماعياً وتتوسل إلىّ ان أرحمها وأساعدها بذلك على التفرغ لرعاية طفليها وأنا أسمع وأرى واتعجب . وتدهور الوضع بيننا من سيئ إلى أسوأ ولكن بغير مواجهات صاخبة أو جرح للمشاعر أو كلمات قاسية . . وإنما مضى كل شىء فى صمت قاتل مريب يزيد من عمق واتساع الخندق الذى أصبح يفصل بيننا ، لقد كنا دائما من قراء بابك المفضل فكيف اتصرف وبماذا تنصحنى ؟

□ **ولكاتب هذه الرسالة أقول** : انشغال الزوجة بأطفالها إلى حد الذوبان نهائياً فى بوتقتهم نائية عن مشاركة زوجها حياته وآماله ، وعجزها أو تفريطها فى الوفاء بواجباتها تجاهه من الأحوال التى تبيح للرجل ان يتزوج مرة أخرى لضرورة شرعية هى رغبته فى اعفاف نفسه والائتناس بشريك يبدد وحشه حياته .

لكن السؤال هو هل هى جادة حقاً فى عرضها عليك أن تتزوج من أخرى وفى بحثها لك عن عروس ملائمة ؟ ان عرضها هذا قد يكون مبادرة بالهجوم دفاعاً عن النفس لإشعارك بطريقة الصدمة الشعورية بأنه لافائدة تُرجى من الإلحاح عليها بأن تعود إلى ماكانت عليه معك قبل الإنجاب حين كنت أنت « طفلها الوحيد » ، ولتقنعك بضرورة ملاءمة الحال للأوضاع التى استجدت فى حياة الأسرة بعد مجىء الطفلين ، إذ انها فيما اتصور تعرف جيداً أنك لن تسعد بهذا الحل . . ولن تهنأ بصحبة غيرها ، والعرض فى إجماله قد يكون محاولة لإقناعك بقبول الأمر الواقع بحجة ان البديل له ليس عودتها لما كانت عليه كما تريد أنت . . وإنما اليأس منها والزواج من أخرى .

واستغراق الأم التى حُرمت طويلاً من الإنجاب فى رعاية أطفالها ومبالغتها فى الخوف عليهم وإخلالها بواجباتها تجاه الآخرين لتكريس كل طاقتها البدنية والعاطفية لهم حقيقة نفسية معروفة لدى البعض ، فظهور الأطفال فى حياتهن بعد طول انتظار يحدث تعديلاً مؤثراً فى مشاعرهن واهتماماتهن يجعل النصيب الأكبر منها « للضيف الكبير » الذى حلَّ بدنياهن ، لكن أهل الحكمة منهن يعدِلن فى توزيع المشاعر والاهتمامات بين الوافد الجديد وبين شريك العمر الذى استوفد هذا الوافد نفسه ، خاصة إذا كان محباً وعطوفاً وجميل العشرة مثلك ، أما أهل الشطط فتختل الموازين عندهن وينصرفن بعاطفتهن ومشاعرهن تماماً إلى الوافد الجديد فتفقد حياتهن هدوءها وسعادتها التى كان ينبغى أن يكتمل بها مجىء الاطفال .

وزوجتك قدغالت بلا شك فى افراغ أمومتها المكتومة فى طفليها ، وفى خوفها عليهما حتى كاد الغلو يسلمها إلى معاناة الفوبيا أو المخاوف المرضية التى لا أساس لها من واقع والتى قد تشل تفكير الإنسان وحركته فى بعض الأحيان . ومن هذه المخاوف المرضية بكل تأكيد ان تعانى زوجتك الخوف على الطفلين من نظرات الفتاة التى صحبتكما عشر سنوات فتتشكك فيها وتستغنى عن خدماتها، ومنها ايضاً استشعار هذا الخوف الغريب عليهما منك وأنت أبوهما ، وهذا الخوف من أن يراهما أو يلمسهما أحد سواها إتقاء للحسد فيما اتصور مما كاد يصل بها إلى سجنهما فى غرفة معقمة « كسجناء التونة » فى رواية سارتر الشهيرة . والحرص والخوف الطبيعى المعتدل مطلوبان لكن الإعتصام بالايمان والثقة بأن الله وحده هو الحامى والمنقذ والمنفذ لمشيئته فى كل الأحوال واليقين بأن ماأصابنا لم يكن ليخطئنا ولو احتمينا منه بالحصون المنيعة وماأخطأنا لم يكن ليصيبنا ولو أجهد الرماة انفسهم ، مطلوبان أيضاً بشدة لسلامنا النفسى نحن ولكى نستطيع أن نحيا ونتمتع بما أحلّ الله لنا وأنعم به علينا وإلا أهدرنا حياتنا وحاضرنا فى الخوف من مجهول باتساع السماء والأرض وكابدنا حياة الخائفين بلا طائل من الميلاد إلى المهات .

وليس من الصعب على زوجتك إذا صحّ عزمها وتخلصت من بعض مخاوفها واعتصمت بالإيمان بالله ان تعدِل بين واجباتها تجاه طفليها وواجباتها تجاهك خاصة إذا أدركت ان الرجل هو طفل المرأة الأول كما يقول المثل الألمانى وان فى أمومتها حّقا للجميع ، وإذا تذكرت أيضاً إنها حين تحرم نفسها من صحبة زوج محب عطوف لتتفرغ بكلِّيتها لطفليها إنما

تحكم على نفسها بأن تكون أمّاً فقط تعطى ولا تأخذ إلى نهاية العمر فى حين ان فى مقدورها أن تكون أيضاً زوجة محبة ومحبوبة تعطى وتأخذ وتستعين بشريكها على هجير الحياة وأنوائها .

أما أنت ياسيدى فمن المفيد لك ان تدرك أيضاً ان « غيرة » الزوج من انشغال زوجته بأطفالها عنه حقيقة نفسية معروفة أيضاً ولا شيء فيها ان لم تزد على حد الاعتدال تماماً كغيرة الزوجة من اهتمام زوجها بأبنائها إذا غالى فى ذلك على حساب ماينبغى ان يمنحه لها هى من اهتمام فى بعض الأحيان. وبالفهم تُحَلُّ كثير من المشاكل . . . ولهذا لابد أن تسلمّ أيضاً بأن مجى الأطفال قد صنع متغيرات جديدة فى حياتك لابد من قبولها ولابد من التسليم بأنه قد أصبح لك شركاء شرعيون فى قلب زوجتك واهتماماتها ووقتها ، وان ترضى بالقسمة العادلة بين الشركاء وان تعينها على أداء واجباتها تجاه الجميع بألا تطلب منها أكثر من المستطاع لكيلا تسخط إذا تلقيتَ دون ماطلبت ـ وبأن تتذرع بالصبر على زوجتك حتى تجتاز فترة الطفولة المبكرة ويشتد ساعد الطفلين قليلاً فيخرجان شاءت أم أبت من سجن التونة الذى اعتقلتهما فيه وحين يحدث ذلك سوف تتغير فى شخصية زوجتك أشياء كثيرة فاصبر ياصديقى حرصاً على أن توفر لطفليك الأسرة الطبيعية التى ينشآن ظلالها فإن لم تقدر على الصبر فلا مُلام عليك ان اخذت « بظاهر » نصيحتها وتزوجت حين توقن بأن مجئ الطفلين قد جفّف حقاً كل ينابيع الحب فى قلبها ولم يبق منها إلا ينبوع الأمومة وحده . .

شهادة رخيصة !

أنا ابن وحيد لأبى وامى . . وأواجه مشكلة أريد ان تنشرها ليعرف كل أب وأم ماذا يعانى الأبناء من خلافاتهم . . فمنذ شهر حدث سوء تفاهم بين ابى وامى وتخاصما وأصبحا لايتبادلان الكلام ومازالا كذلك حتى الآن والمشكلة ان كل « واحد » منهما يحاول ان يكسبنى فى صفه . . فأبى يقول لى اشياء كثيرة « غير حسنة » عن أمى . . وأمى تفعل نفس الشىء ، وكلما قلت لأبى حاول ان تزيل هذا الخلاف قال لى اسكت والا تركت لكما البيت . . وكلما قلت لأمى « حاولى » قالت لى نفس الكلام . . وأنا وحيد ولا أجد من اشكو إليه إلا « بريد الجمعة » الذى يقرؤه أبى وأمى لعلهما يعرفان مدى معاناتى وتأثرى بخلافاتهما اننى اناشد كل أب وكل أم ان يحلاَّ مشاكلهما والا يتركا لها أى رواسب تؤثر على أولادهما . . خصوصا إذا كان لديهما بنت واحدة أو ابن واحد مثلى !

ابن وحيد

□ **ولكاتب هذه الرسالة أقول** : رسالتك لاتحتاج إلى أى تعليق . . لهذا فلن اعقب عليها سوى بأنى قد سبق ان قلت ان أكبر جريمة يرتكبها أب أو أم فى حق ابنائهما هى ان يحاولا تحكيمهم فى خلافاتهما خاصة فى مراحل عمرهم المبكرة. وان يحاول كل منهما استمالتهم إليه على حساب

الطرف الآخر . . وان يشوه صورته لديه لكى ينتزع منه « شهادة » رخيصة بأنه محقٌّ وان الطرف الآخر مخطئ ومُدان ! فالكلام « غير الحسن » الذى يقوله لك أبوك وأمك عن الآخر لاهدف له إلا الحصول على هذه الشهادة الرخيصة . . وهى رخيصة بحق لأنها ضد كل القيم الدينية والأخلاقية . . فالشرع يعفى الابن من الشهادة على أبيه وامه حتى ولو ترتب على حجب هذه الشهادة ضياع حق أو إفلات جان ، حرصا على قيمة أعلى حتى من قيمة العدل مع الآخرين وهى علاقة الأبن بابيه وأمه . . واعتماداً على ان هذا العدل يمكن ان يتحقق بوسائل أخرى ليس من بينها اجبار ابن على الشهادة على أمه أو ابيه . . فكيف بمثل هذه الصغائر التافهة ؟

إن أرخص فوز تناله أم هى أن تفوز بمشاعر ابنها على حساب مشاعره تجاه أبيه واحترامه له . . ونفس الشىء بالنسبة للأب إن اراد ان يفوز بمشاعر ابنه على حساب مشاعره تجاه امه واحترامه لها فمن يهتز رمز الأب فى عينيه قد تهتز عنده قيم عديدة وقد لايلبث ان يهتز فى مخيلته رمز الأم . . والعكس بالعكس ، لذلك فمن صالح الطرفين دائما ان يحرصا على مثالية هذا الرمز المشترك واحترامه فى عيون الأبناء . . اتفقا أم اختلفا ، سعدا بزواجهما أم شقيا به ، وافضل مايفعلانه فى ذلك هو ان يحجبا خلافاتهما عن الأبناء بقدر الامكان وان يتعاملا معها بعيدا عنهم . . وان يتوقفا عن المزايدة على مشاعر الابناء واستمالتهم بتجريح الطرف الآخر ودمغه فى أنظارهم فهل يفعل أبواك ذلك قبل فوات الأوان ؟

نقطـة الضـعف !

أنا سيدة فى الثانية والثلاثين من عمرى نشأت فى بيت لم تفارقه ابدا الخلافات والمشاحنات بين الأبوين اللذين عاشا دائما على حافة الطلاق . . وعشنا معهما على حافة الخوف من انهيار الأسرة وبالرغم من ذلك فقد تفوقت فى دراستى والتحقت بجامعة القاهرة وتركت مدينتى الصغيرة وتخرجت وعملت فى العاصمة بعد تخرجى وخلال دراستى وعملى كنت قد اقتنعت بأنه لا وجود لما يسمى بالحب أو الرجل المثالى وبعد تخرجى بعام تقدم لخطبتى شاب يعمل خارج مصر منذ سنوات ويكبرنى بسنوات قليلة . . رأيته مرة واحدة قبل الخطبة ولم أشعر تجاهه بأى ميل أو باعجاب ومع ذلك فقد وافقت على الارتباط به لسببين أهمهما هو ألا أعود إلى بيت أسرتى حيث تخيم سحب الخلافات والمشاحنات . . والثانى هو ضرورة ان اتزوج وقد بلغت من العمر الخامسة والعشرين .

وتزوجت هذا الشاب الذى لاتربطنى به أى عاطفة وسافرت معه إلى البلد الذى يعمل به ، ومنذ اليوم الأول لحياتى الزوجية الجديدة لمست رقته معى واحترامه لمشاعرى رغم تحفظى معه ، فوجدت نفسى احترمه لمواقفه مع الناس وفى عمله واكتشفت انى قد تزوجت رجلا له مكانة وأخلاق ومثاليات نادرة فى هذا الزمان إلى جانب تدينه المستنير ورعايته لربِّه فى كل

قول أو فعل يصدر عنه ، وشيئا فشيئا تحول الاحترام إلى حب جارف . .
وغمرنى احساس دافق بالأمان وأنا معه أنسانى كل مخاوفى القديمة . .
ووجدت نفسى بمساعدة زوجى اتجه إلى الله والتزم بالصلاة وباداء العمرة والحج وغرقت فى بحر من الهناء لم يفسده سوى خوفى من فقد سعادتى هذه ذات يوم .

وخلال ذلك كله لم نتنبه إلى تأخر الحادث السعيد الذى ينتظره كل زوجين ولم يشغلنا لكن إلحاح أهلى وبعض أهله بالسؤال عن ذلك دفعنا لاستكشاف أسباب التأخير . . فبدأت أنا أولا رحلة التحاليل والفحوص وانتهت بأنه لامانع عندى من الانجاب وبعدها بدأ زوجى نفس الرحلة ليتأكد من سلامته فإذا بها تكشف عن مفاجأة هى أن زوجى وحبيبى والرجل المكتمل الرجولة لن ينجب طوال حياته . ولا استطيع ان اصف لك حالنا حين عرفنا ذلك لكن يكفى أن أقول لك ان زوجى وسيِّدى والهرم الذى احترمه ويرضينى ان ابذل روحى لإسعاده قد انهار حزينا واقسم لى انه لم يكن يعرف ذلك وانه لو عرفه قبل الزواج لما ارتبط بى أو بغيرى حتى لا يظلم أحدا معه ، ثم خيرنى بعد ذلك بين أن احيا معه حياة جدباء بلا أمومة أو ان يهبنى حريتى وأنا مازلت شابة ومرغوبة لأتزوج من غيره فبكيت وقبّلت يديه واقسمت له انى لا أريد من دنياى سواه وان الله قد منحنى بزواجى منه فوق ما استحق . . فرضىَ عن ذلك واطمأن خاطره لكنى احسست باشفاقه من ان يعلم أهلى وأهله بالأمر خاصة وان معظم الناس يخلطون بين الرجولة وبين القدرة على الانجاب فطيبت خاطره واقسمت بين يديه على ان يظل الأمر سرا بيننا .

ومضت بنا السنوات فى محاولات يائسة للعلاج رغم مصارحة الأطباء لى بأنه لا أمل ، وكلما عدنا فى اجازة إلى مصر حاصرنى أهلى وخاصة أمى بالسؤال عن الحمل والانجاب فأراوغ والجأ للكذب احيانا حتى ظن الجميع أن بى عيبا يمنعنى من الحمل وأنى اتداوى منه ببعض المنشطات وظللت على هذا الحال حتى انتهت سنوات الغربة وعدنا للاستقرار فى بلادنا وعاد زوجى لعمله فى مصر ولأن أمى مرتبطة بى إلى حد الجنون وربما لأنها أيضا مثقفة وذات شخصية مسيطرة فلقد تحولت حياتى إلى جحيم منذ عودتى بسبب هذا الأمر فلقد راحت تحاصرنى بالأسئلة وبمحاولة إقناعى بالذهاب معى إلى الطبيب وأنا اتهرب منها . . واراوغ . . وحافظتُ طوال ذلك على قسَمى لزوجى لكن حصار أمى حولى قد ضاقت حلقته حتى كاد يخنقنى فلقد حددت أمى موعدا مع طبيب كبير وتصرُّ على اصطحابى إليه لتستمع إلى رأيه فى حالتى بنفسها . . بعد أن بدأ الشك يساورها فى الأمر . . ولقد حاولتُ مرارا منعها من التدخل فى حياتى وافهمتها ان الانجاب شأن خاص بى وبزوجى فخاصمتنى عدة أسابيع ولم أخاصمها فصالحتها وبمجرد ان اعتذرت لها حتى عادت إلى إلحاحها وبكثافة أشد ! والحقيقة انى حائرة معها ولا استطيع مصارحتها لأنها رغم كل شىء حماة مصرية بمعنى الكلمة وبالرغم من مثالية زوجى واحترامه لأهلى فهو لاينجو أحيانا من مهاجمتها وانتقادها فكيف يكون الحال إذا عرفت نقطة ضعفه وعايرته بها ذات مرة ؟

إن موعد الطبيب يقترب وأرجو ان تخبرنى برأيك هل أتحلل من قسمى واعرِّى زوجى أمام أهلى علما بأن أمى لا تحفظ سرا أم أغضب أمى

فأغضب ربى واتعرض لمقاطعتها وأنا ملاذها وموضع سرها وراحتها ؟

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول** : يا سيدتى لقد اسرفت أنت وزوجك على نفسيكما فى هذا الأمر منذ البداية . فلقد تعاملتما معه كأنه عار شخصى ينبغى مداراته وتكتمه واقسمت على الحفاظ على سريته وتحملتِ ضغط اهلك والحاح أمك عليك حتىَ وضعتك مؤخرا أمام الأمر الواقع واصرت على اصطحابك بنفسها إلى الطبيب . . فلماذا كان هذا العناء كله من الأصل؟

إن عدم القدرة على الانجاب ليست عارا لأحد كما أن القدرة عليه ليست بطولة شخصية ولا فخرا لأحد ان لم تكن فى بعض الأحيان كارثة تنجم عنها مآسى انسانية عديدة .

فلماذا إذن تكتمتما الأمر بهذه الحساسية غير المريحة ؟ ان زوجك رجل عادل ولست اظن ان مثالياته وتدينه المستنير يسمح له بأن يرضى لك بتحمل أرهاق امك والحاحها عليك إلى ما لا نهاية . . لأنك ان نجحت فى الإفلات منها هذه المرة فلن تنجحى فى المرات العديدة القادمة . . ولن يكون لذلك نتيجة سوى تكدير صفو علاقتك بها . . وصفو سعادتك مع زوجك وسلامك النفسى وأمانك . فإذا كان الأمر كذلك فاشركى زوجك معك فى الأمر واقنعيه بأنه لا سر يخفى إلى الأبد . . وبأنه ليس فى سره ما يشينه أو يشين اى إنسان فكثيرون من الأنبياء والزعماء التاريخيين لم يُعقِبوا ابناءً كما انى اختلف معكما فى ان معظم الناس كما تقولين يخلطون بين الرجولة والقدرة على الانجاب فالحق ان العكس هو الصحيح وان معظم الناس يفرقون بين الرجولة وبين القدرة على الانجاب ويعرفون جيدا ان الانجاب قد لايكون أحيانا دليلا على اكتمال الرجولة .

لقد شغلتما نفسيكما بأمر غير ذى بال واضطرتما حيث لا موجب لذلك إلى الادعاء والتظاهر والمراوغة . . ولقد أن الأوان لتصحيح كل ذلك لكى تهنأ لكما الحياة بغير زيف وبغير مكابدة الحفاظ على السر الموهوم وتحمل تبعات ذلك من مواقف محرجة .

إن الحب يا سيدتى كما تقول الكاتبة الفرنسية سيمون دى بوفوار تجربة فريدة لا يعرف كل اسرارها إلا من يعايشها ، وأنت تحبين زوجك وتسعدين به ومعه ولن تهنأ لكل منكما حياة إلا مع الآخر . . فما شأن الآخرين إذن بانجابكما أو عدم انجابكما للأطفال ؟

إننى افضل ان ترجعى إلى زوجك وان تضعى الأمر أمامه بكل تفاصيله ليرى رأيه فيه وليحلّك من قسمك الذى لم يعد كافيا لحفظ « السر » بعد ان تسلل الشك إلى قلب أمك ولن تهدأ حتى تحوله إلى يقين وله بعد ذلك ان يدع لك مصارحة أمك به أو مواجهتها بنفسه والحق انى افضل ان يفعل وان تؤكدى لها أمامه انك لن تعدلى به رجلا آخر وانك تعرفين انها إنما تطلب سعادتك . . وسعادتك فى حياتك مع زوجك كما هى الآن . . ولا بأس بعد ذلك بأن يتحمل زوجك هذه الضريبة الضئيلة للحب والسعادة والاستقرار . . بل ولا بأس حتى بأن يتحمل ما تخشين منه فى المستقبل من جانب أمك وهو على أية حال قادر على ان يفرض احترامه على الآخرين بالطريقة التى تناسبه كما انك سوف تتحملين أنت ايضا الكثير من لومها لكتمانك السر عنها طوال ست سنوات أو أكثر . . كما تحملت من قبل مقاطعتها لك . . والحاحها عليك فماذا تساوى كل هذه « التوافه » لكى تتخلصا معا من هذا الضغط العصبى والنفسى المستمر منذ سنوات ولكى يدعكم الآخرون لحياتكما وشأنكما ؟

بــلا جـــدران

أنا مدرسة بإحدى المدارس تزوجت وعمرى ٣٢ سنة من محام بإحدى الهيئات كريم وهادئ الطبع ويكره العيب ومع ذلك فإن زواجى منه لم يدم طويلاً وانتهى للأسف بالطلاق ، وأجد فى نفسى الشجاعة لأن أقول لك أننى السبب فى طلاقى منه ، لقد كان ذلك لأن لى أخاً كان يطلب منى أن اقول له على كل صغيرة وكبيرة فى حياتى الزوجية وفعلت ذلك فلم يعد هناك سر لبيتى وحياتى ، كما كان أخى ينصحنى دائما بما افعل فى كل شىء فى حياتى فأنفذ نصيحته بلا تردد حتى وان تعارضت مع رغبة زوجى أو مشورته وكانت دائما مخالفة لما يريده زوجى أو ينصحنى به . وقد حذرنى زوجى من اذاعة أسرار حياتنا وإعلام شقيقى بكل شىء عنا ومن عملى بمشورته فى كل صغيرة وكبيرة فى شئونى فلم التفت لتحذيره وفضلت شقيقى عليه فى كل شىء .

ثم حدث خلاف عادى بينى وبين زوجى اعترف اننى التى تسببت فيه فأسرعت باستدعاء شقيقى الذى جاء مهرولاً وعاتب زوجى عتاباً شديداً ثم فوجئ زوجى به يروى له كل تفاصيل الخلاف وكل تفاصيل حياتنا ويحاسبه عليها ، فنظر لى زوجى مصدوماً والتزمت الصمت ولم أحر جواباً ثم تصاعد النقاش واحتد ثم فوجئت بشقيقى يمسك بزوجى ويريد ان

يضربه فى بيته فدفعه زوجى عنه دفعة اوقعته على الأرض وسقط فوقه فلم أشعر بنفسى إلا وأنا أهجم على زوجى واعضَّه بأسنانى ليترك أخى . . وانتهت الفضيحة بطرد زوجى لى مع شقيقى من البيت ، وعدت إلى بيت أهلى وبقيت فيه ٤ شهور رفض زوجى خلالها عودتى إليه ثم تدخل أهل الخير للاصلاح بيننا وعدت إلى بيتى ، وقابلنى زوجى مقابلة كريمة وطالبنى بأن انسى ما مضى وألا اتحدث عنه وكان شرطه الوحيد هو ألا يدخل شقيقى بيتى فحزَّ ذلك فى نفسه ، فراح يحرضنى عليه عن بعد . وبعد فترة قصيرة طلب منى شقيقى ان احصل على روشتات الأطباء الذين أعالج لديهم من أجل الانجاب واعطيها له لتكون تحت يده لاستخدامها عند الضرورة ضد زوجى ولا أعرف كيف . . لكننى استجبت واعطيتها له بغير علم زوجى ، وبعد فترة أخرى طلب منى - منه لله - ان أعطيه مصوغاتى الذهبية ليحفظها عنده فأعطيتها له أيضا سراً ، ولا أدرى لماذا وافقت . . بل لعلى أعرف السبب جيداً وهو أننى ببساطة « إمَّعة » لا شخصية لى ولا رأى مستقل مع أنى أحمل الليسانس من جامعة عريقة وان كنت لا أحمل أى مؤهل من مؤهلات الحياة . وكانت النتيجة ان تأزمت الأمور مرة أخرى بينى وبين زوجى بعد أن علم بما أخفيته عنه ، ورغم ذلك لم يخطئ فى حقى بكلمة واحدة ، وإنما تألم مما فعلت وغضب منى صامتا ، ولم أصبر عليه ولم استجب لطلبه بأن استعيد أشيائى وإنما استجبت لمشورة أخى أو لوسوسته لى حين طلب منى ان اهجر زوجى واترك له الشقة ، فعملت بمشورته وتركت الشقة بلا انذار ، وعاد زوجى من العمل فلم يجدنى . . وكنت اتصور انه حين يعود ولا يجدنى سيأتى

إلى المدينة القريبة التى يعيش فيها أهلى ويصالحنى ويعيدنى إليه لكنه لم يفعل وإنما اقسم أنه لو باع ملابسه فإنه سيفعل لكى يطلقنى ويدفع لى كل التزامات الطلاق المالية ، وتم الطلاق فعلا وحصلت على كل حقوقى منه بلا منازعات وتسلمت أثاثى . . وعدت لبيت أهلى ومضت الأيام . وبعد فترة بدأت أشعر بالندم على مافعلت واتذكر زوجى وطيبته وتدينه وحسن معاملته لى وأتمنى عودة الحياة بيننا وصارحت أخى برغبتى فحاول أن يستخدم بعض الوسائل للضغط على زوجى السابق لكى يعيدنى لعصمته . . لكنه لم يستجب للضغط ابدا فأشار علىَّ شقيقى بأن أطعن فى رجولة زوجى واشهَّر به من هذه الناحية قائلا لى : أننى بذلك أضربه فى مقتل ولاتتعجب منى إذا قلت لك أننى استجبت له مرة أخرى وقلت فى زوجى السابق ماقاله مالك فى الخمر فقد قلت لك من البداية اننى إمّعة وليست لى شخصية ، فتكلمت وادِّعيت على زوجى ماليس فيه . . ثم شعرت بسخافة مافعلت وسكت وندمت على كل شىء . . وكرهت كل ماحدث وما أدى إلى حرمانى من الحياة الزوجية . .

إننى أرجومنك أن تكتب لزوجى الذى يقرأ لك بانتظام بأننى نادمة على كل شىء . . وأنى انتظر منه مجرد اشارة لكى أطير إليه واترك أخى وكل الآخرين وأذهب لأعيش معه بعد أن استوعبت الدرس وعرفت ان الزوج الطيب لايعوَّض . . اننى أعرف أننى قد تسببت له فى عقدة من كل النساء وانه لم يتزوج بعدى مع أنه زوج تتمناه أى فتاة لكننى أطمع رغم ذلك فى تسامحه وعفوه وأتمنى ان يقاوم وينسى كل ماتسببت له فيه من جراح وآلام. ربما يكون ذلك صعباً لكننى لم أفقد الأمل ولن افقده فيه إن شاء الله

وأنصح كل الفتيات . . نصيحة مطلقة جرّ عليها أخوها الخراب بألا يدخِلن أحداً فى علاقتهن بأزواجهن . . وبألا يذعن أسرار حياتهن الزوجية لأى إنسان مهما كان قريباً منهن ومنه لله أخى فيما فعل بحياتى وشكراً

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول** : هناك كلمة صينية تقول أن البيت الذى بلا جدران لايمكن أن يغطيه سقف يحميه من الأمطار . . لهذا فلابد دائما لكل بيت من جدران . . تحمى خصوصية الحياة فيه وتعزلها عن العالم الخارجى ، ويقام فوقها سقف يحميه من الأمطار والسيول . . والواضح ياسيدتى أن بيتك لم يكن له جدران لهذا فقد عصفت به الرياح ودمرته السيول . . فإذا كنت قد استوعبت دروس التجربة حقاً ، فأرجو ان تضيفى إليها أيضاً ، أنه مامن شىء يؤلم الرجل أكثر من أن يحس بأن زوجته وشريكة حياته التى تأتمنه على نفسها وجسدها وروحها لا تأتمنه فى نفس الوقت على بعض متاع الدنيا الرخيص الذى قد لايُرى أحياناً بالعين المجردة ، وأنها تثق بغيره وتأتمنه على هذا المتاع الضئيل أكثر مما تثق فيه هو، ناهيك عن الألم الذى يحسه حين يدرك أنها تثق بمشورة غيره أكثر مما تثق برأيه وحكمته ورغبته المخلصة فى صالحها وصالح أسرته ، أو حين يكتشف انه يعيش مع زوجة تُدار « بالريموت كونترول » عن بُعد ولاتستجيب لأى اشارة صادرة عنه . . فى حين تتلقى وتستجيب لكل إشارة صادرة عن مركز إرسال خارجى .

إنه أمر مؤلم حقاً لكل زوج . . ولكل زوجة قد تجد نفسها فى وضع زوجك السابق ، ولولا الأبناء والحرص على سعادتهم لانهدمت بيوت كثيرة

لهذا السبب الشائع ، فإن كان لرسالتك هذه من فائدة اضافية إلى جانب الأمل فى اصلاح الحال بينك وبين زوجك السابق فهى فى شجاعتك فى الاقرار بمسئوليتك عن الطلاق وادراكك لأسبابه وتحذيرك للفتيات والزوجات من تكرار أخطائك ، وإن كنت لم استرح لوصف نفسك بأنك كنت دائما بلا شخصية مع شقيقك .. أن كنت كما تقولين « إمّعة » تستجيبين لكل مايطلب منك .. لأن فى هذا التصوير المبالغ فيه فيما أعتقد محاولة لتحميل الشقيق المسئولية الكاملة عن كل الأخطاء التى أدَّت للطلاق ، كما أن فيه زعماً بأنه لم تكن لك إرادة فى شيء مما فعلت لكنه شقيقك ، سامحه الله ، وفى ذلك بعض الخداع للنفس .. وعلاج العلّة لابد أن يبدأ بإدراك أسبابها الحقيقية ، كما أن استيعاب دروس التجربة يتطلب ان تعترفى لنفسك أولا بأنك قد فعلت ما فعلت بإرداتك أنت أولاً وأخيراً خاصة وأنت فوق الثلاثين وانه حتى لو كان لمشورة السوء من شقيقك دور أكيد فيما حدث فالمؤكد انك لم تكونى مغيّبة الوعى وأنت تفعلين كل مافعلت ، لأن الحياة السليمة لابد أن تقام على حقائق صحيحة وليس على أوهام كما أنه ليس من الضرورى كذلك تقديم رأس أخيك على طبق من فضة قرباناً لمطلقك لكى يقبل عودتك إليه ويدرك أنك قد ندمت على ماكان منك ، وإنما يكفى فقط ان تعلنى انك أخطأت .. واستوعبت دروس التجربة ، وترغبين فى استئناف الحياة ، مع زوجك السابق ولنترك للزمن أن يداوى الجراح .. ولنأمل فى شهامة زوجك السابق وإنسانيته الكثير بإذن الله .

الشـــرر!

أنا مهندس أعمل بإحدى الدول العربية منذ سنوات وقبل فترة طويلة تعرفت على زميلة لى وتزوجنا وانجبنا خمسة أولاد أكبرهم الآن بالمرحلة الاعدادية . . وزوجتى من عائلة محترمة وتتمتع بأخلاق عالية ، لكن مشكلتى انى منذ تعرفت بها وإلى الآن وهى تتجنب النظر فى عينىْ أو تجاهى بصفة عامة وفى الفترة الأولى من خطبتنا ثم زواجنا تصورت انه نوع من الخجل سيتلاشى تدريجيا مع الألفة والمعاشرة لكن وجدته مستمرا إلى الآن فهى لاتنظر فى عينى ابدا وإذا نظرت فلحظات سريعة ثم تنظر إلى الجهة الأخرى وإذا تحدثت إلىَّ فنظرها دائما مشتت يمينا ويسارا وبعيدا عن ناحيتى دائما وحين سافرنا للعمل فى الخارج ازدادت حالتها سوءا مع الغربة وأصبحت تفضل ان تبقى دائما وحيدة بمفردها وتحاول متعمدة ان تنام أكثر الوقت وتتعمد ان تثير المشاكل معى حتى تنفرد بنفسها أو تنام بمفردها وإذا حاولت ان اتحدث معها سمعت منها ما لا يرضى أى زوج وحاولت ان اتقرب منها بشتى الطرق فكانت تتعمد ان تبتعد عنى بل وتقول لى بصراحة أنها تتمنى ان تعيش وحيدة مع أولادها حتى لاتكلم أحدا ! كما أنها لاتهتم بنفسها أو مظهرها فى البيت ودائما شعرها منتفش و« منكوش » لأعلى . . وإذا طالبتها بان تهتم بنفسها قليلا أجابتنى انها

هكذا وإذا كان عاجبنى ! مع انى والله العظيم اعاملها افضل معاملة هى واولادى واحترمها وألبى كل طلباتها وطلبات أولادى ولا اقصر فى حقوقها أو حقوق أسرتى . . وأحاول دائما ان اعرف سبب هذا الصد والبعد والهجران بلا طائل . لقد أصبحت أحاول الابتعاد عن البيت بقدر الامكان حتى استريح من هذا الجفاء . . واتعمد النزول لشراء لوازم البيت كنوع من الهروب والبعد عن البيت وكلما سألتها عن هذا الجفاء وعن عدم نظرها تجاهى أو فى عينى ابدا لا أجد منها إلا كلمة « مفيش حاجة » حتى أصبحت والله العظيم اكلِّم ربى سبحانه وتعالى وأسأله حلا لهذا النكد المستمر . . وفكرت فى الطلاق لكنى تراجعت عنه من أجل ابنائى ثم ألححت عليها ذات يوم بالسؤال فبكت بكاء شديدا وقالت لى انها مريضة نفسيا ، وأنها ومنذ كانت طالبة بالثانوى كانت تحس كلما نظرت إلى احد بشرر يتطاير من عينيها وبكُره وحقد وغلٍّ شديد تجاه الشخص الذى تنظر إليه حتى من أولادها . . لهذا فهى تتعمد ألا تنظر إلى احد . . واكدت لى انها تكره بعينيها فقط أما قلبها فلا يشعر بهذا الكره والحقد !

إننى لا أريد عرضها على طبيب نفسى هنا حيث أعمل واقيم لكيلا تثار حولى وحولها الأقاويل ونحن فى غربة لكنى فى حيرةمن أمرى . . وإسأل هل لهذه الحالة من علاج . . وبماذا تنصحنى ان افعل ؟

□ **ولكاتب هذه الرسالة أقول** : اهمال زوجتك لنفسها . . وتعمدها النوم إراديا لفترات طويلة ورغبتها فى الانفراد بنفسها طويلا وعزوفها عن النظر إليك فضلا عما تقوله من أنها تحس بكره شديد تجاه من تنظر إليه كل ذلك شواهد أكيدة على مرضها بالاكتئاب النفسى وهو مرض قابل للعلاج

بشرط التداوى منه ، والخطأ الذى يقع فيه كثيرون هو أنهم يطلقون عبارة الاكتئاب النفسى على كل حالة ضيق نفسى عابرة يمر بها الإنسان فيخلطون بذلك بينها وبين مرض نفسى وجسمى محدد له اعراضه الخاصة وله أسبابه النفسية ويرتبط بتغيرات كيميائية معينة فى المخ ويتطلب علاجه علاجًا نفسيا وجسميا ولاينتظر شفاؤه بغير هذا العلاج المنتظم تحت إشراف طبيب متخصص . . فلا تتردد فى اقناع زوجتك بطلب العلاج سواء فى مقر عملك أو فى مصر . . وفى الالتزام به إلى ان يحقق أهدافه . . ولا تبدد حياتك فى المعاناة والألم مادام العلاج ميسورا ومضمونا بإذن الله .

الحـــل الأخيـــر

تزوجت منذ عشرين عاماً بعد حب عنيف جمع بينى وبين زوجى وعشنا معاً حياة سعيدة وانجبت له ولداً وثلاث بنات . . وبعد مجىء الولد شهدت حياتنا تحولاً غريباً فلقد أحب زوجى إبنه حباً ملك عليه كيانه ودلله تدليلاً لا حدود له ، وأحس الولد ابتداء من عمر العامين تقريباً بحب أبيه الغريب له وبأنه يستجيب لأى طلب يطلبه سواء أكان الوقت ليلاً أو نهاراً ، فكان إذا رغب أى شىء مما يرغب فيه الأطفال وتعذر تلبيته لسبب أو لآخر إنخرط فى بكاء غريب متواصل وراح يكسر أى شىء أمامه ، فلا يجرؤ أبوه على تركه يبكى وينهض لاحضار الشىء المطلوب مهما كان الوقت أو حال الجو فى الخارج ، وكنت كأى أم أعاقب طفلى على كل خطأ يرتكبه فيسكت إلى ان يعود ابوه من عمله ثم ينفجر فجأة فى البكاء ويشكونى إليه . فكان زوجى يقوم ضاحكا بتكتيفى ويقول لإبننا : إضرب ماما كما ضربتك !

فيضربنى الولد بيديه الصغيرتين واتظاهر أنا بالبكاء فيرضى ويسعد ويكف عن بكائه وكانت هذه هى طريقة زوجى للتعامل مع إبننا حتى كبر والتحق بالمدرسة ثم بالجامعة ولعلك سوف تسألنى بالضرورة كيف انعكست عليه هذه الطريقة فى تربيته واجيب بأن ابنى قد اعتاد للأسف

على أن يتعامل معى بغلظة منذ صباه كما اعتاد ان يتهور على بالصياح والألفاظ غير اللائقة كلما طلب منى طلباً ورفضت تلبيته لعدم ملاءمته أو لعجزنا عنه وكنت فى طفولته وصباه لا أغضب منه لذلك وأقول لنفسى انه سيكبر غداً ويصل إلى الرشد ويكفّ عن هذه الأفعال الطائشة . لكنه لم ينضج ولم يرشُد للأسف وإنما تمادى فى مطالبه بغير ان يجرؤ أحدنا على ان يواجهه بالرفض أو بأننا لانستطيع مادياً تلبية مطالبه لأنها تفوق دخلنا ، والتحق بالجامعة وطلب من ابيه سيارة فاشترى له سيارة قديمة ارهقنا انفسنا بتحمل ثمنها ، ثم احيل زوجى إلى المعاش وانخفض دخله انخفاضا كبيراً وعجزنا ماديًا عن ملاحقة طلبات ابنى فوقعت الطامة الكبرى وأصبح يتشاجر معى يومياً على النقود ويتطاول علىّ بالسباب ويكاد يضربنى إن لم أعطه مايريد ، فكنت أعطيه نقودا من مصروف البيت . . ثم اعجز عن مواجهة مطالب البيت فى نهاية الشهر . . ورغم ذلك فلقد استمر يطلب منى ولايطلب من أبيه الذى ضاق به أخيرا رغم حبه الشديد له ، وأصبح يقف ضده كثيراً .

لقد أصبح ابنى يحتك بى مرتين أو ثلاث مرات كل يوم ليأخذ منى مايريد وتنتابه نوبات غريبة من العصبية الشديدة يقوم خلالها بضربى أنا وبناتى ، حتى اصبحت اخشى على سمعة البنات من هذا الحال مع أنهن من اسرة محترمة جدا وجميلات ، وكلما تهور علينا إبنى هذا انظر إلى بناتى بحسرة ونظل نبكى معاً حتى يغادر البيت وكثيراً ماتركت البيت هرباً منه وذهبت إلى بيوت جميع أقاربى لعلىّ أجد أحداً يحل لى هذا الأشكال ، ولكن بلا فائدة لأن ابنى لايعمل حساباً لأحد ولايريد ان يتنازل عن مطالبه

وهو للأسف يكرهنى جداً منذ طفولته المبكرة . اننى اتعذب أنا وبناتى ونصاب بالرعب حين يرفع صوته علينا ويسمعه الجيران وقد أصبحت البنات يهرعن إلى الفراش اذا سمعن صوته قادماً إلى البيت ويتظاهرن بالنوم رعباً منه .

وزوجى عاجزاً عن أن يفعل شيئاً معه ، وأنا مرضت بالضغط والسكر وطلبت من زوجى الطلاق لكى آخذ بناتى ونعيش معاً فى أى مكان وحدنا لكى لنستريح مما نعانيه وأرجو ان تشير علىّ بما أفعل لكى اتخلص من هذا العذاب بشرط ألا تنصحنى بأن أبلغ عنه الشرطة لأنه إبنى الوحيد واننى أموت ولا اشهد مثل هذا اليوم . وحبذا لو تطوع أحد قرائك من أهل الإسكندرية بأن يوجد لنا شقة ولو من حجرة واحدة لأعيش فيها مع بناتى وحدنا بشرط ان يكون صاحب البيت قادراً على حمايتنا من الولد الذى يتتبعنى أينما ذهبت ويطمع فى أى شىء نملكه بحجة انه ولد وحيد وستؤثر تصرفاته على زواج البنات رغم انى ادعو له بالهداية وكل ذلك بسبب التدليل فى الصغر . . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول** : لايملك المرء بعد أن يقرأ رسالتك إلا أن يردد معك متألماً : لاحول ولا قوة إلا بالله ، لكن العقل يتمرد بعد ذلك سائلاً : وماذا كان زوجك ينتظر من ابن درّبه وهو طفل صغير على أن يعتدى على أمه بالضرب وعلى ألا يهنأ ويكف عن البكاء إلا إذا رآها تبكى أو تتظاهر بالبكاء أمامه ؟

لقد ساهم الأب بتربيته الخاطئة له وبتدليله والاستجابة دائماً لكل مايطلبه فى إثقال الحياة بكائن جديد إعتاد الأخذ من الآخرين دائما وليس

قادراً على العطاء المادى أو المعنوى لهم . وأخشى ان اقول انك قد شاركتِ زوجك فى هذه الجريمة . لقد كان ابنك يتوسل لنيل مايريد وهو طفل بالبكاء . . فأصبح يتوسل لنيله الآن بالضغط المعنوى والجسدى عليكم جميعاً ، ولأن العالم الخارجى ليس فيه من هو على استعداد لأن يقابل عدوانه بالانكماش امامه باكيا أو متظاهراً بالنوم فهو يخصكم وحدكم بإرهابه وبالنوبات العصبية الغريبة التى يفتعلها مطمئناً إلى ضعفكم أمامه وإلى عدم احتمال تعرضه لأى ردع يعاقب عليه ، والمؤسف حقاً أننا لانتذرع بالعصبية الشديدة للعدوان على الآخرين إلا مع الأعزاء الذين نعرف تماماً أنهم سوف يتحملوننا ويصبرون علينا ، أما مع الآخرين الذين قد يبطشون بنا فإننا نعرف جيداً كيف نتحلىّ معهم بالحكمة وضبط النفس، ولا غرابة فى ذلك لأن القدرة على الأعزاء . . والعجز فى مواجهة الغرباء هو الجبن بعينه وابنك هذا طفل خائر الإرادة أمام رغباته واخشى ان يكون قد استسلم لما سلبه هذه الإرادة وحوله إلى وحش أنانى لايرى إلا مطالبه ونفسه فقط ولايستشعر واجباته الإنسانية والعائلية تجاهكم .

أما مطالبتك بالطلاق . . ورغبتك فى هجر البيت مع بناتك واللجوء إلى حماية صاحب بيت شهم فليست حلاً لمشكلة هذا الابن ولا لمشكلتك، وإنما الحل هومواجهته بكل سبل المواجهة الممكنة ورده عن تجاوز الحدود التى ألزم بها الله الأبناء فى تعاملهم مع أمهاتهم وشقيقاتهم ، ولست اتصور انكم قد استنفدتم كل طرق المواجهة العائلية معه . . فإن كنتم قد فعلتم فإن تهديده ـ إن لم يرتدع ـ بالسلطة الوحيدة التى تستطيع ردع أمثاله يصبح للأسف هو الحل الوحيد لمشكلته اننى اعرف انه أمر

شديد الإيلام للنفس وان الاعتبارات العائلية والاجتماعية تفرض علينا فى كثير من الأحيان النأى بهذه النزاعات عن تدخل الشرطة تجنباً للفضائح أو تخوفاً من العواقب ، لكن ماذا نفعل مع ابن يعتدى على أمه بالضرب والسب كل يوم وفشلت معه كل طرق الهداية والارشاد والتعامل بالحسنى ؟ ان من ينجرف إلى هذه الخطيئة لايجدى معه فقط ان نخاطب عقله ودينه ونطالبه بأن يرعى حدود ربه مع أسرته أو ان نذكره بما سوف يناله من عقاب أليم فى الدنيا وفى الآخرة جزاء لما يفعل ولا ان نذكّره بأن من يعقّ أبويه يعقه ولده فى المستقبل كما نفعل مع الأسوياء . لاياسيدتى لايجدى مع أمثاله شىء من ذلك وإنما يجدى معه ان نذكره بأننا لن نحتمل منه أكثر مما احتملنا ، وبأننا إن لم نجد من الأهل والأقارب ، من يستطيع ان يتصدى له بالقوة ويرده عن الاعتداء على الضعفاء منا ، فإنه لن يكون لنا خيار إلا التغاضى عن كل الاعتبارات العائلية التى تشل إرادتنا معه ونلجأ إلى سلطة المجتمع التى تنظم علاقات افراده وتمنع عدوان بعض أفراده على الآخرين ، واتصور انه إذا ما تيقن تماماً من صدق هذا التهديد وجدّيته فإنه سيفكر ألف مرة قبل أن يرفع يده الآثمة على من ينبغى ان يخفض لها جناح الذل من الرحمة ، ولن يتمادى فى ارهابكم واكراهكم جسدياً ونفسياً على ما لاتريدون ذلك ان أكبر مشجع له على التمادى فيما يفعل هو اطمئنانه الراسخ إلى ضعفكم العاطفى تجاهه ، وإلى احتمالكم لكل مايفعله بكم كأنه قدر لاحيلة لكم فيه وإنى لعلى استعداد لمساعدتك فى هذا الأمر إذا اضطررتم للجوء إليه كحل أخير وفى الحدود الآمنة التى لن تؤثر على مستقبله بإذن الله وإنما تحميه من شرّ نفسه وتدق له جرس الإنذار الذى يذكره بان لكل شىء حدوداً ولكل احتمال نهاية ففكرى فى الأمر طويلا واكتبى إلىّ بما تريدين .

الخـــــائب !

أنا ياسيدى عمرى ٢٤ سنة تزوجت من ٤ سنوات وعندى ولدان أكبرهما عمره سنتان ونصف والآخر عمره ٥ شهور ، وزوجى يعمل فى «شغل» حداد مسلح ، وهو يعمل يوما و «يجلس » عشرة ويريد ان تصرف عليه أمه ! و إذا عاتبته على ذلك يضربنى ويسبنى ، وفى بداية زواجنا كنا نعيش فى شقة أهلى وعندما تزوج أخوته أصبحت امه « تجلس » بمفردها فطلبت ان نعيش معها فرفض هو . . ووافقت أنا وبعد اصرار منى ذهبنا لنقيم معها لكى اترك غرفتى لأخى ليتزوج فيها ، ومنذ هذا اليوم من ٣ سنوات وهو يسبنى ويضربنى « ويعايرنى » هل تعرف بماذا يعايرنى بأن عندى شلل أطفال فى إحدى ساقى وهو لايريد ان « يشتغل » ويقول لى ان فلانة زوجة فلان قريبه تعمل أى انه يريدنى ان « اشتغل » . . لكن كيف « اشتغل » ياسيدى وأنا لم اكمل تعليمى وليست فى يدى « صنعة » اشتغل بها ، وهو إذا لم يجد نقودا يبيع أى شىء فى البيت وقد سافر ذات مرة إلى احدى الدول العربية ولم يستمر بها أكثر من شهرين رغم وجود عمل هناك ورغم ان من سافر معه مازال يعمل هناك حتى الآن . . فهل تعرف ماذا قال لهم عندما أراد ان يعود إلى مصر ! لقد قال لهم ان زوجته توفيت وهى تضع مولودها الثانى وعاد لكى يجلس هكذا يعمل يوما ويتعطل عشرة

وإذا خرجت والدته من البيت لايترك لنا نقودا حتى للطعام . . وعندما أمرض يقول لى اذهبى إلى أهلك . . وحتى عندما وضعت طفلى الأول والثانى لم يصرف علينا وكنت اتحمل كل ذلك من أجل أولادى الصغار ، لكنه بعد كل ذلك وفى إحدى المشاجرات طردنى انا وأولادى وأنا الآن على وشك الطلاق ولا اعرف كيف سأعيش فهل عندك حل لى ؟

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول** : عنده سبحانه وتعالى كل الحلول . . فتفضلى بزيارتى مساء الاثنين القادم . . لعل الله يدبر لك من أمرك رشدا . . أو يعينك على حياتك مع هذا « الخائب » الذى يعمل يوما ويتنطع عشرة ويرحب بأن تنفق عليه أمه . . أو بأن تعمل زوجته نيابة عنه ولايعمل إلا مضطرا وبعد أن يستنفد كل الوسائل للتهرب من العمل وما أكثر أمثاله فى مجتمعنا . . وما أشد نكبته بهم ، وليس العجب فقط فى أن تكون هذه هى شخصياتهم الاعتمادية الكسولة . . وإنما العجب كل العجب فى أنهم يجدون ـ رغم ذلك ـ من يرحبون بهم أزواجا وأصهارا لكى يتحفونا بالمزيد والمزيد من الأفواه التى تزيد حياتنا صعوبة وزحاما لأنهم يكرهون العمل والكفاح . . ولايكرهون الانجاب !

الانقـــلاب !

كنت وحيدة أبى وأمى ثم توفيت والدتى رحمها الله ، وتزوج ابى من سيدة فاضلة وأصبحت نعم الأم والصديقة لى منذ دخلت حياتنا واعتدت ان اناديها بماما منذ زواجها بأبى ، ثم التحقت بالجامعة وخلال عامى الأول بها تعرفت بشاب يحمل مؤهلا متوسطا واحببته لدماثه خلقه وطباعه الهادئة وخوفه الشديد على . وقررنا ان نتزوج فعارضنا الجميع وعارضتنى زوجة أبى بشدة وراحت تذكرنى بفارق التعليم وفارق الوضع الاجتماعى لأنى من عائلة معروفة عريقة وهو من عائلة كافحت حتى أصبحت تملك عقارا ومحلا تجاريا يعمل به فتاى مع أبيه وأخوته كما عارضت أسرته زواجنا ايضا بكل الطرق بدعوى أنى لست من عالمهم . . وسوف « أخربه » ماليا وسوف يضطر لانفاق الكثير علىّ لأنى أرتدى الملابس الغالية واركب سيارة خاصة أما أبى فقد عارض طويلا ثم يئس منى وقال لى فى النهاية : إنه اختيارك فافعلى ماتشائين لكنى لن استمع لشكواك إذا شكوت من حياتك ذات يوم وهكذا تزوجنا رغم معارضة الجميع .

وليت ابى ياسيدى ضربنى وحبسنى ومنعنى بالقوة من الخروج على ارادته . . وليتنى سمعت نصيحة زوجة أبى التى اخلصت لى النصح فكنت عمياء لا أرى ولا اسمع سوى صوت الحب ، فلقد حاربنى أهله

منذ اليوم الأول لزواجى ولم يتقبلونى ابدا بينهم مع انى اقيم معهم فى نفس العمارة . ولقد عملت كخادمة لأمه ولأخواته البنات حتى ترضى عنى أم زوجى ولكن بلا فائدة . ثم بدأوا يوسوسون له فانقلب بعد ثلاثة شهور فقط إلى شخص آخر غير الشخص الذى احببته وتزوجته وبعد فترة قصيرة طلب منى صراحة ان اطلب من ابى مساعدة شهرية لى حتى يرضى هو عنى ويواجه نفقات حياتنا وبرر ذلك متسائلا ألم يكن ينفق عليك وأنت فى بيته ؟ ثم بدأ يسحب منى مصوغاتى الذهبية قطعة وراء قطعة بشتى الحجج الواهية ويبيعها واعطيه مايريد حتى « لا أسود عيشتى » بيدى واتظاهر بان ذلك باختيارى . . والآن ياسيدى يطالبنى بميراثى من والدتى الذى يحتفظ به ابى تحت يده واعطانى مهلة محددة بعدها إما الميراث . . وإما الطلاق ، ولا أعرف كيف اتصرف ولا ماذا افعل فاعطينى المشورة قبل فوات الأوان وشكرا لك .

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول** : أرجو ياسيدتى فى البداية ألا تكون رسالتك هذه « حيلة » متفق عليها بينك وبين زوجك لإحراج أبيك وابلاغه برغبتكما المشتركة فى استخلاص ميراثك عن أمك بطريقة ترفع عنك الحرج معه وتضع أباك أمام الاختيار الصعب بين سعادتك وبين ميراثك ؟

ولأنى افترض دائما حسن النية فيمن يطلب مشورتى إلى ان تثبت الدلائل العكس فانى أقول لك فى البداية ان ميراثك عن أمك هو حق مشروع لك ولن يمنعه أبوك عنك للنهاية لكنه فيما اتصور يترقب الوقت الذى يستشعر فيه انه لو سلمه إليك لن يتبدد ويتسرب فى الهواء خلال

فترة قصيرة كما تتبدد وتتسرب الآن مصوغاتك الذهبية ، فهو إذن لايحجبه عنك و إنما يحفظه لك من عبث العابثين إلى ان يطمئن قلبه إلى ان أحدًا لن يسلبه منك فتفقدى سنداً يمكن ان تعتمدى عليه فى المستقبل واتصور ان لأبيك بعض العذر فى ذلك بعد ان اثبتت تجربتك انك لست ممن يتقبلون النصيحة فى الوقت المناسب حتى وان تمنوا بعد ذلك لو كان الناصحون قد ارغموهم بالقوة على قبول مارفضوه من قبل من نصائحهم وهذه للأسف سِمة نفسية من سمات الأشخاص ضعيفى الإحساس بالمسئولية ، أن يبحثوا دائما عن أسباب خارجية لفشلهم الخاص وعنادهم ورفضهم نداء العقل ونصح الناصحين حين كان من الممكن انقاذهم من المهالك ، ويمضون إلى الهاوية كأنهم مساقون إليها باقدار أقوى منهم . . ثم يدفعون الثمن . . ويندمون . . فإن تنازلوا ولاموا أنفسهم بعض اللوم بعد ذلك فإن لومهم للآخرين الذين لم يمنعوهم بالقوة من السير إلى الهاوية بعناد أعمى . . يكون فى أعماقهم أشد ! كأنما يلتمسون بذلك لأنفسهم بعض العذر فيما فعلوا ولايلتمسونه بنفس القدر لمن اكتفوا بالنصح ثم يئسوا منهم، مع أنهم يعرفون عن أنفسهم جيدا انه لو أرغمهم الآخرون بالفعل على قبول مارفضوه لما اجدى معهم الارغام شيئا ولما زادهم إلا عنادا واصرارا .

على اية حال ياسيدتى فان الكتاب يقرأ من عنوانه . وعنوان كتابك وصفحات فصوله الأولى كلها لاتنبئ باحتمالات قوية لنجاح حياتك الزوجية واستقرارها ، ليس فقط بسبب « الانقلاب » التقليدى الذى تشهده شخصية الزوج أو الزوجة بعد فترة قصيرة من الزواج وزوال غشاوة

الحب التى اخفت الحقائق الواضحة تماما للآخرين من البداية ، وإنما لأن مطالبات زوجك المادية لك ليست مما يوحى بالثقة فى شخصيته وفى صدق حبه لك وصدق إحساسه بالمسئولية الكاملة عنك .

أما وضعه لك أمام الاختيار النهائى بين الميراث . . وبين الطلاق ، فهو ينسف كل مبررات هذا الزواج الذى لم يكن له من أساس سوى الحب ورغبة كل طرف منكما فى ان يعيش حياته إلى جوار الآخر ، ذلك ان من يعرف الحب الحقيقى ياسيدتى لايضع من يحب امام هذا الاختيار الرخيص ابدا ولاتعدل كنوز الدنيا عنده جوار من يحب أو قربه . لهذا فإن نصيحتى لك ان كنت قد تعلمت حقا قبول النصائح هو ان تخيِّريه أنت بينك بلا ميراث وبلا حديث عنه أو عن المساعدة المالية من أبيك . . وبين الطلاق ، فإن اختارك أنت فلقد اثبت جدارته بك وبحبك ولسوف يغرى ذلك اباك على ان يسلمك فى الوقت المناسب ميراثك بعد اتخاذه الضمانات الكافية لعدم تبديده ، وإن اختار الفراق فحسنا يفعل لأن الطلاق الآن قبل انجاب الأطفال أفضل منه غدا أو بعد غد وشكرا . .

الظـــلال الوارفـــة

أثارت شجونى رسالة « الحلم الغامض » للسيدة التى حرمت من الانجاب وتفكر فى رعاية وليد يتيم لكن زوجها يعترض على ذلك ، فلقد عانيت من قبل مثل معاناتها لكنى واجهتها بطريق آخر أرجو أن أضع تجربتى معه أمام هذه السيدة المعذبة . . فلقد تزوجت منذ ٢٧ سنة وعشت حياة سعيدة هادئة مع زوج محب فاضل ، وعانيت من الحرمان من الأمومة وخضت رحلة العلاج بكل آمالها المحبطة وآلامها ٧ سنوات كاملة ثم كففت عن المحاولة وسلمت أمرى لله ، وفكرت فى أن اشبع أمومتى المكتومة عن طريق رعاية طفل من أطفال دور الرعاية الذين حرموا بغير جريرة من حنان الأسرة ووصموا بعار لا ذنب لهم فيه ، وكان كل أملى ان أهب أحدهم بعضا من الحنان الدافق الذى ينوء بحمله قلبى ولايجد من يتلقاه . . وان يتردد فى بيتى الصامت ذلك الصوت العذب الذى انتظرته طويلا وهو يضحك ويبكى ويصرخ ويطلب ويأمر ويرجو ، وهكذا اخترت فعلا طفلا أحسَّ به قلبى ، وانقلب سكون بيتى إلى حياة وصخب وتعمق الحب والود والتعاطف بينى وبين زوجى أكثر وأكثر ، وصممنا للتحدى أمام ضغوط الأهل والأصدقاء الذين رفضوا الفكرة وحاولوا إثناءنا

عنها . . وبعد ٤ سنوات من الصمود قررنا ان نرد على هذا الضغط ردا عمليا هو ان نرعى طفلا آخر ليكون أخا للطفل الأول ، واخترنا طفلا جديدا اكتشفه قلبى من بين عشرات من أمثاله وانضم إلى بيتنا وأصبحنا اسرة صغيرة سعيدة متحابة من ٤ أفراد تشغلنا هموم لذيذة جديدة كمواعيد التقديم للمدرسة . . والواجبات المنزلية . . وامتحان الشهر وملابس المدرسة . . وملابس الصيف والشتاء . . واختفى الصمت والسكون من بيتنا ، ورفرفت طيور السعادة عليه دائما والحمد لله ،والآن وأنا أجلس لأكتب إليك هذه الرسالة أصبح ابنى الأكبر طالبا فى كلية الهندسة وابنى الأصغر طالبا فى الثانوية العامة وربما تكون نتيجته قد ظهرت قبل ان تصل إليك هذه الرسالة وسوف يكون من الناجحين بإذن الله لأنه مجتهد ومتفوق، وكلاهما والحمد لله مهذب ومتدين ، أما اختلاف اسم الأب فى بطاقتيهما عن اسم ابيهما العظيم زوجى فهو أمر ثانوى ولا يلاحظه أحد . . أما هما فلا يعرفان لهما أبا ولا أما سوانا ويملآن علينا الدنيا بهجة وسعادة وأحمد الله ان هدانى إلى هذه الفكرة وعوَّضنى بها عن حرمانى من الانجاب . . واشكر زوجى الحبيب كل يوم أن وافق عليها وساعدنى على اجتياز محنة الحرمان من الانجاب ، وأناشد زوج هذه السيدة المحرومة ألا يقف ضد رغبتها فى رعاية طفل صغير تفرغ فيه أمومتها الحبيسة وأن يتأكد أن ذلك سوف يكون بشيرا له بالخير والسعادة لأنه سيحمى طفلا محروما من غوائل الدنيا وسيوفر له سبل الحياة الكريمة السليمة التى تقدمه للمجتمع عضوا نافعا بدلا من أن ينتظره الضياع والفساد . . وشكرا .

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول** : من لا ظلَّ له يستظل به الآخرون لا تعنى

حياته أحدا غيره ، فحياة المرء تكتسب قيمتها مما تمثله للآخرين من خير ونفع وأمل مرجو . لهذا قال أحد الفلاسفة الرواقيين « إن الموت هو المصيبة الوحيدة التى لاتمسنا . . ففى حياتنا لاموت ، وحين يجئ لا تكون حياة » يقصد أ نها لا تمسنا نحن لكنها تمسُّ من تمثل حياتنا قيمة ورجاء بالنسبة لهم ، وكلما اتسعت دائرة من يمسهم غياب الإنسان عن الحياة ارتفعت قيمة حياته وسما معناها .

وأنت يا سيدتى قد اخترت أن يكون لحياتك معنى أكثر مما تمثله لزوجك وأهلك فمددتِ ظلالك الوارفة على طفلين محرومين وسخوت عليهما بحنانك وعطفك وجميل رعايتك . . وقدمت للحياة إضافة جديدة تسهم فى ترقيتها . لا غرابة إذن فى أن تحسى الرضا عن نفسك وفى أن تغرد طيور الحب فى بيتك الصغير ، ولا عجب فى أن تستشعرى السعادة فى كل شىء حتى فى هموم الأبناء التى قد يضيق بها آخرون ، لأن النفس المحبّة للحياة وللآخرين تتلمس السعادة فى أوهى الأشياء وتتذوقها وتستطيب مذاقها ، والنفس المحبة لذاتها وحدها يصعب عليها ان تتذوق الجمال والسعادة حتى فى أثمن الأشياء وأكثرها قيمة . . فشكراً لك على عطائك . . وشكرا لك على ندائك الإنسانى لزوج كاتبة رسالة « الحلم الغامض » وأرجو أن يتفكر فيه طويلا .

ظــلال السـنين

أنا سيدة متدينة وعلى خلق والحمد لله ويقولون دائما إننى على قدر كبير من الجمال والمرح ، وقد توفى أبواى وأنا فى العشرين من عمرى وتزوجت من رجل يشغل مركزا مرموقا وعملت بالتدريس وكأى فتاة اقبلت على حياتى الزوجية وكلى رغبة فى السعادة والاستقرار والإحساس بالأمان ، خاصة بعد أن أصبحت يتيمة الأبوين ، لكنى ومنذ شهورى الأولى فى الزواج بدأت معاناتى مع زوجى واحتمالى لقسوته وإهاناته ، وبعد ان أنجبت الأبناء ذقت معه كل ألوان العذاب وأشكاله ، فهو سليط اللسان ويتفوه بألفاظ قذرة أمام الجيران وأمام الجميع . . وكان يقف فى شرفة البيت ويطلب من ابنى الطفل أن ينادينى قائلا له بصوت مرتفع يسمعه كل الجيران : ناد الحيوانة التى بالداخل ! . . فيجيئنى ابنى وهو يرتجف ، وأخرج إليه صاغرة ليحاسبنى فى الشرفة حساب الملكين بأقذر لغة وبأعلى صوت ممكن، هذا عدا السباب طوال اليوم بمناسبة وبلا مناسبة، وإيذاءنا أنا وأولادى بالضرب المبرح . . وتقطيع ملابسى أمام عينى وقذفنا لأى سبب تافه بأى شىء تصل إليه يده كالمكواة أو المنبه أو الحذاء . . وأنا ضعيفة الجسم والصحة ولاسند لى فى الحياة يدافع عنى أو يغضب لى ، وهو قوى البنية ومغتر فلا أملك إلا البكاء والتضرع إلى الله والاحتساب عنده ، وتذكير نفسى فى كل حين بأن الله يمهل لا يهمل ولايمكن أن

يتركنى للنهاية تحت رحمة من لايرحم ضعفى وقلة حيلتى وانكسارى معه على طول الخط فضلا عن انانيته وتفضيله لنفسه على أولاده فى المصروف والطعام ، حتى ساءت صحتى تماما وازداد هزالى ونقص وزنى إلى ٥١ كيلوجراما فقط وكل ذلك وهو يتمادى فى ظلمه لنا . . . وازداد سوءا بعد احالته للتقاعد من وظيفته المرموقة .

وفجأة ياسيدى مرض زوجى وانهار هذا الجبل بلامقدمات وحار الأطباء فى مرضه ثلاث سنوات لم أقصرِّ فى أداء واجبى فى خدمته خلالها ، ثم توفاه الله بعد أن أثقلتنا الديون ولم يترك لى سوى المعاش وأبنائى الثلاثة الذين شاركونى أتعس الأيام وأسوأ الذكريات . . فنهضت لتحمل مسئوليتى وقمت بسداد جميع الديون والحمد لله والشكر له ، ثم قمت بتغيير أثاث المنزل كله وإعادة طلاء الشقة كلها وإعادة تنجيد حجرة النوم والصالون ، كأنما أريد أن أغير المناخ التعيس الذى عشت فيه وأهدرت فيه أحلى سنوات العمر من العشرين حتى بلغت مشارف الخمسين ، وبدأت استعيد صحتى حتى بلغ وزنى ٧١ كيلوجراما والحمد لله . . وتفرغت لرعاية أبنائى وتعويضهم ما حُرموا وحرمت منه من الحنان والفهم والرعاية خلال سنوات الطغيان ، فتخرج الأكبر وعمل باحدى الشركات وخطب فتاة جميلة طيبة تعمل بوظيفة مرموقة وسعدنا بخطبته وسعد بها ، وتخرج الآخر ويستعد الآن للسفر للخارج وسوف أرسل له بالعروس التى يختارها فى أى مكان يحلّ به وتحفظه فيه رعاية الله وفضله .

أما أصغر الأبناء الذى تكرر رسوبه فى الاعدادية بسبب ما عاناه معنا . . فلقد نجح والحمد لله والتحق بالتعليم المتوسط ويواصل النجاح فيه بلا تعثر .

ثم أحسست ذات يوم ببعض الألم فى عينى وشخصه الطبيب بأنه ضغط بالعين ووصف لى الدواء ، فعالجت نفسى . . لكنى طلبت من الله ان أغسل وجهى بماء زمزم . . فإذا به يستجيب لدعائى وقمت بأداء العمرة وزيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام ، وتوضأت وغسلت عينى بماء زمزم وتحسنت صحتى كثيرا والحمد لله ولم يعد ينقصنى سوى أداء فريضة الحج ، وسوف أؤديها بأمر الله الذى عوضنى عن أجمل سنوات العمر التى ضاعت فى العذاب والحرمان والاهانة أمام الناس وأكرمنى بفضله العظيم بعد العناء . وأريد أن أقول لكل من يغتَّر بقوته وصحته أو مركزه أو ماله . . انه لاشىء يدوم وكل شىء إلى زوال ولايبقى سوى المعاملة الطيبة بين الناس فلا تضيعوا سنوات العمر فى تعذيب الآخرين وإتعاسهم حتى لايحملوا لكم أسوأ الذكريات ، وحتى لاتتعرضوا لعقاب الله الذى يمهل حقا . . . ولا يهمل أبدا . .

والسلام عليكم ورحمة الله .

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول** : هناك ثمن يدفعه الناس دائما لأفعالهم ، ولابد أن يحلَّ أجل السداد ذات يوم فإن لم يحل فى الدنيا تأجل إلى الآخرة وتضاعفت فاتورته وأضيف إليها سوء الذكرى ولعنة التذكر ، وبالرغم من ان الحياة السعيدة تتطلب دائما ذاكرة ضعيفة تسقط منها اساءات الغير لنا لكى تستقيم لنا الحياة ونستمتع بسلام النفس إلا أنه فى بعض الأحيان قد يعجز الإنسان عن النسيان حتى لأتصور أحيانا أنه لا السيئة تنسى لصاحبها بعد حين ولا العمل الطيب ينسى ايضا لصاحبه وان بدا للعيان عكس ذلك . كأنما نقول مع الأديب الفرنسى جوستاف فلوبير أنه « بينما يواصل جسدى رحلته إلى الأمام . . فإن أفكارى لا تفتأ تلتفت إلى الخلف

وتعود إلى الأيام الماضية » أو كأننا نمشى إلى الأمام وأفكارنا تمشى فى الطريق العكسى إلى أيامنا الماضية . . فإن كانت سعيدة فإلى ذكريات سعادتنا . . وان كانت شقية فإلى ذكريات التعاسة والشقاء ورغم سطوة الماضى على الإنسان فإنه ليس من العدل أن نسمح لما شقينا به فى أيامنا الماضية بأن يفسد علينا ما تبقى لنا من رشفات الحياة، ولابد ان ينتزع الإنسان نفسه من مراراته وعذاباته القديمة ويمضى إلى الأمام بقلب يخفق بالأمل فى رحمة ربه.

وأنت ياسيدتى قد فعلتِ كل ما أملاه عليك واجبك كزوجة وأم اختارت أبناءها وقاسمتهم ظروفهم وحياتهم وصبرتِ على ما تكرهين حتى زالت أسباب الشقاء ووصل ابناؤك إلى بر الأمان وتفتحت السبل أمامهم ، واستعدت أنت رونقك وصحتك وسعدت بأبنائك وسعدوا بك ، فأمسحى ظلال هذا الماضى التعيس عن كتفيك . . ولا تعيشى أسيرة لذكرياته المريرة ولا تُنقصى من أجر الصابرين الذين يوفيهم الله أجرهم بغير حساب بذكر زوجك بسوء أمام الغير وبالذات مع أبنائك . . بل ولاتطلبى له من ربه إلا الرحمة والمغفرة وألا يكون ممن « لم يتركوا الذنوب . . حتى تركتهم الذنوب » أى حتى عجزوا عن أن يقترفوا المزيد منها .

وجددى حياتك وعلاقاتك العائلية والاجتماعية كما جددت بيتك لكى يشغلك ذلك عن إجترار الأحزان ، أما نداؤك الأخير فمما يستحق فعلا ان يتأمله كل إنسان رجلا كان أم امرأة ويتفكر فيه طويلا ويعمل به . . لكيلا يغتر بشىء من متاع الغرور ولكى يصنع لنفسه بعد موته ذكرها ولكى يعرف جيدا أن ذاكرة الأفراد كذاكرة الشعوب قد تنسى كل شىء وأى شىء . . لكنها لا تنسى أبدا من قهرها وأذلها . . ولا تغفر له ذلك وإن طال المدى !

القــــرار !

أكتب إليك للمرة الثالثة خلال فترة قصيرة . . فأنا ياسيدى الطبيب الشاب الذى نشرت رسالته منذ فترة قصيرة بعنوان اللحظة القاسية ، والذى روى لك فيها إنه كان متزوجا ويعيش فى سعادة مع زوجته وأطفاله إلى ان توفى صهرى وذهبت زوجتى للاقامة مع أمها لفترة بعد الوفاة ـ فطالت اقامتها معها ودعوتهُا للعودة إلى بيتها أكثر من مرة فرفضت إلا إذا كتبت لها جزءا من مالى تأمينا لمستقبلها ورويت لك انى فوجئت بهذا الموقف منها . . ورفضت الاستجابة لشروطها وتم الطلاق وتهدم العش السعيد الذى لم يشهد اية أزمة قبل تلك اللحظة القاسية ، ثم تحملت الصدمة وواصلت حياتى إلى ان وضع الله فى طريقى سيدة فاضلة تزوجتها وسافرت معها إلى احدى الدول العربية وعشت معها فى سلام وسعادة وانجبنا طفلة جميلة . . ثم فوجئت منذ فترة قصيرة برسالة من زوجتى الأولى تنبئنى فيها أن أمها قد توفيت وانها قد ادركت خطأها فى حقى وحق ابنائها وندمت على هدمها لأسرتنا . . وتعرض علىّ ان اعيدها إلى عصمتى مع استمرار زواجى بزوجتى الثانية حرصا على صالح ابنائنا الذين لاذنب لهم فى وقوعها تحت تأثير أمها .

وقد كتبت إليك فى رسالتى الأولى عن حيرتى ازاء هذا الموقف . .

وتعود إلى الأيام الماضية » أو كأننا نمشى إلى الأمام وأفكارنا تمشى فى الطريق العكسى إلى أيامنا الماضية . . فإن كانت سعيدة فإلى ذكريات سعادتنا . . وإن كانت شقية فإلى ذكريات التعاسة والشقاء ورغم سطوة الماضى على الإنسان فإنه ليس من العدل أن نسمح لما شقينا به فى أيامنا الماضية بأن يفسد علينا ما تبقى لنا من رشفات الحياة، ولابد ان ينتزع الإنسان نفسه من مراراته وعذاباته القديمة ويمضى إلى الأمام بقلب يخفق بالأمل فى رحمة ربه.

وأنت ياسيدتى قد فعلتِ كل ما أملاه عليك واجبك كزوجة وأم اختارت أبناءها وقاسمتهم ظروفهم وحياتهم وصبرتِ على ما تكرهين حتى زالت أسباب الشقاء ووصل ابناؤك إلى بر الأمان وتفتحت السبل أمامهم ، واستعدت أنت رونقك وصحتك وسعدت بأبنائك وسعدوا بك ، فأمسحى ظلال هذا الماضى التعيس عن كتفيك . . ولا تعيشى أسيرة لذكرياته المريرة ولا تُنقصى من أجر الصابرين الذين يوفيهم الله أجرهم بغير حساب بذكر زوجك بسوء أمام الغير وبالذات مع أبنائك . . بل ولاتطلبى له من ربه إلا الرحمة والمغفرة وألا يكون ممن « لم يتركوا الذنوب . . حتى تركتهم الذنوب » أى حتى عجزوا عن أن يقترفوا المزيد منها .

وجددى حياتك وعلاقاتك العائلية والاجتماعية كما جددت بيتك لكى يشغلك ذلك عن إجترار الأحزان ، أما نداؤك الأخير فمما يستحق فعلا ان يتأمله كل إنسان رجلا كان أم امرأة ويتفكر فيه طويلا ويعمل به . . لكيلا يغتر بشىء من متاع الغرور ولكى يصنع لنفسه بعد موته ذكرها ولكى يعرف جيدا أن ذاكرة الأفراد كذاكرة الشعوب قد تنسى كل شىء وأى شىء . . لكنها لا تنسى أبدا من قهرها وأذلها . . ولا تغفر له ذلك وإن طال المدى !

بالمشكلة وحلَّلتها من كل جوانبها . . وأما العتاب فلأنك كما تقول زوجتى قد ألقيتَ بالعبء كله على ضميرها هى وحدها فى ان تجمع بين اب وابنائه وزوجته الأولى . . أو تفرق بينهم جميعا وهى مسئولية ثقيلة محتاجة إلى تحكيم الدين ومراعاة الله فيها وانتهى الحديث عند هذا الحد . . وعشنا حياتنا العادية . . ولم اشعر بأى تغير من ناحية زوجتى ولا أى تقصير فى اداء واجباتها كزوجة وأم .

وبعد فترة مناسبة من التفكير فى الموضوع ابلغتنى زوجتى بقرارها ، واحب ان اعرضه عليك بكلماتها هى لقد قالت لى زوجتى وهى كما قلت فى رسالتى الأولى ، خريجة كلية علمية عملية وحاصلة على أعلى الدرجات وتعمل :

إن طاعة الزوج فرض على كل زوجة فيما لامعصية فيه لله . وان طاعة الزوجة لزوجها مقدمة على طاعتها لأهلها وانها من أسباب كل زوجة للتوسل إلى نيل رضا ربها ودخول جنته ، وان الله قد أحل للرجل ان يتزوج من أكثر من زوجة لضرورات معينة فى صالح البشرية بشرط ان يعدل بينهن ، وبناء على ذلك فهى تقبل ان أعيد إلى عصمتى زوجتى الأولى مراعاة لصالح ابنائى منها ، وواثقة من انى سوف أعدل بينهما ، ومؤمنة بان طاعتى فى هذا الأمر والصبر عليه مع الالتزام بالقيام بواجباتها نحوى ونحو بيتها واسرتها يقربها من ربها وينيلها جائزته فى الدنيا وفى الآخرة .

هذا هو ياسيدى قرار زوجتى فى المشكلة التى حيرتنى عدة أسابيع وشغلت ليلى ونهارى .

وقد سمعتها تردد هذه الكلمات . . وأنا لا اصدق نفسى . .

أسألك المشورة فى أمرى فاجبتنى بأنى فى موقف محير فعلا . . وانه من المواقف القليلة فى الحياة التى يستوى فيها الخطأ مع الصواب على نفس الدرجة تقريبا لأنى إن اعدت زوجتى الأولى حرصا على مستقبل ابنائى منها عرّضت حياتى الجديدة للخطر بعد ان استقرت واثمرت ثمارها وازهرت طفلة جميلة . . وان رفضت اعادتها اضررت بصالح أبنائى منها . . وبالتالى فلا لوم علىَّ ان قبلت عودتها أو رفضتها ثم انتهيت إلى رأى محدد هو ان أعرض الأمر كله على زوجتى الحالية قبل اتخاذ أى قرار . . فإن قبلت عودتها لك كان ذلك فضلا منها وكرما وتغليبا لمصلحة ابنائك من الأخرى على اعتباراتها الشخصية . . وان رفضت فلا لوم عليها . . ونصحتنى فى هذه الحالة بأن اتمسك بها وان اعتذر للأولى حرصا عليها وهى من حققت لى السعادة والأمان وحرصا على مصلحة طفلتى منها .

وبعد نشر هذه الرسالة كتبت إليك رسالة شخصية ابلغتك فيها انى سأعمل بمشورتك التى انقذتنى فعلا من حيرتى ـ لكنى سأنتظر الوقت الملائم لمفاتحة زوجتى فى الأمر ، وكنت قد اخفيت عنها الصحيفة التى نشرت بها المشكلة ثم انتظرت حتى جاءت اللحظة المناسبة . . فاخرجت الصحيفة من مخبئها وقدمتها لها واخبرتها بالموضوع كله وطلبت منها ان تقرأ ردك على المشكلة . وقرأت زوجتى المشكلة . . وطلبت منها ألا تتسرع فى ابداء رأيها وان تفكر فى الأمر بروية ثم تصارحنى بعد ذلك بما يدور داخلها . . . واكدت لها انى سألتزم بقرارها فى هذا الموضوع بلا غضاضة .
فأطرقت زوجتى قليلا ثم قالت لى أنها معجبة بصراحتى معها فى هذا الأمر . . وأنها تحمل لك شكرا وعتابا . . . أما الشكر فلأنك اهتممت

بالمشكلة وحلَّلتها من كل جوانبها . . وأما العتاب فلأنك كما تقول زوجتى قد ألقيتَ بالعبء كله على ضميرها هى وحدها فى ان تجمع بين اب وابنائه وزوجته الأولى . . أو تفرق بينهم جميعا وهى مسئولية ثقيلة محتاجة إلى تحكيم الدين ومراعاة الله فيها وانتهى الحديث عند هذا الحد . . وعشنا حياتنا العادية . . ولم اشعر بأى تغير من ناحية زوجتى ولا أى تقصير فى اداء واجباتها كزوجة وأم .

وبعد فترة مناسبة من التفكير فى الموضوع ابلغتنى زوجتى بقرارها ، واحب ان اعرضه عليك بكلماتها هى لقد قالت لى زوجتى وهى كما قلت فى رسالتى الأولى ، خريجة كلية علمية عملية وحاصلة على أعلى الدرجات وتعمل :

إن طاعة الزوج فرض على كل زوجة فيما لامعصية فيه لله . وان طاعة الزوجة لزوجها مقدمة على طاعتها لأهلها وانها من أسباب كل زوجة للتوسل إلى نيل رضا ربها ودخول جنته ، وان الله قد أحل للرجل ان يتزوج من أكثر من زوجة لضرورات معينة فى صالح البشرية بشرط ان يعدل بينهن ، وبناء على ذلك فهى تقبل ان أعيد إلى عصمتى زوجتى الأولى مراعاة لصالح ابنائى منها ، وواثقة من انى سوف أعدل بينهما ، ومؤمنة بان طاعتى فى هذا الأمر والصبر عليه مع الالتزام بالقيام بواجباتها نحوى ونحو بيتها واسرتها يقربها من ربها وينيلها جائزته فى الدنيا وفى الآخرة .

هذا هو ياسيدى قرار زوجتى فى المشكلة التى حيرتنى عدة أسابيع وشغلت ليلى ونهارى .

وقد سمعتها تردد هذه الكلمات . . وأنا لا اصدق نفسى . .

ثم طلبت انا منها مهلة لأبلغها بقرارى بعد ان عرفت قرارها .

وفكرت فى الأمر أياما واياما . . وبعد تفكير طويل انتهيت إلى قرار قد يبدو مفاجئا لك . . وهو أنى لن استطيع ان أعيد مطلقتنى إلى عصمتى . . لأنى كلما فكرت فى الأمر تذكرت اساءتها لى وهدمها لعشنا وتمزيقها لأبنائنا . . بلا أى مبرر ، وبالتالى فإنى لو اعدتها فلن استطيع ان اعدل بينها وبين زوجتى الثانية وسأظلمها واظلم نفسى . . وابوء بغضب ربى لأنى لم اعدل معها .

وهكذا قررت ألا اعيد مطلقتى . . وابلغت زوجتى بذلك ، وسوف ابلغ مطلقتى به خلال أيام . . ورأيت ان اكتب لك بقرارى لكى تعرف ماتم فى امرى ولكى تنصح كل زوجة بان تحافظ على زوجها واسرتها وأولادها قبل فوات الأوان . . وإن تخلص فى طاعة الله فلا تعرض أولادها لمثل هذه المحنة ثم تندم على ما فعلت حين لاينفع الندم . . كما ارجو ان تنصح ايضا كل أم الا تتدخل بسوء فى حياة ابنتها مع زوجها . . وألا تكون عونا للشيطان على هدم بيت ابنتها وتشريد أطفالها كما فعلت معى حماتى . . سامحها الله وعفا عنها . . وشكرا لك والسلام . .

☐ **ولكاتب هذه الرسالة أقول** : قدَّر الله وكما شاء فعل . لقد قلت لك من قبل ان أى قرار تتخذه فى هذا الأمر . . فسوف تكون له مبرراته وأسبابه المقبولة . . ولقد كنت تستطيع ان تكون إنسانا متسامحا ومضحيا من اجل ابنائك من مطلقتك بصفحك عنها وإعادتك لشملهم بين جناحيكما بعد ان أذنت لك زوجتك العظيمة بذلك . . لكنى لا استطيع ان ألومك ان لم تفعل فليس كل إنسان بقادر على نسيان الاساءة خاصة إذا

جاءته ممن لم يقدم لهم سوى الحب والوفاء والاخلاص . . أو جاءته ممن كان يعتبرهم ظُهراءه فى الحياة وسنده فيها . . أو إذا ترتب عليها هدم اسرة وتشريد ابناء ابرياء لسبب دنيوى حقير كذلك السبب .

لهذا قلت لك فى ردى عليك : استفت قلبك أولا وبعد ان تطرح الأمر على زوجتك فإن افتاك بقدرتك على الصفح كان خيرا وابقى . . وان افتاك بغيره فلا تثريب عليك . . وفى كلا الحالين فلقد ردَّ إليك هذا الاختبار اعتبارك بعد الا ساءة التى لحقت بك من زوجتك الأولى ، وزادك معرفة بجوهر زوجتك الحالية الأصيل واستمتعنا نحن بقراءة كلماتها الجميلة المعبرة عن فهم راقٍ للحقوق الزوجية والواجبات الدينية وثِقَل الأمانة على الضمير الحى .

فعسى ان تستفيد بكلماتها كثيرات . . وعسى ان تستفيد ويستفيد بعبرة رسالتك كثيرون ممن يندفعون وراء أهوائهم بلا روية ويهدمون معابدهم ويشردون ابناءهم . . ثم لايستبينون الرشد إلا ضحى الغد !

الأخطبــــوط !

لا أريد أن اطيل عليك وأروى لك قصتى أو تعاستى من البداية لكنى سأكتفى بأن أتحدث لك عن حالى الآن وهو الأهم ولا أريد منك ردا عاقلا فقط وإنما أريد ردا بالعقل والاحساس معا بعد أن تتغلغل إلى أحاسيسى وشعورى . . فلقد فقدت من ألتمس عنده النصيحة التى تنفعنى لآخرتى فأنا سيدة عمرى ٢٥ سنة ومتزوجة من ٣ سنوات ولا أطيق زوجى بل أكرهه كراهية شديدة ولا احترمه على الاطلاق وفى أى وقت يمكن أن أتفوه بأى كلام ضده وارجو الا تتعجل فى الحكم علىَّ فهو الذى أوصلنى إلى هذه الحالة وهو الذى علمنى كيف اشتم وكيف يجُن جنونى مثله بل وكيف أكون غير أدمية ، فقد كنت مثل أى فتاة اريد لنفسى الزواج والهناء والراحة لكنه علمنى كيف أكره حياتى وأكرهه . . فهو يخطئ فى حقى مرارا وتكرارا وكلما ضايقنى وجرحنى وبهدلنى وجُن جنونى وغضبت طلبت الطلاق يتحول إلى أخطبوط يحيط بى من كل الجهات ويتفانى فى رضائى واذلال نفسه لى حتى أرضى . . وأنا لا أريد ان أذل أحدًا لكنى أريده فقط إلا يخطئ فى حقى من البداية . . وأقول له دائما ان أهم شىء فى الزواج هو الاحترام وانه إن ضاع ضاع كل شىء . . ولكن هيهات فهو دائم الاهانة والشتائم لى حتى توصلت إلى أسلوب جديد للتعامل معه هو

ان أهينه أنا بصفة مستمرة لكى أمنع عن نفسى شتائمه وإهاناته لأنى حين أكون فى هذه الحالة الجنونية يتوقف عن اهانتى وسبابى ثم اتذكر ربى واهدأ فيعود إلى العجرفة وطول اللسان من جديد فماذا افعل ؟ ان الحل الطبيعى هو الانفصال لكنه يرفض ان يطلقنى . . فهل أظل معتصمة ببيت أبى الذى لا يرى فيه شيئا مما اشكو منه لأنه أمام اسرتى رقيق مهذب أم أظل اعامله بنفس الطريقة لأحجب شتائمه عنى ، بالرغم من الحديث الشريف الذى يقول لاتؤذِيَنَّ امرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله هو عندك دخيل يوشك ان يفارقك إلينا ، أو بالرغم من الحديث الشريف الذى يقول مامعناه ان الله لاينظر إلى امرأة لاتشكر لزوجها وهى لاتستغنى عنه ، والحديث الذى يقول ما معناه ايما امرأة طلبت من زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة .

اننى اقسم لك ياسيدى انه لو كان رضاى بزوجى وطاعتى له حتى فى غير حق له هو الطريق السليم إلى الله لاخترت الرضا به وطاعته لأنى أخاف ربى خوفا شديدا ولكنى أريد الصواب . . فهل الصواب هو أن اعاشر زوجا لايعرف ماذا يريد ولا توجد عنده كرامة ويرفض أن يطلقنى ويرفض أن يحسن معاملتى ويريحنى فى حياتى ؟ وإلى متى سيظل قانون الأحوال الشخصية كما هو لايعطى المرأة حق الطلاق إلا بعد عذاب وهوان مما يتنافى مع الدين . . هل ينتظرون ان تقتل كل الزوجات المعذبات أزواجهن ؟

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول** : الحق والواجب متلازمان دائما يا سيدتى ولاينفصلان وأول حقوق كل طرف من أطراف العلاقة الزوجية يرتبط

بواجب مساو له بالضبط وهو حسن معاشرة كل شريك لشريكه .

ومن حسن المعاشرة تبادل الزوجين احترام كل منهما للآخر وبُعد كل منهما عما يمس شخص شريكه ومشاعره . . والاقتراب من كل ما يرضيه ويسعده مالم يتعارض مع نواهى الدين والأخلاق .

وبعيدا عما يتفنن كُتاب الغرب المعاصرون فى الحديث عنه من حقوق للزوجة فان بعض الفقهاء لايرون حسن المعاشرة مقصورا فقط على احترام كل طرف للآخر ومحاولته ارضاءه والابتعاد عما ينفره وتبادل احترام الرأى والعطف والتسامح ولطف الحديث . . بل أنهم يضيفون إلى هذه الواجبات واجبا آخر هو « اشاعة الأنس » والبهجة فى حياة الآخر والبعد عن أسباب الشقاق والكآبة !

ولايتفق كل ذلك مع ماتردَّت إليه العلاقة بينك وبين زوجك بغض النظر عمن كان البادئ بهذا التدهور والانحطاط . ومع ذلك فان مسئولية الزوج دائما أكبر فى المحافظة على احترامه فى عيون زوجته . . ولا يتحقق هذا الاحترام بالتطاول على الزوجةواهانتها . . كما ان تصرف الزوجة الصحيح فى هذه الحالة لا يكون بمبادلته البذاءات والتجريح كما انجرفت أنت إليه ولا يكون باعتماد وسيلة « الهجوم خير وسيلة للدفاع » كما فى الحروب وانما يكون بالكف عن ملاحاته ومجادلته فى لحظة حمقة لتفادى الانفجار . . وحتى لايتمادى فى الحماقة ويقترب من دائرة التجريح والاهانة . . ثم يحق لها بعد أن تهدأ الأعصاب ان تلومه وتطالبه بعدم العودة إلى هذا السخف مرة أخرى ولها أن تهدده بمغاضبته بل وبمطالبته بالطلاق إذا عاد إلى ماتكرهه منه . فإذا استمر ولم يفلح تدخل الأهل فى اقناعه

بالعدول عن طريقته . . كان لها ان تطلب الطلاق وتتمسك به إذا اقتنعت صادقة بأن هذا العيب الخُلقى أصيل فيه ويتعذر علاجه واصلاحه . . وإذا وازنت بين الطلاق وبين الاستمرار مع محاولة الاصلاح وتوصلت إلى استحالة العلاج . أما أن يتراشق الزوجان بالكلمات النابية . . أو أن يكون احدهما كزوجك منفلت اللسان دائم التجريح والاهانة فإذا قوبل بمثل ماينطق به سكن وخنع واسترضى وما أن تمر الأزمة بسلام حتى يعود إلى طبيعته الأولى بلا تغير ولا استفادة بالدروس . . فلا . . والف لا ما لم يترتب على الطلاق ماهو أكثر ضررا من احتمال معاشرة هذا النوع من البشر واقصد بالطبع مستقبل الأبناء الأبرياء الذين لا ذنب لهم فى حماقة أحد الأبوين وشكرا . .

القصاصة !

أنا فى حيرة من أمرى . . لا أعرف هل سأسرد لك قصة مكررة . . أم سأطلب منك نصيحة قد تكون ثقيلة على ضميرك . . إننى مهندس شاب نشأت على العادات والتقاليد المألوفة وقد أكرمنى ربى بأن نشأت فى أسرة وفَّرت لى ما يحتاجه الابن للزواج الكريم وأنعم الله علىّ بدخل شهرى ليس بالقليل ، ثم تعرفت عن طريق الأسرة بفتاة جامعية اعجبت بها لهدوئها وجمالها وزاد اعجابى بها لما سمعته عن أسرتها واصالتها وتقدمت لخطبتها وقبلت ، ولكن بمجرد اعلان الخطبة بدأ العناد والتكبر بل والتجبر من جانبها وزادت العصبية والتفوه بالألفاظ . . ثم لا تمضى لحظات حتى تندم وتعتذر ولحبى لها كنت أسامح ـ وتم الزواج للأسف وأقول للأسف لأنه معه تضاعفت معاناتى مع عنادها وأصبحت اذا قلت يمينا سارت يسارا ثم بدأ التطاول فى لحظات الخلاف يصل إلى حد السباب والتشابك وكثرت الخلافات إلى درجة ان عمر زواجنا لم يزد على ٨ شهور فقط ومع ذلك فان مجموع ماقضيته زوجتى فى بيت أسرتها غضْبى منى وهاجرة لبيت الزوجية ٥ شهور على فترات متقطعة ، ومع كل ذلك فالخلاف مصطنع وما أسهل تفاديه وكل ما فى الأمر أنى كرجل شرقى لا اسمح بالبنطلون اللاصق ولابالفستان عارى الاكتاف ولا بالتدخين بالصورة المبالغ فيها ، ولا أجد منها فى هذا وذاك إلا العناد وأحيانا اغادر البيت إلى عملى صباحا

ونحن على خير حال وأعود من العمل خالى البال فأجد البيت صامتا خاليا منها . . وأجد على مائدة السفرة بدلا من الغداء المعد والزوجة المستبشرة المنتظرة لزوجها قصاصة ورق صغيرة تقول لى فيها بكلمات متجهمة أنها غضبى منى ومن حياتنا الزوجية وأنها سوف تقيم عند أهلها ! وهكذا مضت معظم شهور الزوجية إلى ان جاء يوم منذ فترة قصيرة وحدث خلاف جديد من خلافاتنا العديدة وتصاعد سريعا فإذا بها ترفع يدها لتصفعنى فلم أشعر بنفسى إلا وقد تحولت إلى شخص آخر يضرب فى كل مكان وكل اتجاه ، وأنا من لم يضرب احدا فى حياته وما تصورت يوما ان أمد يدى على أحد فما بالك بزوجتى ، والغريب انها بعد هذه العلقة لم تغضب ولم تترك بيت الزوجية كما حدث مرارا فى مناسبات أقل من ذلك بكثير ، لكنها حولت حياتنا إلى نكد مستمر ولم اعد احتمل هذا النكد . . وها انا اقرر الطلاق فهل تنصحنى به . . واذا كنت لا تراه لى مناسبا وتنصحنى بالصبر فما الحل لو رزقنا بطفل ؟

□ **ولكاتب هذه الرسالة أقول** : النكد كلدغة الحية الرقطاء ليس لها دواء . . والزوجة التى تختلق أسباب النكد لزوجها تحفر بيديها قبر زواجها وسعادتها الزوجية ، ولاتستريح قبل مواراتها التراب ونفس الحال بالنسبة للزوج إذا كان ممن يتفننون فى اختلاق أسبابه ، وزوجتك فيما فهمت من رسالتك مدللة وقليلة الخبرة ولم تعتد بعد على التنازل عن ارادتها بسهولة استجابة لدواعى الحرص على استمرار الحياة الزوجية ، وهذا التنازل ليس مطلوبا من الزوجة وحدها وإنما من كلا الزوجين فكل منهما مطالب بالتنازل عن إرادته فى بعض الأحيان والا تحولت الحياة الزوجية إلا صراع ارادات وتشابك مستمرينْ ، وزوجتك فيما اتصور لم تفهم تسامحك معها

خلال فترة الخطبة على وجهه الصحيح . . وتصورت ان « الكرامة » هى ان تفرض ارادتها فى كل ماتريد . وهذا خطأ كبير لأن التفاهم وإستعداد كل طرف للتنازل عن بعض إراداته هما ضمان استمرار أى حياة زوجية ، ولايمكن ان تنجح حياة قائمة على قهر ارادة الطرف الآخر لأن الحياة الزوجية ليست عقد إذعان من طرف لطرف وإنما عقد مشاركة يتحمل فيه كل طرف مسئولياته وعلاقة تراحم وتعاطف متبادلينْ . . وانت محقٌّ ياصديقى فى مطالبك منها وحتى لو لم تكن كذلك فلقد كان من الحكمة ان تستجيب لك فيما تطلب حفاظا على حياتكما المشتركة إذا ادركت انك لن تتنازل عنه ولن تسعد بغيره . . لكنها فيما يبدو لى لم تواجه ارادة أقوى من ارادتها تفرض عليها الالتزام بما لاتريده وحرصك عليها طوال فترة الخطبة واستعدادك الدائم للتسامح معها قد زادها اقتناعا بذلك ، لهذا فقد صعقتْ حين فوجئت برد الفعل الطبيعى الذى كان عليها ان تتوقعه حين همت بصفعك وبدأت فيما يبدو تتعرف على حقائق جديدة عن الحياة مع هذه العلقة الساخنة بدليل انها لم تسارع بمغادرة البيت وترك قصاصة جديدة ، فانتظر قليلا إلى ان تتضح آثار هذا الدرس الجديد عليها ـ فان وعت حقائق الحياة جيدا وعرفت انه قد آن لها ان تعرف متى تتنازل عن عنادها حرصا على حياتها الزوجية فلا بأس من الاستمرار أما إذا عادت إلى طبيعتها سريعا واستسلمت مرة أخرى لشياطين العناد والتكبر والنكد . . فلا مفر من الانفصال فى أول مرة تترك لك فيها قصاصة جديدة بلا أى سبب جاد يدعو إلى ذلك وفى كل الأحوال انصحك بتأجيل الانجاب عامين إلى ان تستقر « الأحوال الجوية » فى بيتك . . وتتأكد تماما من ان فترة العواصف والزوابع الترابية وصراع الإرادات المألوف فى بداية الحياة الزوجية قد انتهت إلى ما تريد ويطمئنك على مستقبل ايامك معها . .

المــــوال .. !

بدأت قصتى وأنا فى التاسعة عشرة من عمرى حين كنت سائرة فى الطريق ذات يوم فأستوقفنى شاب قائلا : هل تسمحين بكلمة ؟ . . فظننت انه سيسألنى عن شارع أو مكان قريب فأجبته بحسن نية : أفندم؟ فإذا به يفاجئنى قائلا أن اسمه كذا وعمله كذا وعنده كذا وكذا وانه يريد ان يتزوجنى فما هو عنوان بيتك ؟ . . فعقدت الدهشة لسانى ثم سألته : كيف تخطب إنسانة لم تعرفها ولم تعرف عنها وعن أسرتها شيئا؟ . .

فأجابنى بأن ابناء الناس الطيبين سيماهم فى وجوههم دائما ، وكل مايريده منى هو معرفة عنوان أسرتى ، فلم أجد بدا من ان أعطيه العنوان وانصرفت متعجبة وما ان عدت إلى البيت حتى رويت لأمى واخوتى ما حدث بالتفصيل وشاركونى العجب ولم نعلق على الأمر أى أمل . . لكننا فوجئنا به فى اليوم التالى يأتى لزيارة ابى ويتقدم إليه طالبا يدى منه ! وبالفعل تمت اجراءات الخطبة بعد فترة قصيرة وعرفتُ عنه كل شىء وعرف عنى كل ما أراد معرفته ومضت شهور الخطبة جميلة سعيدة وهو لطيف ورقيق وباسم وتزوجنا وانا متلهفة على السعادة معه . . وبعد زواجنا بأسابيع إختلفنا على شىء تافه ولا يمكن ان يتذكره الإنسان بعد ساعة فإذا به ينفجر فى ثورة هائلة وسباب وشتائم فظيعة وكلمات مهينة

فانعقد لسانى من الدهشة وصمت حتى يهدأ . . وتوقعت أن يحس بالذنب والحرج حين يجدنى لا أرد عليه بكلمة واحدة . . لكنى فوجئت به يواصل السباب لمدة ساعة كاملة بلا توقف وبصوت عال يسمعه كل الجيران وأنا صامتة ابكى أو أتوسل إليه أن يكتفى بما حدث حتى لا يسمع الجيران كل هذه الفظائع بلا فائدة حتى مضت ساعة ثم خرج من البيت ، ومن ذلك الحين يا سيدى أى منذ ١٠ سنوات كاملة وهذا السيناريو يتكرر بنفس تفاصيله من حين إلى آخر وبصفة مستمرة ومهما حاولت تجنب أسباب الخلاف لكى اتفادى البهدلة . . فهو يتدخل فى كل شىء يخصنى كسيدة وفى كل شىء من شئون البيت مما يخصنى كزوجة وربة بيت فإذا عارضته إنفجرت براكينه ويهتاج علينا كالمجنون ثم يبدأ فى السباب بأعلى صوت واقسى كلمات ولمدة لا تقل عن ساعة وقد تصل إلى ساعتين تتعجب من اين يسعفه خلالها قاموس الشتائم بكل هذا الكم الرهيب منها وأنا صامتة لا أرد إلى ان يهدأ ويستنفد كل كلمات قاموس الشتائم فيخرج ثم يعود هادئا ويصالحنى فأسامحه بعد قليل . ونعود لحياتنا العادية من أجل ابنائنا ثم لاتمضى أيام حتى يثور لاتفه سبب ويكرر نفس السيناريو بنفس التفاصيل والألفاظ وبوصلة من السباب لا تقل عن ساعة ولا تزيد عن ساعتين ثم يخرج ويعود هادئا ويطلب الصلح وكأن شيئا لم يكن واصالحه ، ١٠ سنوات يا سيدى ونحن على هذا الحال يتشاجر معى ومع أهلى وهم يسترضونه لكيلا يسىء معاملتى ولكنه لا يرضى ويزداد سوءا عاما بعد عام ، حتى كرهه كل الناس فى المنطقة التى نقيم بها من كثرة ماسمعوه من ألفاظ جارحة لى ولأهلى ومن اتهام لى بانى

من عائلة فقيرة «وواطية» وكيف انى لا استحقه وكيف ان « ست ستى » تتمناه لكنى لا أعرف قيمته ، فإذا تدخل احد من الجيران أحرجه بقسوة وأنا لا اعرف ماذا افعل . . واتحمل الاهانة من أجل ابنائى . . واحيانا افكر فى الانتحار لكنى اتساءل دائما وماذا عن أولادى ؟ ان كل البيوت تواجه المشاكل وقد يتشاجر فيها الزوجان لكن لا احد يسمع منها صوتا إلا بيتى لأن صوت زوجى الجهورى يتكفل باذاعة مشاجراتنا ويشنف آذان الجميع بوصْلات طويلة طول الدهر من الشتائم ومازلت رغم مرور ١٠ سنوات اتعجب لماذا لايكتفى حتى بدقيقتين أو خمس ثم يخرج ولماذا يصر على ان يقف ليهلل ويشتم ويُطنب وكلما تصورت انه استنفد كل كلمات القاموس . . أجده بعد سكتة قصيرة للتنفس أو ابتلاع « الريق » يعود ليستأنف الموال بأقوى مما كان وبأشنع من كل ما قيل وبصوت كله صحة وعافية كأنه لم يرهقه أكثر من ساعة . . وكل ذلك وأنا صامتة لكيلا استثيره أكثر . . فكيف يكون الحال إذن لو كنت أجاوبه وأستفزه بالردود الجافة . لقد ضقت بحياتى ياسيدى وبهذه الفضائح المستمرة وشكوت لأخوته من معاملته وشكوت لأبيه وهو رجل كريم وعادل ولا يرضى بالظلم فكان فى كل مرة يوبخ زوجى ويحذره ويُنهيه عن اساءة معاملتى وعن هذه الفضائح فيستجيب له زوجى لفترة بسيطة ثم يعود بعد قليل لعادته القديمة . . فأعود لأبيه مرة أخرى وأنا محرجة وهكذا بلا فائدة والأيام تمضى وأحلى سنوات العمر تضيع فى المشاحنة والنكد والعذاب والفضيحة فماذا أفعل ياسيدى ؟

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول** : لا أجد ما ينطبق على حال زوجك

العجيب معك أكثر من هذا المثل التشيكى الذى يقول : خير لك ألا تبدأ . . من ان تبدأ فلا تنتهى !

فالواضح تماما أنه بكل أسف من هذه القلة التى تُستدرج بسهولة إلى الانفلات والانفجار ثم لاتعرف ابدا كيف تتحكم فى انفعالاتها وكيف تتوقف حين ينبغى لها ان تتوقف فتتجاوز كل الحدود وهذا هو الحمق بعينه ! أن يكون الإنسان عاجزا عن ضبط نفسه والتحكم فى انفعالاته لسبب ولغير سبب . فيسئ للآخرين ويتمادى فى اهانتهم ثم تخمد براكينه بعد ان تقذف كل حممها فيهدأ ويتوقع من الآخرين ان يغفروا له كل ما كان منه بدعوى إنه كان فى حالة غضب ! والحق انى لا اشعر فى قرارة نفسى بأى احترام لهذا النوع من البشر ولا أراهم جديرين بأى نجاح فى الحياة لأن من لايقدر على نفسه لايقدر على الآخرين ولا يستطيع ان يحقق بعض ما يصبو إليه .

ثم ما هذا النفَس الطويل فى الفُحش والسباب . . ولماذا يصر على ان يعزف فى كل مرة معزوفة من بحر الطويل تتخللها تنويعات مبتكرة على كل ألوان السباب ! إن رب اية أسرة هو راع لأسرته ومسئول عن رعيته ومطالب بالعدل مع كل أفرادها واولهم زوجته وليس من العدل معك ولا مع أطفاله ان يعرضك لهذه المحنة العلنية من حين لآخر وان يهتك كل اسراركم العائلية بهذا الصوت العالى القبيح وان يعرض أطفاله لرؤية أمهم فى هذا الموقف المزرى .

لقد كان العرب الأقدمون يكنون عن الزوجة بكلمة « الأهل » فيقول الرجل « جئت أهلى » قاصدا جئت زوجتى ، وفى الحديث الشريف ما

معناه : خيركم ألطفكم بأهله وأنا ألطف الناس بأهلى ، وهناك مثل انجليزى يقول من ضرب زوجته فكأنما ضرب يمينه بشماله ، وهذا صحيح لأن زوجة المرء هى نصفه الذى يشكل معه كيان الحياة الزوجية الصحيح وهى أهله بكل المقاييس ، فإن أهانها فإنما أهان أهله ونفسه ، وان عرضها لمثل هذه الفضائح المتكررة فأنما قد عرض نفسه وأهله لها . . وارتضى لنفسه ولهم هذه المهانة العلنية .

ومع ان مناقشة من لا يملكون أنفسهم لاتجدى شيئا إلا انى سأخاطر رغم ذلك بأن أقول له : ان احد الملوك قد طلب النصيحة من حكيم واشترط عليه ان يوجز فلم يزد عن ان قال : افعل برعيتك كما تحب ان يفعل الله بك ! ونفس النصيحة تلائمك تماما فان اردت ألا تلقى المهانة ومكابدة الإحساس بالقهر ممن لاتجسر على ان ترد عليه إهانته فلا تُهِن من لا يستطيع أن يرد عليك اهانتك . . ولا بأس بان تستشير طبيبا متخصصا فى الأعصاب يساعدك على تفادى هذه الانفجارات العصبية الطائشة . أما أنت يا سيدتى فليس لك إلا الصبر على ماتلاقينه وإلا محاولة تفادى أسباب انفجاراته بقدر الأمكان ، وإلا الاحتماء بالصمت التام حتى لا تزيدى النار اشتعالا . . وحبذا لو غادرت المكان بأسرع ما يمكن ليجد نفسه بعد قليل يصدح بمواله الكريه لنفسه . . أو للجدران فيستشعر سخفه بعد حين . . وينكتم !

النظـــرية الأولى !

أريد أن أفيد بتجربتى الشخصية كاتبة رسالة « الموال » التى تشكو من أن زوجها قد اعتاد ان يثور عليها لأتفه الأشياء ويعجز عن التحكم فى نفسه فيندفع فى الشجار والسباب القاسى لها وفى موال تقليدى يستغرق ساعتين فى كل مرة مع أنها لاترد عليه ولا تجاريه فى سبابه ورغم ذلك ,إصل تقاسيمه مستخدما كل أنواع الألفاظ الشائنة أمام أطفالها صوت عال يسمعه كل الجيران ثم يخرج غاضبا ويعود بعد فترة هادئا بيعيا كأنها لم يفعل شيئا ويعتبر ذلك اعتذارًا لزوجته ولا يعتذر لها يواظب على ذلك منذ ١٠ سنوات لم تفلح خلالها جهودها وجهود ابيه والأسرة معه فى ان يعدل عن هذا الأسلوب ويحسن معاملته لزوجته . فلقد واجهت مع زوجى نفس المشكلة ولكن فى الشهور الأولى من الزواج احترت كيف اتصرف معها ثم تبين لى ان زوجى يكف عن السباب فور 'ملتى له بالمثل وهذا شىء كريه ولكن ما حيلتى . . فلقد تذكرت ـ وأنا ہدسة ـ ان اسحق نيوتن يقول فى نظريته الأولى : لكل فعل رد فعل ساو له فى المقدار مضاد له فى الاتجاه ، وهنا يأتى التعادل وتكون المحصلة صفرا وقد نجحت هذه النظرية معى وعشت فى سلام مع زوجى منذ سنوات . . فهل للأخت صاحبة المشكلة ان تجرب إيقاف زوجها عن

التمادى فيما يفعل باستخدام نفس أسلوبه معه خاصة وان هناك صنفا من الرجال لا يجدى معهم غير اتباع نظرية نيوتن ؟

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول** : إذا كنت ياسيدتى من انصار نظرية نيوتن فى التعامل مع الزوج سليط اللسان فهناك « نظرية مثالية أخرى » للكاتب المسرحى الإنجليزى أوسكار وايلد جاءت على لسان السيدة وندرمير فى المسرحية التى تحمل اسمها مع الفارق ومع اختلاف الظروف إذ اراد اللورد اغواءها فأبت فحاول اقناعها بذلك بحجة ان زوجها يخونها فقالت له : . . إذا كان الزوج سافلا فهل يجب على الزوجة ان تكون سافلة مثله ؟ وعفوًا لأى اساءة لا اقصدها بايراد هذه العبارة . . فأنما اردت فقط ان اقول لك انى شخصيا من انصار نظرية ليدى وندرمير فى التعامل بين الزوجين سواء كان الطرف المخطئ منهما هو الزوج أو الزوجة ذلك أن الخطأ لايبرر الخطأ كما ان الإنسان إنما يتعامل مع الآخرين بأسلوبه هو وليس بأسلوبهم ، فإذا كان هناك نوع من الرجال لايجدى معهم إلا اتباع نظرية نيوتن كما تقولين فهناك نوع آخر تزيدهم هذه النظرية التهابا واشتعالا وتفقدهم السيطرة نهائيا على أنفسهم وتدفعهم فى انفعال جنونى إلى الاعتداء البدنى الوحشى على الزوجة والى هدم حياتهم الشخصية والطلاق وتشريد الأبناء . . فكيف يكون الحال إذن إذا كان زوج السيدة من هذا النوع الآخر ؟ ثم لماذا نذهب بعيدا ونلتمس النظريات عند نيوتن أو أوسكار وايلد وديننا الحنيف يهدينا إلى سواء السبيل بغير عناء فيخيرنا بين عشرة بالمعروف . . وتسريح بإحسان مع كامل الاحترام لكلا الطرفين ومع كل العدل بينهما فى الحقوق والالتزامات ، فإذا كان الأمر كذلك فلماذا نصور الأمر وكأنه صراع بين طرفين لايدفع احدهما لاحترام الآخر وحسن معاشرته فيه إلا خوفه من سلاطة لسان الآخر ؟

الواجب

أنا طبيب متزوج وسعيد فى زواجى وعندى البنون والبنات ولا اشكو من شىء ولا أواجه مشكلة والحمد لله . لكنى عرفت من زميل لى أن هناك سيدة فاضلة مطلقة ذات مركز اجتماعى ممتاز كان سبب طلاقها من زوجها هو أنها لم ترزق منه باطفال . . وكان سبب عدم انجابها راجعا للزوج ولهذا فهى ترغب أولا فى ان تُعفَّ نفسها بالزواج وثانيا فى ان يرزقها الله بطفل . وقد تابعت فى بريدك رسائل عديدة لأخوات يرغبن فى اعفاف
ـهن فى هذا المجتمع القاسى ، وفكرت جديا فى أمر هذه السيدة لكنى
لحقيقة متردد حيث انى سعيد والحمد لله بزوجتى التى تزوجتها منذ ٢٠
ـة وبأولادى ولأن من يتزوج باخرى بلا داع يُعدُّ زواجه هذه الأيام خيانة
ـوجته واولاده لكننا من جانب آخر علينا نحن معشر المؤمنين واجب فى
ـعاية هؤلاء السيدات الفاضلات اللاتى يرغبن فى إعفاف انفسهن واذا أحجمت أنا وغيرى عن رعايتهن فمن يقف إلى جانبهن فى هذه الحياة
ـعبـة وأنت تعـرف شراستها هذه الأيام . إنى فى انتظـار رأيـك فماذا
ـ؟ :

ولكاتب هذه الرسالة أقول : ياسيدى ما أكثر الأرامل والمطلّقين
ـين فاتهم قطار الزواج من الرجال الذين يبحثون عن مطلقة فاضلة أو

أرملة لها مثل ظروف هذه السيدة التى تتحدث عنها . . فلندع لهؤلاء أولا «واجب» رعاية هؤلاء الأخوات الراغبات فى إعفاف انفسهن وحل مشاكلهن بما يحقق السعادة للطرفين ولايترتب عليه ضحايا أو مشاكل ، فإذا تبقى منهن بعد ذلك من لم تحل مشكلتهن جاز للمتزوج الذى يعانى من عدم الانجاب أو يفتقد السعادة مع زوجته وأعيته الحيل فى اصلاحها ولايريد هدم اسرته رفقا بأولاده او لديه أسباب شرعية أخرى ، ان يفكر فى اداء هذا الواجب تجاههن فان تبقى منهن بعد ذلك من لم تحل مشكلتهن ربما جاز لامثالك من السعداء بزوجاتهم وأولادهم ان « ينفروا » لأداء هذا الواجب ، لكنهم فى الأغلب الأعم لن يجدوا وقتها مايستدعى تدخلهم لأن الفئة الأولى وحدها تكفى وتزيد لحل مشاكل هؤلاء السيدات الفاضلات ، فلا تفتح على نفسك أبواب المتاعب فتفقد سعادتك الحالية . . وتجلب على زوجتك وأولادك الشقاء بلا مبرر .

وتذكر دائما ياصديقى ان النفس ترغب دائما فى إزدياد . . وقد تتحايل على اخفاء رغبتها ونوازعها بشتى الذرائع والأفكار الإنسانية السامية . . فإذا تُركت على هواها لن تتسع الدنيا لما تتوهمه من « واجبات » إنسانية مماثلة ، وإذا تُرد إلى قليل . . « تقنعُ » فرُد نفسك إلى « الكثير » الذى انعم الله عليك به ودع لمن هو احقّ منك باداء هذا الواجب القيام به وشكرا لك .

الستار الحديدى !

أنا رجل فى الثامنة والثلاثين من عمرى ، متزوج منذ سبع سنوات تقريبا ولى طفلتان توءم تبلغان من العمر ثلاث سنوات ، زوجتى تعمل سكرتيرة بإحدى شركات القطاع الخاص ، وتحصل على راتب كبير من عملها يصل إلى ضعف دخلى من عملى بإحدى شركات القطاع العام ولكن يعوض الفرق ايراد خاص لى من بعض الأملاك ولا نعانى من مشكلات مادية حادة والحمد لله .

أما مشكلتى مع زوجتى فهى انها تتعامل مع الحياة بروتينية بحتة مع عصبية زائدة وعدم احساس بالأمان للزمن فهى تتصرف معى ومع البنتين وكأنها تتعامل مع آلات صماء تدار بأزرار لاداء مهام معينة وعندما يخرج أى فرد عن الدور المرسوم له تثور أعصابها وتدخل فى طور من النرفزة والصياح مع اتهام من حولها بالبلادة والتخاذل !

لقد أصبحت اشعر اننى لست زوجا وأبا ولكنى موظف بدرجة زوج وأب ينبغى علىّ اداء مهام معينة يوميا وفقا لجدول محدد فى أوقات مرسومة مسبقا حتى لا يحدث خلل فى حياتنا ولكى تستطيع زوجتى الوفاء بالتزاماتها تجاه بيتها وبالأسلوب الذى يساعدها على الحفاظ على عملها التى تؤمن إيمانا غريبا انه الشىء الوحيد الذى يؤمن لها مستقبلها ويحميها

من تقلبات الزمن بالرغم من أننا نمتلك أرضا زراعية وعقارا ورثتهما عن أبى رحمةالله عليه وبالرغم من انى اشهد الله اننى احسن معاملتها جهد الطاقة ولايصدر منى ما يشعرها بعدم الأمان لحياتها معى ، ولكنها تتصرف وكأنها فى معركة مع الزمن فهى فى الصباح تثور على البنتين وعلىَّ عند حدوث أى خطأ أو تأخير لأن هذا سيؤدى إلى تأخرها عن ميعاد عملها مما يعرضها لأن تتغير الصورة الطيبة المعروفة عنها فى العمل !

وبعد العودة من العمل نجلس إلى المائدة فى نظام شبه عسكرى لكى نتناول الطعام بأدب وغير مسموح لأى فرد بأى نسبة خطأ فإذا تساقط بعض الطعام من البنتين على مفرش المائدة أو على الأرض انفجرت عصبيتها وصياحها بكلمات من نوع « ياغبية يا هبلة إلخ » فيمضى وقت الطعام ونحن فى حالة توتر وقلق خوفا من أى خطأ مع ان معظم اخطاء البنتين تتناسب مع عمريهما ، وفى المساء لا ينبغى ان أجلس مع الطفلتين وأداعبهما إلا فى أوقات معينة وظروف معينة تحددها هى كأن تكون فى المطبخ لطهو الطعام أو عند انشغالها بتنظيف البيت ، وفيما عدا ذلك فليس من حقى ان أداعب البنتين أو ان اتحدث معهما حديث الأب لأطفاله لانهما ينبغى ان تكونا جاهزتين تحت الطلب « لأعمال » الاستحمام والنظافة والنوم قسرا فى ساعة محددة كل يوم لابد ان نطفئ لها كل أنوار البيت وان نكتم انفاسنا خلالها فلا نتكلم ولا نتحرك حتى تروحا فى سبات عميق وكل ذلك لكى يستطيعا الاستيقاظ فى ساعة مبكرة صباح اليوم التالى والنزول معها فى وقت معلوم لتودعهما الحضانة وهى فى طريقها إلى عملها ورغم هذا النظام الحديدى ، فكثيرا ما تتأخر رغما عنها وتواجه ذلك بالعصبية والتوتر والصياح .

أما إذا دعوتها بعد نوم الطفلتين للجلوس والتسامر معى قليلا كما يفعل كل زوجين جاءت كارهة متأففة ولا يخلو الأمر من سماع بعض الألفاظ من نوع ! ياللا خلَّصنا بقى عايزه انام أنا عندى بكره شغل ، أنا مش مرحرحة زيك ، فضلا عن أنها دائما مرهقةوتعبانة من العمل والبيت ولا وقت عندها لمشاعر الناس« المرحرحين » من أمثالى حتى أصبحنا لا نجلس سويا لمناقشة أمور حياتنا وبناتنا ، وفضلا عن أنها تؤمن إيمانا لايقبل النقاش بأن الحياة العصرية تستلزم تقسيم الأعباء العائلية إلى واجبات متساوية بالسنتيمتر بين الزوج والزوجة يجب ان يؤديها كل منهما آليا ودون تفكير أو تقصير أو خلل ! وإلا فهو بليد وخامل ومقصر وليس عنده إحساس بالمسئولية ! اما المشاعر والأحاسيس فلا وقت لها مادام كل طرف يؤدى واجبه ! وقد جرَّبت ذلك منها حين مرضت أنا لفترة طويلة ، فكان تصرفها معى انه مادام الطعام والدواء يُعدَّان بالطريقة التى أمر بها الطبيب وفى الأوقات المحددة لهما فلقد ادت واجبها تجاهى على أكمل وجه وعلى ان اشكر لذلك وأمتنُّ !

حتى مرات خروجنا القليلة تتم فى مواعيد محددة قبلها بفترات طويلة ولأهداف محددة بدقة وبنظام صارم لا يمكن الخروج عليه ولا يمكن أبدا الاستجابة لرغبة طارئة منى للخروج لزيارة أحد أو للترفيه عن الأطفال اننى يا سيدى لست ضد الالتزام فى أى شىء ولا مع النكوص عن تحمل كل إنسان لمسئوليته ، ولا ضد عقاب الطفل إذا اخطأ بشرط ان يتناسب العقاب مع الخطأ ، ولا ضد ان تعمل زوجتى وتحس بنفسها فى عملها مع انى لا أهتم بعملها ولا أنظر إلى عائده ونستطيع إذا أردنا . . ان نحيا بدونه

لكنى ضد التوتر المستمر والآلية الشديدة فى كل شىء ومحاولة علاج الأمور بالعصبية فقد تأثرت الطفلتان كثيرا بالعصبية الشديدة التى تعاملهما بها أمهما فأصبحتا كثيرتى البكاء وكثيرتىْ الأخطاء وتكرران نفس الأخطاء التى تعاقبان عليها دون أى فهم ، أما انا فقد حاولت كثيرا اصلاحها وتغيير افكارها وتخفيف عصبيتها حتى انى أدمنت القراءة فى الكتب التى تتحدث عن الأسلوب الأمثل لتربية الأطفال ، والأسرة المثالية وفطرة الإنسان وضرورة عدم إغفال الجانب الروحى فيه ، مع قراءة الكتب الخاصةبالتعامل مع الأشخاص العصبيين وكانت آخر محاولاتى معها ان اصطحبتها منذ شهور معى لأداء فريضة الحج عسى الله ان يهدى النفوس الثائرة وان تشعر زوجتى بأنها تتعامل مع بشر وليس مع آلات متحركة ، لكن كل ذلك لم ينجح فى تغييرها حتى اننى أصبحت الآن اكره العودة إلى بيتى واظل اسير بعد العمل فى الطرقات إلى ان ينهكنى التعب فأعود للبيت واتناول طعامى وانام مباشرة حتى لا التقى بها ولا اسمع ولا أرى ما يضايقنى .

لقد فشلت كل محاولاتى معها وأرجو ان توجه لى النصح فيما يجب ان افعله أو ان توجه لها كلمة فهى تقرأ أهرام الجمعة لعلها تتأثر بكلماتك الطيبة ان شاء الله أو ان كان هناك قصور من ناحيتى فأرجو ارشادى إليه .

□ **ولكاتب هذه الرسالة أقول :** لا لوم عليك ياسيدى ولا تقصير من جانبك ، وإنما اللوم كله والعتاب للسيدة زوجتك لهذا سوف أوجه حديثى إليها مباشرة .

إن غاية الحياة الأساسية هى السعادة وكل ما نهتم به فى حياتنا ليس فى النهاية سوى وسائل نتوسل بها إلى تحقيق سعادتنا بالطرق المشروعة وفيما

لايغضب خالقنا أو يعرّضنا لعقابه . . فإذا طغى اهتمامنا بالوسائل على اهتمامنا بالأهداف فإن محصلة سعينا فى الحياة تكون فشلا ذريعا مهما حققنا من نجاح أو أمجاد وبهذا المفهوم فإن عملك وسيلة وليس غاية ولا ينبغى ان يدفعك حرصك عليه كأنه طوق النجاة الوحيد لك ضد الزمن إلى التقصير فى حقوق طفلتيك وزوجك أو محاولة فرض نظام حديدى يشقون به ، فالعمل يمكن ان يفقده الإنسان مهما بذل من حرص عليه ، كما يمكن له ايضا ان يغيره إذا اقتضت الظروف ذلك أما العمر فانه لا يمكن استبداله أو استرجاعه من عالم الغيب لكى نحياه من جديد ونطبق فيه ما تعلمناه من تجارب الزمن اذا ضاع وانقضى فى التوتر والشقاء ومحاولة اخضاع الآخرين قسرا لما يناسبنا نحن وحدنا. فخففى الوطء كثيرا يا سيدتى ، واعلمى ان الملل والروتينية يورثان الاكتئاب وان تجاهل مشاعر شريك حياتك وعدم مجاراته فيها بدعوى ضرورة العمل يقتل الحب ويبلد الأحاسيس ويحول الحياة إلى كآبة عصرية منظمة لا روح فيها ولا نبض وتذكرى دائما ان معظم مشاكل الزوجات والأزواج إنما ترجع إلى انهم لايحاولون ادنى محاولة ان يلتزموا مع أهلهم الأقربين بما يلتزمون به من آداب اللياقة وضبط النفس والتسامح التى يلتزمون بها فى معاملة الغرباء مع ان الأقربين أولى بالمعروف وبحُسن الرعاية ورقة التعامل وانت قادرة بغير شك على التحكم فى عصبيتك وكبح جماح نفسك لكنك لاتحاولين ذلك فى تعاملك مع أسرتك وإلا فكيف لم تفقدى عملك حتى الآن إذا كنت تتعاملين مع رئيسك وزملاء العمل والغرباء بهذه العصبية والتوتر الدائميْن . . وأنت موظفة بقطاع خاص يستطيع ان يستغنى عنك بسهولة إذن فأنت تستطيعين لكنك لاتحاولين وتبررين لنفسك كل شىء

بأنك مرهقة وانها ضرورات لكى تستطيعى اداء عملك ومن أقوال زوجة أمريكية سعيدة انه : لو التزمت الزوجات حدود اللياقة مع أزواجهن كما يلتزمن بها مع الأغراب لعضَّ كل زوج على لسانه إذا اندفعت إليه قوارص الكلم ! ونفس المبدأ ينطبق على الأزواج وزوجك ياسيدتى لايبادلك عصبيتك ولا تندفع قوارص الكلم إلى لسانه ولا يحاول ان يفرض عليك مايراه حقا له .

فلماذا لا تبادلينه رقة برقَّة ومشاركة بمشاركة ولماذا تتصورين ان كل من فى مملكتك الصغيرة ينبغى ان يخضع لارادتك ونظامك الحديدى الذى قد يناسبك وحدك بغير ادنى محاولة منك لتفهم حقوق الآخرين عليك .
ان تجديد الحياة من حين إلى آخر امر ضرورى لطرد طائر الملل الذى يهدد السعادة الزوجية وبعض الحكماء يطالبون الزوجة بأن ترتدى لزوجها كل يوم قناعا جديدا كأقنعة سالومى السبعة ، لكى تنبه مشاعره وتحتفظ بها دائما عند درجة الفوران ، ونحن لا نطالبك باقنعة سالومى السبعة أو الستة ولكن نطالبك فقط بشىء من التسامح الضرورى مع طفلتيْك وبشىء من المرونة فى نظام الحياة فى بيتك الذى تفرضين عليه الاظلام التام كل ليلة كأنكم فى زمن الحرب ، وبشىء من الاعتبار لأهمية المشاعر والاحاسيس فى الحياة الزوجية وبشىء من الخروج على روتين الحياة من حين إلى آخر ترويحا للنفوس وليس كل ذلك عليك بعسير اذا اقتنعت معى بأنه لا شىء فى الحياة يعدل حياة زوجية هادئة وسعيدة وابناء سعداء أسوياء .

فهل تقتنعين بذلك ؟ وهل تجدين فى نفسك الشجاعة لأن تطلبى المساعدة الطبية من طبيب اعصاب متخصص إذا اكتشفت حاجتك إلى ذلك وهو امر لاشىء فيه ولا يسىء إليك بحال من الأحوال .

المشـــورة !

ابنتى موظفة بمرتب كبير وقد تزوجت احد أقاربها ولم يكن زوجها قد تسلم شقته بعد فاعطيت ابنتى وزوجها سكنا مؤقتا الى ان ينتهى بناء شقةالزوجية . ثم حملت ابنتى واضطرت للحصول على اجازة طويلة من عملها للحمل والولادة فقمت عن طيب خاطر بدعم الأسرة الصغيرة الجديدة ماديا إلى ان تتحسن احوالها وتقف على اقدامها وانجبت ابنتى طفلا جميلا وجاء لها ولزوجها عقد عمل بالخارج وسافرا معا ولكن زوجها فضل لها التفرغ لرعاية الطفل الوليد فاستجابت لرغبته وضحت بفرصة العمل والمرتب الكبير وحملت مرة ثانية لكنها اجهضت بسبب وحدتها بعيدة عنا وافتقادها لرعاية الأهل خلال الحمل . وبعد فترة اخرى حملت للمرة الثالثة فأرسلها زوجها للاقامة بيننا مع طفلها فترة الحمل حتى لاتتكرر الظروف التى ادت لاجهاضها فقمنا بواجبنا كاملا تجاهها . . ولم يتوقف الدعم المادى ورزقت بمولود آخر فاحطناه برعايتنا الكاملة لولادته خلال موجه البرد الشديد فى الشتاء الماضى ومرت الولادة بسلام بالرغم مما صاحبها من التهاب شُعبى رئوى تم علاجه والحمد لله . وخلال ذلك انتهى اعداد شقة الزوجية فقمنا بنقل اثاث ابنتى إليها وفرشها على اتم وجه وجاء زوجها فى الإجازة فوجد بيته كاملا وزوجته وطفليه فى انتظاره

وسعدت به اسرته الصغيرة . . وسعدنا معها . . فإذا بزوج ابنتى الهمام يطلبنى بعد ايام ليستشيرنى فى أمر هام فتوجهت إليه فإذا به يقول لى امام ابنتى ما رأيك ياعمى فى ان الشرع يسمح بتعدد الزوجات ولهذا فانى أريد ان اتزوج مرة أخرى !

هذا والله ما حدث وأمام زوجته الجميلة المطيعة التى كانت تنتظره بلهفة واحاطته برعايتها منذ عودته . لقد ذهلت مما قال ثم تكلمت فلم أجبه إلا بما يقول به الشرع الحنيف فى هذا الخصوص وما يقوله ولى الأمر من ان بلادنا تعانى من الانفجار السكانى وليست هناك ضرورة لمثل هذا الزواج لمن لا ينقصه شىء . . وزوجته لاتخالفه ولاتحرمه وقد أنعم الله عليه بطفلين جميلين فهو ليس محروما من الانجاب ولا من أى شىء . أما ابنتى فقد اجابته بما يقضى به الشرع والقانون فى هذا الشأن من ضرورة موافقتها على زواجه . . أو تسريحها باحسان اذا ابت على نفسها ذلك ، وهى تأبى وعاشت فى قلق وكدر بسبب هذا الأمر فما رأيك ياسيدى فى ذلك ؟ وقد فعلنا كل ما بوسعنا لنوفر له الراحة والسعادة وقمنا بأعبائنا بكل سرور من أجل ابنتنا . . حتى اننى وأنا الشيخ المسن طلب منى ان اقوم عنه وهو موجود ، باجراءات اجازة زوجته فقمت بها راضيا رغم ما فى ذلك من مشقة علىّ ثم بعد ذلك يستشيرنى فى ان يكسر قلب ابنتى بالزواج عليها ويطلب رأيى فى ذلك فماذا أقول له ؟

□ **ولكاتب هذه الرسالة أقول :** قل له ياسيدى ان لم تستح فاصنع ماشئت ! لأن من لا يخجل من احراجك وتكديرك وتكدير ابنتك بهذا الأمر ولمَّا يمض على زواجه منها سوى ثلاث سنوات أو أربع . . وفى أول اجازة

يعود فيها إليها قد لاتجدى معه المناقشة والاقناع . ومع ذلك فلو أراد المناقشة فانك تستطيع أن تقول له ان الرجل إذا اشترط لزوجته الا يتزوج عليها لزمه هذا الشرط وكان من حقها الطلاق إذا تزوج عليها وان الفقهاء يقولون أن المشروط عرفا كالمشروط لفظا ، بمعنى انه حتى وإن لم تشترط المرأة فى عقد زواجها ألا يتزوج عليها زوجها ، فإن هذا الشرط يلزمه عرفا ويعطيها حق الطلاق منه إذا تزوج عليها ، ومن هنا جاء شرط استئذان الزوجة وموافقتها فى القانون والا كان من حقها الطلاق إذا تزوج زوجها عليها .

وكل ظروف زوج ابنتك حسبما جاء فى رسالتك لاتبرر له هذه الرغبة ولاتفسرها تفسيرا مقبولا ، إلا اذا امتنعت زوجته عن مصاحبته إلى مقر عمله ولم يصبر هو على الحياة بغير زوجة خلال شهور غيابه عنها وفيما عدا ذلك ، فلا المبرر الشرعى المقبول لهذا الزواج الثانى قائم ولا شرط القدرة المادية متوافر وهو من لم تكد اسرته « الصغيرة الجديدة » تخرج من تحت مظلة دعمكم المادى الا منذ شهور أو أسابيع . . فما معنى هذا البطر ؟

ياسيدى قل له كل ذلك وذكرّه بان التعدد ليس امرا واجبا ولا مندوبا أو مفضلا وانه ما لم تكن له ضرورة شرعية وتوافرت لطالبه شروط القدرة المادية والصحية والعدل المطلق الذى يكاد يكون شرطا مُعجِزا ، فإن سُنَّة الحياة الطبيعية بلا مشاكل ولا اعباء نفسية وعاطفية ومادية إضافية افضل واقرب كثيرا إلى الرحمة بنفسه وبمن يعاشر . وانصح ابنتك بان تتبع زوجها إلى حيث يقيم وبألا تتنازل عن حقها فى الطلاق اذا عاد لمثل هذه التطلعات التى أشقت حياتنا وزادتها اختناقا فلعله يرجع عنها رحمة بها وبك وبنا . . والسلام .

القبيلــة

اكتب إليك قصتى لعل فيها مايهدئ خواطر بعض المهمومين . . ويعيد إليهم ثقتهم فى ان ينالوا حظهم من السعادة حين يأذن الله فلقد كنت فى الثالثة والعشرين من عمرى حين تقدم لى شاب كنت اراه كل يوم فى ذهابى وعودتى إلى الكلية . . لمدة ثلاث سنوات كاملة بغير ان يبادلنى كلمة واحدة ورغم ذلك فقد نشأت بيننا علاقة صامتة عميقة ، واحببته من خلالها واحبنى وتمنيته لنفسى وتمنانى . . ثم جاء اليوم الموعود وتقدم لأسرتى يخطبنى فكأنى كنت أعرفه واعرف كل شىء عنه منذ زمن طويل فأعلنت موافقتى عليه من اللحظة الأولى . . واعترض أبى بسبب بسيط هو أنه وحيد تماما . . فابواه رحلا وهو صغير . . ولا اخوة له ولا اخوات واقاربه القليلون يعيشون فى بلاد متفرقة . . لايعرفون عنه شيئا ولايريد هو ان يعرف عنهم شيئا بعد ان تخلوا عنه صغيرا ورفض ابى زواجى منه قائلا ان الفتاة تحتاج إلى أهل زوجها ولاتستطيع ان تواجه الحياة وحدها . . فاصررت عليه . . وبسبب تمسكى به على غير ارادة أبى أعلن انه لن يساعدنى فى زواجى منه ، وكنت قد تخرجت من كليتى وعملت باحد المكاتب المهنية ، وتخرج خطيبى وعمل مهندسا ، فتحملنا وحدنا عبء زواجنا ، وتم زفافنا فى شقة صغيرة من غرفتين بلا اثاث تقريبا . . ومع ذلك فلقد كانت جنتى وعشّ أحلامى . . وواجهنا الحياة المتقشفة لمدة ٨

سنوات حتى استطعنا ان ننتقل إلى شقة اوسع وان نؤثثها بأثاث جميل لكنى لم أنجب اطفالا طوال هذه السنوات . . ولم ايأس من التردد على الأطباء حتى واجهونى بالحقيقة المرة وهى انى لن استطيع الانجاب .

وخلال هذه السنوات كنت ألمح حيرة زوجى . . وهو الذى عاش وحيدا طيلة حياته ويتلهف إلى الأبناء ليعوضوه انعدام الأهل . .

وبعد فترة من التفكير العميق . . طلبت من زوجى الطلاق ليستطيع ان يتزوج ممن تنجب له أولادا ولأتخذ انا أيضا طريقا آخر فى الحياة يعوضنى عما أحس به من نقص ، وثار زوجى ثورة عارمة ورفض طلاقى رفضا باتا . . لكنى ألححت عليه واقنعته بعد جهد جهيد بأننا سنكون اصدقاء طوال العمر ، وان من الأفضل ان يتم الطلاق الآن قبل ان يحس هو برغبته فى الزواج من أخرى . . وبعد مشاورات طويلة وافق على طلاقى وعدت إلى بيت أسرتى واستمر اهتمام كل منا بالآخر على البعد وبعد عام من طلاقنا استشارنى فى أمر زواجه من أخرى عرض علىَّ ظروفها فوافقته عليها وتزوجها وبعده بشهور قبلت أنا الزواج من أرمل فاضل عنده ولدان فى سن العاشرة والسابعة وتزوجته وافرغت فى طفليه كل أمومتى الحبيسة وعوضتهما عن حرمانهما من أمهما ـ وكانت أسعد لحظات حياتى حين سمعت لأول مرة منهما كلمة « ماما » ، وحرمت عليهما ان يناديانى الا بهذه الكلمة الجميلة!

وعشت حياتى مع زوجى الفاضل وابنائى سعيدة . . وسافر مطلقى مع أسرته إلى احدى الدول العربية وعاش هناك وانجب طفلة ومضت سنوات العمر سريعا واجتزت الأربعين من العمر وبلغ ابنى الأكبر سن العشرين وابنى الأصغر سن السابعة عشرة وفجأة مرض زوجى مرضا

خاطفا . . وغادر دنيانا مطمئنا إلى رعايتي لولديه . . . وبعد شهور من وفاته أراد أهل زوجى ان يضموا الولدين لهم بحجة انهم الأولى برعايتهما . . فرفضت ذلك وقاومته بكل السبل . . وقاتلت دفاعا عنهما . . وهما ولداى اللذان ربيتهما بيدى . . ورفض إبناى ذلك بكل اصرار حتى استسلم الأهل وتركوهما لى وواصلت حياتى بين عملى فى المكتب وبين رعاية الولدين اللذين أصبحا شابين افخر بهما ويتقدمان فى دراستهما بكل نجاح . وواصلت سنوات العمر ركضها السريع فاذا بزوجى الأول يعود من الخارج ومعه فتاة شابة هى ابنته بعد ان رحلت أمها إلى رحمة الله فى الغربة . . منذ عامين . . والتقينا مرة أخرى بعد أكثر من ١٨ عاما من انفصالنا . . . وإذا بقلبى يخفق للفتاة حين أراها لأول مرة . . واتلهف على احتضانها . . وكل مافى جسمى وعقلى يؤكد لى انها ابنتى التى كان مقدرا لى ان انجبها من زوجى لو كان الله سبحانه وتعالى قد أراد لى الانجاب ، وإذا بهذا الاحساس يتضخم عندى كل يوم حتى انتهيت إلى اقتناع عجيب بأنها ابنتى انا لكن أباها انجبها من رحم امرأة غيرى لأسباب لاذنب لى فيها !!

وأصبحت هذه الفتاة تقاسم ولدىّ الآخرين قلبى . . وحين عرض علىّ مطلقى ان نعيد شملنا مرة أخرى فوجئت بابنائى الثلاثة . . نعم الثلاثة ولداى وبنتى يلحون علىّ فى قبول الزواج لنعيش معا تحت سقف واحد . . وتزوجت زوجى مرة أخرى وعشنا نحن الخمسة فى بيته وأصبح لى ثلاثة ابناء وزوج . . وأصبح لزوجى قبيلة يرعاها ويسعد بها . . وتوالت المشاهد سريعا فكبر ابنى الأكبر . . وعمل . . ثم تزوج من ابنتى واقاما معنا فى نفس البيت . . وتخرج ابنى الأصغر . . وخطبت له فتاة جميلة ابنة جار طيب لنا وشرطى الأول الذى سعدا به هو ان يقيما معنا وان يشاركانا حياتنا . . وبلغت أنا الخمسين . . ومازلت أعمل وارعى أسرتى الكبيرة التى زادت عددا بحفيدى الصغير الذى يملأ الدنيا صراخا وانا اكتب لك

هذه الرسالة لأقول لكل رجل وكل امرأة حرما من الأبناء ان الخير فيما اختاره الله لهما . . وان التعويض النفسى عن الحرمان من الأبناء ممكن جدا بأكثر من وسيلة ، ولأقول لمن حرمته الأقدار من زوجته ولمن حرمتها من زوجها ألا ييأسا من رحمة الله . . فقد يجىء التعويض وتحين السعادة حين يأذن بها خالق السموات والمهم دائما هو ان نرضى بما اختاره لنا الله . . وان نلتمس التعويض والعزاء فى وجوه الحياة الكثيرة الصاخبة . . وشكرا .

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول** : النفوس المحبة الراضية التى تشعُّ حبا وعطاء للآخرين . . تسعى إليها السعادة . . حتى وان لم تسع هى إليها ولم تبذل جهدا لنيْلها .

لهذا فلا عجب فى ان تجدى العزاء والسلوى عما حرمت منه فى هذه القبيلة التى يظللها الحب ويجمع بينها الإخاء .

بل ولا عجب فى ان يجتمع شملك مرة أخرى مع زوجك الأول بعد كل هذه السنوات وفى ظل هذه الظروف الدرامية الغريبة ـ التى ماكنت لاصدقها لولا اننى اعرف جيدا ان الليالى يلدن كل عجيب . . وان الزمن هو أعظم المؤلفين بغير استثناء .

لقد استعرض الفيلسوف الألمانى « كانت » شريط حياته قبيل ان يلفظ أنفاسه بلحظات . . ثم ابتسم وقال : هذا . . حسن !

وافضل ماتقدمه الحياة للإنسان من خير هو ان يكون قادرا على ان يتوقف فى أى لحظة من العمر ليراجع شريط حياته ويرضى عنه ويقول مع الفيلسوف الألمانى : هذا . . حسن !

لكنها جائزة كبرى ياسيدتى لاينالها إلامن طُبِعت نفوسهم على الرضا وتقُّبل الحياة بكل ماتحمله إليهم أمواجها . . وعلى القدرة على العطاء . . واستشعار السعادة فى اسعاد الآخرين ولاشك انك واحدة من هؤلاء فهنيئا لك قبيلتك السعيدة بك وشكرا لك على هذه الرسالة المفيدة .

المستحيل

اتابع بريد الجمعة بانتظام منذ أكثر من خمس سنوات وكم حزنت وكم مرضت مع بعض رسائل قرائك لكنى لم أفكر ان اكتب إليك من قبل لأن مشكلتى شائكة جدا . . ولأننى لا أرجو لها حلا . . ثم قررت أن اكتب بعد أن قرأت الرسالتين اللتين بعث بهما قارئان يشكوان لك فيهما من أن زوجتيهما تتمنعان عليهما فيما أحله الله لهما ، ورددت عليهما بأن الزوجة إذا امتنعت عن زوجها ، وبات زوجها غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح حتى ولو طلبها زوجها على ظهر « قتب » كما جاء فى الحديث الشريف الذى استشهدت به ، لهذا أرجو ان تفسح لى صدرك لاروى لك الجانب الآخر من المشكلة . .

فأنا سيدة عمرى ٢٤ سنة تزوجت منذ عام ، قبل زواجى كنت قد خطبت لمدة سنة تقريبا لشخص آخر ولم نتفق أنا وخطيبى الأول بسبب بعض المشاكل المادية وتنصله من مسئولياته ففسخت الخطبة بعد مشاكل عديدة مع أهلى الذين يفضلون أى حل فى الدنيا إلا فسخ الخطبة ، وبعد ذلك انهيت دراستى الجامعية وعملت لفترة إلى ان بلغت الثالثةوالعشرين من عمرى وطوال ذلك عشت تحت ضغط نفسى وعصبى شديد من أسرتى لأنى كما قالوا قد بلغت سنا خطيرة . . كما أن فلانة وفلانة قد

تزوجتا . . وانهم صبروا عليَّ طويلا لهذا فلابد لى من الزواج . . فوافقت على خطبتى لزوجى الحالى بعد أسبوعين فقط من تعرفى به . . وشجعنى على ذلك انه مِهنى شاب ناجح فى عمله مقبول الشكل وكريم ومن أسرة طيبة ويحبنى ، وان كان يكبرنى بـ ١٥ سنة ، وبعد شهرين من الخطبة بدأت المشاكل بسبب اختلاف الطباع . . وأصبحت معظم لقاءاتنا مجرد مشاحنات فبدأت اتهرب من الخروج معه بشتى الحجج المقبولة وغير المقبولة ثم اقتنعت بأنى لن استطيع الاستمرار معه فصارحت أمى برغبتى فى فسخ الخطبة فما ان نطقت بأول كلمة فى هذا الموضوع حتى صرخت فى وجهى وهى شبه منهارة بأنها لن تسمح لى بذلك ابدا . . وبأنى إذا كنت أريد قتلها وقتل ابيها فلأتحدث فى هذا الموضوع إذ ماذا سيقول الناس إذا فُسخت خطبتك للمرة الثانية . . فكانت المرة الأولى والأخيرة التى افاتحها فى هذا الأمر ، وتم الزواج وأنا امنِّى نفسى بالأمل فى حياة مقبولة وأقول لنفسى انه كم من فتيات قدتزوجن ممن لا يحببن وعشن رغم ذلك حياة سعيدة ، وجاءت ليلة الزفاف . . ولا استطيع أن أصف لك مشاعرى بعد أن تمت حتى نهايتها الطبيعية . . فلقد احسست بعدها بأننى اغتصبت . . وتولانى إحساس غريب يتأرجح بين الشعور بالخجل والقرف والسخط والكره ثم انتابتنى فجأة حالة غثيان فتقيأت واحسست فى تلك اللحظة بكراهية شديدة لزوجى ولنفسى ولضعفها بل ولأبى وأمى اللذين لم يرحمانى ولكل المجتمع الذى فرض عليَّ ان اتزوج شخصا لا أحبه لكى انجو من القيل والقال !

ومنذ تلك الليلة يا سيدى وأنا احس نفس الإحساس البشع كلما نال

منى زوجى حقه الشرعى . . فاشعر كل مرة بانى اغتصبت ثم أتقيأ بشدة !

ومضت الشهور على هذه الحال ولم أحمل حتى الآن . . ثم سيطرت على فكرة ان الله غاضب على غضبا شديدا فارتديت الحجاب وواظبت على الصلاة وقراءة القرآن الكريم ، لكن حالى لم تتحسن بل ازدادت سوءا كما يقول زوجى فاصبحت تنتابنى نوبات بكاء لساعات طويلة كلما خلوت إلى نفسى وصبر علىَّ زوجى فترة طويلة . . ثم بدأ ييأس من ان أبادله الحب . . فأصبح فجاة يبادلنى الكراهية وأصبحت علاقتنا شديدة التوتر . ولا يستطيع احدنا رغم ذلك ان يصارح الآخر بحقيقة مشاعره ، ثم تطورت علاقتنا تطورا خطيرا منذ حوالى شهرين فبدأت اتمنع على زوجى فيما يطلبه وأحس بأن هذه هى الطريقة الوحيدة التى تجعلنى استرد بعض كرامتى وآدميتى . . فهل يستطيع أحد أن يلومنى على ذلك ؟ اننى افعل ذلك رغما عنى ـ وقد حاولت كثيرا ان اتقرب من زوجى واتقبله لكنى عجزت عن ذلك تماما . . وأنا لا أكتب لك طلبا للنصح والمشورة لأنى اعتقد أنك قد عرفت الآن أى نوع من الأباء والأمهات هما أبى وأمى وانه إذا كان فسخ الخطبة عندهما جريمة . . فان الطلاق هو المستحيل بعينه . . كما أنى لا اكتب لك لأوذى مشاعر قرائك . . وإنما لكى تلتمسوا لى ولمثيلاتى العذر فيما نفعل مضطرات أحيانا فأنا احس باننى ضحية لأهلى وللمجتمع ولكلام الناس الذى فرض علىَّ أن اتزوج شخصا لا احبه حتى لا يقال عنى اننى قد فسخت خطبتى وفشلت مرتين أو ثلاثا . . وأرجو من الله ان يساعدنى ويخلصنى مما أنا فيه . . وألا يكون حكمك قاسيا علىَّ . . لأنه يكفينى ما أعانيه . . وشكرا لك .

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول** : لن أزيد متاعبك بقسوتى عليك . . لكنى اتعجب من أمر الإنسان الذى يطلب السعادة أحيانا لنفسه . . لكنه قد لايضع سعادة الآخرين فى اعتباره ولا يشغل نفسه بها . . فإذا خاب سعيه أطلق اتهاماته ولومه فى كل الاتجاهات . . واعفى نفسه من كل لوم لهذا فأننا قد نشكو جميعا من حظوظنا . . لكننا لا نشكو ابدا من عقولنا أو سوء تدبيرنا .

يا سيدتى الشابة . . ان رسالتك تكشف ـ رغم حساسيتها ـ الجانب الآخر فعلا من المشكلة . . وهى رسالة صادقة فى تعبيراتها وأحاسيسها ، فالمرأة حين تكره تحس بأنها قد اغتصبت وينتابها الاحساس بالتقزز والغثيان اذا نالها من تكرهه . . وأنا أدرك ما تعانين . . لكنك ظلمت نفسك وظلمت انسانا لم يبادرك بأى سوء حين قبلت الزواج منه وأنت ترفضينه داخليا لمجرد ان أمك قد صاحت فى وجهك رافضة حين فاتحتها فى فسخ الخطبة أو لأنك صاحبة تجربة خطبة فاشلة قبلها . . أو لأن بعض زميلاتك قد تزوجن أو لأنك تشفقين على نفسك من القيل والقال كما تقولين . . فالمشكلة هى ان كل هذه الحسابات حسابات شخصية تخصك وحدك ولا تصلح ابدا أساسا لزواج سعيد . . فلقد بنيت قرارك بقبول الخطبة . . ثم قرارك بالاستمرار والزواج على أساسها وحدها . . ونسيت طرفا هامًا وأساسيا فى الموضوع كله هو هذا الشاب الناجح الكريم مقبول الشكل الذى لم يأثم ولم يرتكب جريمةسوى انه قد طلب السعادة لنفسه فدخل البيوت من أبوابها وتقدم لخطبتك فقبلته وتزوجت منه واقبل عليك وهو يتطلع إلى السعادة مع من يحب فإذا بينابيع الجحيم تتفجر فى

وجهه بغير ذنب جناة . . وإذا بك تشعرين بالكراهية الشديدة له وللمجتمع ولأبويك ولنفسك ولكل الناس ، ثم تستمر حياتكما على نفس الحال إلى ان يئس من ان تبادليه الحب فبدأ يبادلك الكره المكتوم كما تقولين وان كنت اشك فى انه قد كرهك كراهية حقيقية بدليل تمسكه بك حتى الآن رغم هجرك له . . ورغم انكما لم تنجبا طفلا يمكن ان يكون سببا لاستمرار الزواج ودعينى أسألك يا سيدتى بغير اية رغبة فى ايلامك ماذا لو كان هذا الشاب أخاك . . وكان من اختارتها له الاقدار زوجة له مثلك تماما فى كل التفاصيل والدوافع للزوج . . ثم شكا لك شقيقك همه مع زوجته الشابة التى لم يقصر فى حقها ولم يرغمها على الزواج منه وقولى لى بأمانة ماذا سيكون احساسك تجاهها ورأيك فيها ؟ هل كنت ستقبلين منها نفس هذه الاعذار التى تعتذرين بها الآن لاتمامها الزواج من إنسان استقر فى صدرها النفور منه من قبل الزفاف . . وألن ترين انها بذلك قد ظلمت شقيقك وظلمت نفسها حين تزوجته بغير ان تحبه أو على الأقل تتقبله انسانيا وتأمل فى ان تخلق المعاشرة الحب بينهما . . ألن تتساءلى لائمة لماذا لم ترفضه بدلا من ان تجرِّعه كؤوس الكراهية والنفور والتقزز الذى يصل بها إلى حد الغثيان بعد كل تلاقٍ بينهما ؟ . . ألن تتهميها بالانانية لأنها اجرت كل حساباتها على أساس من دوافعها الشخصية وحدها ؟

ألن تقولى صراحة انها كانت تستطيع ان تصمد لضغط الأبوين لانهما مهما كانا متشدديْن فلن يرغماها فى النهاية على زواج من تكره . . ألن تقولى انها قد تزوجت وعمرها ٢٢ أو ٢٣ سنة وانها سن صغيرة لاتبرر الجزع من التأخر فى الزواج ولا الحديث عن المجتمع وكلام الآخرين ؟

ألن تقولى كل ذلك يا سيدتى صادقة ثم تنصحى اخاك بان ينفصل عنها مؤكدة له ان من هن أفضل منها يتمنين ويحلمن بالزواج منه ؟ ألن تقولى كل ذلك بامانة يا سيدتى ؟

إن من الأمانة مع النفس ألا يتنصل الإنسان من مسئوليته عما فعل ويلقيها على الآخرين ، ومن العدل والرحمة ألا نحملهم مسئولية ما اقترفناه بملء ارادتنا أو على الأقل بخطأ حساباتنا أو تقصيرنا فى حق أنفسنا وباستسلامنا بلا مقاومة جدية لاعتبارات كان يمكن بشىء قليل من الصمود ألا نستسلم لها . لقد فصل الرسول الكريم فى خلاف بين زوجين فاستمع لزوجة طلبت الطلاق من زوجها فسألها عن رأيها فيه فقالت :

« لست انكر عليه خلقا ولا دينا لكنى أكره الكفر فى الإسلام » ، أى أنها لاتشكو من خلقه أو دينه لكنها لاتحبه و إنما تكرهه وتخشى ان تدفعها كراهيتها له إلى تقصيرها فى حقوقه عليها فتأثم وتبوء بغضب ربها عليها .

فسألها الرسول : أتردين عليه حديقته « وكانت مهرها » فأجابت نعم فقال لها ردِّى عليه حديقته وقال زوجها طلقها طلقة واحدة .

وهكذا تفعل من لاتريد ان تظلم غيرها وألا تأثم اذا استقر فى يقينها أنها قد كرهت زوجها وانه لا أمل لها فى ان تتغير مشاعرها تجاهه ولو بالقبول النفسى له وبعد ان تستنفد كل الوسائل خاصة إذا لم يكن يربطها بزوجها ابناء يستوجبون التضحية من أجل رعايتهم وحمايتهم من أنواء الحياة ، أما ان تستمر زوجة شابة فى معاشرة زوج تكرهه فى أعماقها لمجرد أنها لاتريد ان تواجه نفسها بفشلها فى الزواج وتواجه أسرتها والمجتمع بذلك فهذا هو الظلم المضاعف بعينه لنفسها ولزوجها ! لأنها ليست فقط

تجرُّعه إلايلام والاحساس المرير بأنه يعاشر من لاتحبه وإنما أيضا لأنها تحرمه من حقه المشروع فى ان يجد السعادة التى افتقدها معها مع اخرى تفخر به وتهواه وتظلله باجنحة الحب والسعادة.

لقد قال الكاتب المسرحى الروسى اندرييف على لسان احدى شخصياته مرة : اننى أدير ناظرْى حول الأرض فلا أرى ابشع من حياة الإنسان!

ورغم رفضى لهذه الروح التشاؤمية . . إلا انى احس بان هذه العبارة المتشائمة تصدُق على حياة بعض الناس . . ويزيد من مرارتها ان هذه البشاعة قد تكون احيانا من صنع الإنسان نفسه وبنفسه . . وليست من صنع الآخرين ولك تحياتى!

السيف البتار !

أنا سيدة أرملة فى الثانية والثلاثين من عمرى ، وأريد أن أعترف لك أننى قد قتلت زوجى ! نعم أريد أن اعترف لك لأستريح . . وليهدأ ضميرى الذى يؤرقنى الآن ليل نهار . . لقد قتلت زوجى فعلا ، ولكنى لم أقتله بساطور ولا بالبلطة ، وإنما قتلته بغبائى وكبريائى وعنادى وتكبرى واستعلائى عليه وبكثرة طلباتى منه .

فلقد تزوجته منذ ثمانى سنوات وهو يعمل موظفا وأنا موظفة باحدى الهيئات الحكومية ، ومنذ اليوم الأول لخطبتى له اشترطت عليه لقبوله ألا أعمل بعد الزواج وأن يهيئ لى مستوى الحياة الذى أعيش فيه فى بيت أهلى، ونفس المستوى الذى تعيشه زوجات اخوتى ، رغم الفارق الهائل بين دخولهم ودخله . وقبل ذلك راضيا ، وتزوجنا ، وتركت العمل وقبعت فى البيت اطالبه كل يوم بالوفاء بوعده ، . واستجاب والتحق بعمل إضافى مرهق لاعلاقة له بطبيعة عمله الحكومى ، فكان يخرج كل يوم فى السابعة صباحا ويعمل بوظيفته حتى الساعة الثانية بعد الظهر ثم يجرى ليلحق بعمله الإضافى بلاغداء فيعمل به من الثالثة إلى الثانية عشرة مساء كل يوم . . واستمر على ذلك منذ الشهر الأول من زواجنا ، وكلما احسَّ بالارهاق وهمَّ بأن يناقشنى فى مسألة العودة للعمل لأساعده ، خاصة حين كان الرجوع عن الاستقالة ممكنا ، ثرت عليه وعيرّته بفقره وقلة

إمكاناته وصحت فيه لماذا تزوجتنى وأنت غير قادر على نفقات حياتى . .
ولعنت اليوم الأسود الذى تزوجته فيه ، فيسكت صابرا ويواصل العمل من
الصباح حتى منتصف الليل ، وليتنى بعد ذلك قدَّرت له كفاحة من أجلى
أو محاولاته لارضائى واسعادى ، إذ لست اذكر ـ للأسف ـ انى قلت له مرة
كلمة شكر أو كلمة حب تهوّن عليه شقاءه . . أو حتى كلمة تعاطف أو
عطف وهو يعود منهكا فى آخر الليل . . أو حين يقدم لى شيئا طلبته . . إذ
كان أقصى ما أتكرم به عليه هو ألا ألومه أو ألا انتقده أو ألا أبخس قيمة
الأشياء التى جاءنى بها ، وفى مثل هذه الحالات النادرة كان يسعد كثيرا ،
حتى كانت سعادته فى بعض الأحيان تغيظنى فأكاد افسدها عليه بكلمة
قارصة من الكلام الذى تعودت ان أوجهه له . ومضت ٨ سنوات على
زواجنا وزوجى يكرس حياته لارضائى ولايجرحنى بكلمة ، إلى ان صحوت
ذات ليلة على صوته وهو يصرخ من شدة الألم . . وأسرعت بنقله
للمستشفى وهناك ذهلت حين عرفت انه مريض بمرض خطير منذ فترة
طويلة وانه كان يتحامل على نفسه ويهمل العلاج خوفا من نفقاته الباهظة
، وتعجبت من إنه لم يُشـرِ إلى مرضه معى من قبل ، كأنه كان يشفق علىّ
حتى من ان يشغلنى بأمره . . وهو من لم يكن له شاغل سواى .

ولم يطل بقاؤه فى المستشفى ، فلقد تدهورت حالته سريعا وفارق الحياة
وهو يمسك بيدى ويشكرنى على « السعادة » التى منحتها له خلال
السنوات التى عاشها معى . . وبكيت بحرقة عليه وأنا أتساءل فى مرارة
وحسرة لايعرف عمقها غيرى . . وأين هى هذه السعادة التى منحتها
له . . لقد قتلته بالارهاق . . وبالتدريج . . وظل يموت قطعة قطعة طوال
السنوات الأخيرة وأنا لا أحس به ولا أدرى ولا أشفق عليه ولا أرحمه ولا

أرى إلا مطالبى وطلباتى ومقارناتى مع زوجات إخوتى ، والآن أبكى عليه بالدمع السخين بالساعات كل يوم . . أبكى الرجل الذى احبنى بكل ذرة فى كيانه فكرهته وعذبته وانكرته ومات قبل ان يسمع منى كلمة حب واحدة . . ان الندم يقتلنى الآن ولكن بماذا يفيد الندم ياسيدى ، لقد قررت أن أكتب إليك لتعرف كل زوجة تفعل مثلما فعلت بزوجى الطيب . . أنها ستشرب من نفس الكأس التى أشرب منها الآن ، وسينبذها الجميع بعد رحيل زوجها حين يتذكر لها الجميع ماصنعت ومافعلت ، فلا أحد فى البيت يتكلم معى حتى إخوتى الذين يتهربون الآن منى ويوصون زوجاتهم بعدم الاختلاط بى حتى لاتصيبهن «العدوى» منى .

وآه ياسيدى مما أحسه حين اتذكر صورته . . وابتسامته المحرجة حين كنت أقسو عليه . . وأحس انى سألحق به قريبا . . لكن بأى وجه ألقاه بعد ما فعلت به مافعلت . . وهل يغفر الله لى حقا ذلك . . اننى استغفره كثيرا وأبكى ندما طويلا . . فهل يغفر الله لى ماصنعت ؟ . .

☐ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول** : لأحد الصالحين قول حكيم يقول فيه : «ليس البكاء بتعصير العيون ، وإنما بأن تترك الأمر الذى تبكى عليه » لهذا فانى أرجو ان يكون بكاؤك على زوجك ندما صادقا على مافعلت به ، وبداية لتغيير نظرتك كلها إلى الحياة وإلى العلا قة الزوجية فى مستقبل الأيام . . فلقد فاتك الكثيرحقا خلال رحلة حياتك الماضية مع زوجك الراحل ، وآن لك ان تعرفى أنه من حسن الإيمان ألا يبخس المرء أقدار الآخرين ، وألا يسفِّه جهودهم وكفاحهم الشريف من أجله ، وألا يتعالى عليهم ويعيِّرهم بضعفهم وقلة حيلتهم وضيق أرزاقهم ، وألا يكتم الشكر لهم حين يستحقون الشكر ، والمديح حين ينبغى ان يمدحهم وألا ينكص عن تشجيعهم حين يلتمسون منه التشجيع والعطف . فكتمان

الشكر جحود ، وإنكار الفضل إثم . . أما البخل بالعطف على من يحتاجون إليه فهو ليس قسوة غير إنسانية فقط وإنما أيضا جهل بطبيعة الإنسان الذى يحتاج دائما إلى العطف النبيل . لقد قال عالم النفس الأمريكى آرثر جيتس : ان الجنس البشرى كله يتلهف على عطف الآخرين منذ فجر التاريخ . والزوج الذى يشقى لاسعاد زوجته من أحق الناس يعطف كل منهما على الآخر لكى يهون عليهما معا عناء الحياة . . فلماذا تقسو القلوب أحيانا على من لايحملون لها إلا أصدق الحب ؟

ولماذا لانعرف لهم اقدارهم دائما ولاندرك قيمة نبع الحب العميق الذى نهلنا منه بلا حساب إلا بعد ان يفارقونا . ونتلفت حولنا فلانجد لأنفسنا اية قيمة إلا لدى من كانوا يتلهفون على كلمةحب أو عرفان واحدة منا فلايسمعونها . ان زوجك الراحل لم يمت بسيف المرض والارهاق وحدهما وإنما مات أيضا بسيف النكد والنقد العقيم المستمر الذى لايفيد ولايغير من الأمر شيئا ، وسيف التكبر عليه وخنجر افتقاد التقدير ممن تفانى فى حبها ، وكلها اسلحة فاتكة تقصف العمر وتسرع بالهلاك ، وماشكره لك عند الرحيل إلا استمرار لانكار نفسه ورغبة منه فى ان يجنبك عذاب الضمير وقبول منه لأقل القليل والرضا به . . فأى حب عظيم كان يحمله لك وأى خسارة فادحة قد خسرتيها بإفتقاد هذا الحب الطاغى الفريد ؟؟

لقد حذرنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من أن نحاسب البشر عما لاحيلة لهم فيه ، وهو رزقهم فقال ما معناه انه سوف يأتى على الدنيا زمان يكون فيه هلاك المرء على يد زوجته وولده ، يعيرونه بالفقر ويطالبونه بما لاطاقة به ، فيدخل المداخل التى يفقد فيها دينه وخلقه فيهلك . . فاذكرى ذلك جيدا ياسيدتى واجعلى من ندمك على مافعلت رجوعا عن كل افكارك الخاطئة وتطهرى من كل مافعلت . . والله يغفر لمن يشاء ويقدر والسلام . .

الفهرس

صفحة

صدر للمؤلف

١ ـ اصدقاء على الورق	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ١٩٨٦ (نفد)
٢ ـ يوميات طالب بعثة	ادب رحلات	الطبعة الأولى ١٩٨٧ (نفد)
٣ ـ هتاف المعذبين	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ١٩٨٨ (نفد)
٤ ـ صديقى لاتأكل نفسك	مقالات وصور ادبية	البطعة الأولى ١٩٩٠ (نفد)
		الطبعة الثانية ١٩٩١ (نفد)
		الطبعة الثالثة ١٩٩٣
٥ ـ نهر الحياة	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ١٩٩٠
		الطبعة الثانية ١٩٩٣
٦ ـ العصافير الخرساء	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ١٩٩١
		الطبعة الثانية ١٩٩٣
٧ ـ صديقى ماأعظمك	مقالات وصور ادبية	الطبعة الأولى ١٩٩١
		الطبعة الثانية ١٩٩٣
٨ ـ العيون الحمراء	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ١٩٩٢
		الطبعة الثانية ١٩٩٣
٩ ـ افتح قلبك	مقالات وصور ادبية	الطبعة الأولى١٩٩٢
١٠ ـ اندهش ياصديقى	مقالات وصور ادبية	الطبعة الأولى ١٩٩٢
١١ ـ أزواج وزوجات	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ١٩٩٣
١٢ ـ أرجوك لاتفهمنى	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ١٩٩٣
١٣ ـ رسائل محترقة	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ١٩٩٣
١٤ ـ وقت للسعادة ووقت للبكاء	مقالات وصور أدبية	الطبعة الأولى ١٩٩٣
١٥ ـ نهر السعادة والشقاء	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ١٩٩٣

رقم الإيداع ٢٠٥٥ / ٩٣
I .S. B.N 977 - 09 - 0124 - 5

مطابع الشروق

القاهرة :٨ شارع سيبويه المصرى ـ ت ٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس:٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت - ص.ب: ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٢١٣ ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

أزواج .. وزوجات !

هذا الكتاب يفيد فى تقديرى من يفكرون فى الزواج . . ومن يفكرون فى « الطلاق»!

أما من يفكرون فى الزواج فسوف يجدون فيه صوراً واقعية مختلفة للحياة الزوجية تحدَّث عنها أصحابها بصدق فعكست الأسباب الرئيسية التى تؤدى بها إلى مقبرة السعادة من أقصر طريق . . وإذا ما استفادوا من تجارب الآخرين يستطيعون أن يتجنبوا السير بحياتهم المقبلة فى نفس الطريق!

أما من يفكرون فى الطلاق . . فسوف يجدون فيه « بانوراما » عريضة للمشاكل الزوجية تتيح لهم أن يضعوا مشاكلهم فى حجمها الطبيعى ويعرفوا بالمقارنة أن هناك من عانى أكبر منها . . ولم يلجأ إلى سيف الطلاق وتشريد الأبناء .

وأما من لايفكرون فى هذا ولا ذاك . . فسوف يجدون فى قصصه ما يستفيدون به من تجارب الآخرين فى تحسين علاقاتهم بشريك أو شريكة الحياة فيتبعون بذلك منهج عبد الله بن المقفع الذى سئل : من أدَّبك ؟ فأجاب : نفسى ! كنت إذا رأيت من غيرى حَسَنا أتيته وإذا رأيت قبيحا أبيته !

وفى هذا الكتاب سوف يجد من يبحث عن « أدب نفسه » «حسناً » كثيراً يأتيه . . « وقبيحاً » كثيرا يأباه . . فينصلح له حال نفسه وحال من يعاشرهم بالضرورة .

لقد أخرجت لى المطبعة من قبل ستة كتب ، من سلسلة كتبى التى يدرجها نقاد الأدب تحت عنوان : أدب وأجمع فيها تجارب الآخرين الإنسانية وردودى عليها فى باب بريد الجمعة بالأهرام ، لكن هذا الكتاب هو الكتاب الأول الذى فكرت فى أن تكون كل تجاربه الإنسانية عن الحياة الزوجية ومشاكلها المختلفة .

ولست أزعم فى النهاية أن من يقرأ هذا الكتاب سوف يتجنب الشقاء الزوجى أو يفوز بالسعادة .

وإنما أزعم فقط أنه سوف « يعرف » بعض أسباب حرمانه من السعادة الزوجية . . أو فوزه بها أو أنه ـ على الأقل ـ سوف تهون عليه بعض مشاكله حين يعرف بالتجربة أن هناك من هو أتعس كثيراً . . كثيراً . . منه !

عبدالوهاب مطاوع


6 221102 002936